التحليل اللغوى للنص

مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج

تأليف

كلاوس برينكر

ترجمه ومهد له وعلق عليه

أ. د. سعيد حسن بحيرى

كلية الألسن - جامعة عين شمس

مؤسسة المختار للنشر والتوزيع

التحليل اللغوي للنص

التحليل اللغوي للنص

مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج

تأليف

كلاوس برينكر

ترجمه وقدم له وعلق عليه

أ. د. سعيد حسن بحيري

كلية الألسن - جامعة عين شمس

مؤسسة المختار للنشر والتوزيع

اسم الكتاب : التحليل اللغوي للنص

اسم المؤلف : كلاوس برينكر

ترجمة وتعليق: الدكتور سعيد حسن بحيري

الطبعة الثانية

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع : ١٩٦٣٨ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولي : 977-382-36-x

مؤسسة المختار

الإدارة : ٦ ش عبد الحكيم الرفاعي - مدينة نصر - القاهرة

تليفون : ٢٢٧١٣٢٠٢ - ٢٢٧١٣٩٤٥

المكتبة : ٣٢ ش محمد عبده - خلف جامع الأزهر - القاهرة

تليفون : ٢٥١٠٥٨٩١

E-mail:mokhtar_est@hotmail.com

فهرس المحتويات

توطئة ١٣

١ـ تمهيد ٢١

٢ـ مفهوم النص ٢٥

٢ـ١ استعمال كلمة "نص" فى اللغة اليومية ٢٥

٢ـ٢ المفهوم اللغوى للنص ٢٨

٢-٢-١ مقدمة ٢٨

٢-٢-٢ مفهوم النص فى علم لغة النص القائم على أساس النظام اللغوى ٢٨

٢-٢-٣ مفهوم النص فى علم لغة النص الموجه على أساس نظرية التواصل ٣١

٢-٣ اقتراح مفهوم مدمج للنص ٣٤

٣- تحليل بنية النص ٣٩

٣-١ مقدمة ٣٩

٣-٢ الجملة بوصفها وحدة نصية أساسية ٤٠

٣-٣ الشروط النحوية للتماسك النصى ٤٧

٣-٣-١- صور الإعادة ٤٧

٣-٣-١-١ الإعادة الصريحة	٤٧
٣-٣-١-٢ الإعادة الضمنية	٥٨
٣-٣-١-٣ العرض التخطيطي لعلاقات الإعادة	٦٢
٣-٣-٢- أهمية مبدأ الإعادة	٦٥
٣-٣-٢-١ حول وثاقة الصلة بالنسبة لتماسك النص	٦٥
٣-٣-٢-٢ حول وثاقة الصلة بالنسبة لفهم للنص	٦٨
٣-٤ الشروط الموضوعية للتماسك النصى	٧٠
٣-٤-١ علاقة الإعادة والبنية الموضوعية للنص	٧٠
٣-٤-٢ حول مفهوم الموضوع ـ الحديث فى مدرسة براغ	٧٤
٣-٤-٣ مفهوم البنية الكبرى والبنية العليا لتوين فان دايك	٧٨
٣-٤-٤ موضوع النص وبسط الموضوع	٨٣
٣-٤-٤-١ الموضوع بوصْفِهِ نواة مضمون النص	٨٣
٣-٤-٤-٢ حول مفهوم البسط الموضوعى	٩١
٣-٥ الأشكال الأساسية للبسط الموضوعى	٩٥
٣-٥-١ البسط الوصفى للموضوعات	٩٥
٣-٥-٢ البسط الإيضاحى للموضوعات	١٠٣
٣-٥-٣ البسط الحجاجى للموضوعات	١٠٩
٤- تحليل وظيفة النص	١٢١
٤-١ مقدمة	١٢١
٤-٢ مفهوم الفعل الكلامى بوصفه أساسا نظرياً	١٢٣
٤-٢-١ حول مفهوم الفعل اللغوى	١٢٣

٤-٢-٢ مؤشرات الإنجاز	١٢٩
٤-٢-٣ حول التحليل أبنية الإنجاز	١٣٣
٤-٣ مفهوم وظيفة النص	١٣٧
٤-٣-١ وظيفة النص ـ قصد حقيقى ـ تأثير النص	١٣٧
٤-٣-٢ حول تحديد التحليل النصى لوظيفة النص	١٣٩
٤-٣-٢ حول تحديد التحليل النصى لوظيفة النص	١٣٩
٤-٣-٢-١ قائمة معاييرا. أو. جروسه	١٣٩
٤-٣-٢-٢- مؤشرات وظيفة النص	١٤٢
٤-٤ وظائف نصية أساسية	١٤٦
٤-٤-١ طرائق حالية للتصنيف	١٤٦
٤-٤-٢ وظيفة الإبلاغ	١٥٤
٤-٤-٣ وظيفة الاستثارة	١٥٩
٤-٤-٤ وظيفة الالتزام	١٧٠
٤-٤-٥ وظيفة الاتصال	١٧٢
٤-٤-٦ وظيفة الإعلان	١٧٤
٤-٥ حول العلاقة بين وظيفة النص وبنيته:	١٧٦
تحليل مزود بمثال	١٧٨
٥- تحليل أنواع النصوص	١٨٣
٥-١ إيضاح التساؤل	١٨٣
٥-٢ أنواع النصوص فى اللغة اليومية	١٨٦
٥-٣ المفهوم اللغوى لأنواع النصوص	١٩٠

٥-٤ معايير التمييز ١٩٢

٥-٤-١ وظيفة النص بوصفها معياراً أساسياً ١٩٢

٥-٤-٢ معاني سياقية ١٩٤

٥-٤-٣ معايير تركيبية ٢٠٠

٥-٤-٤ حول تدرج المعايير ٢٠٣

٥-٥ عرض خطوات التحليل مزود بمثال ٢٠٤

٦- موجز ٢٠٩

٦-١ نظرة عامة حول مقولات التحليل اللغوى للنص ومعاييره ٢٠٩

٦-٢ نظرة عامة حول خطوات التحليل ٢١١

٧- قائمة المراجع ٢١٥

٨- قائمة المصطلحات ٢٢٥

ترجمات أخرى للمترجم ٢٤٥

هذا الكتاب ٢٤٧

توطئـــة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

يعد كلاوس برينكر علماً من أعلام البحث فى علم لغة النص؛ فقد أسهم منذ السبعينات، وهى بداية الفترة التى وضعت فيها أسس علم جديد، اكتملت ملامحه، ونضجت تصوراته، بحيث صار علماً مستقلاً من أهم علوم اللغة، ـ أسهم بعدد كبير من البحوث الرائدة الجوهرية العميقة فيه، مما جعله مرجعاً أساسياً فى هذا التوجه المتميز فى بحث اللغة. وقد كانت بداية معرفتى بأفكاره وتصوراته وطرائقه فى التحليل اللغوى للنصوص فى الثمانينيات، حين اعتمدت على مقالته القيمة فى كتاب بتوفى الكبير الذى صدر سنة ١٩٧٩م، وهى بعنوان: حول تحديد موضوع علم لغة النص ومهامه، إضافة إلى آرائه وتعريفاته المنتشرة فى أغلب مؤلفات ذلك العلم؛ وذلك حين قدمت لمفاهيم هذا العلم واتجاهاته فى أول كتاب لى فى هذا التخصص، أردت منه تعريف القارئ العربى بخصوصيات البحث النصى الذى يرتكز على بحث المستويات الثلاثة: المستوى النحوى والدلالى والبراجماتى معاً بأدوات وطرائق شتى ومعقدة فى محاولة جادة للوصول إلى كفاءة تفسيرية متميزة ودقيقة فى وصف أنواع متباينة من النصوص وتحليلها.

وكان من كتبه التى رجعت إليها فيما بعد فى دراسات تالية للعمل الأول ذلك الكتاب الذى أقدمه مترجماً للقارئ الكريم: التحليل اللغوى للنص، الذى صدر

سنة ١٩٨٥م، وهو برغم صغر حجمه فى طبعته الأولى احتوى على آراء مفيدة للغاية، شديدة الوضوح والسلاسة، وهذه سمة أساسية فى كتاباته، حيث لا يجعل اللغة عائقاً دون فهم أفكاره بصياغة جمل مركبة ممتدة، تحتمل عدة معانٍ. ولم تراودنى آنذاك فكرة ترجمته إلى العربية، فهو أشبه بمقالة كبيرة، يعتمد فيها على التنظير فى الأغلب: ثم علمت بعد ذلك أنه أعاد طبعه أكثر من مرة، إلى أن وقعت فى يدى فى العام الماضى نسخة الطبعة الرابعة المزيدة، والمنقحة التى صدرت سنة ١٩٩٧م. وشاء القدر أن يتوفر الوقت والعزم للمقارنة بين الطبعتين الأولى والرابعة، فوجدت بينهما اختلافاً ظاهراً، فحمدت الله ~لأنى لم أترجم الكتاب فى طبعته الأولى، فإضافاته فى الطبعة الأخيرة فى كل الفصول، إذ إنه قد أجرى تعديلات جوهرية فى المفاهيم، واستعان فى مواضع عدة بأمثلة تطبيقية، واختلفت بعض تقسيماته، وقد زود الكتاب بإشارات قيمة فى الهوامش، تؤكدرجوعه إلى مراجع لاحقة، اعتمد عليها فى تعديلاته وتصويباته وإضافاته. وليس فى ذلك أدنى عيب لأن اطلاعه فيما بعد على نظريات وتصورات وأفكار جديدة فى البحث النصى، ألزمته العدول عن بعض أفكاره التى طرحها فى المرحلة الأولى، ففعل ذلك بصدر رحب، مقتنعاً بما جرى فى الاتجاهات اللغوية النصية الكثيرة من تطورات سريعة ومتلاحقة وجوهرية.

ويتعلق الكتاب فى المقام الأول بالمفاهيم والمناهج، فقد رأى أن التحليل اللغوى للنص يستهدف جعل البنية(أى البناء النحوى والموضوعى) والوظيفة الاتصالية لنصوص محددة، شفافةً، ويستهدف كذلك وصفهما على نحو يمكن التحقق منه. ويمكنه من خلال ذلك أن يوفر أو يطرح نظرات عميقة فى التماسك القاعدى لبناء النص(أى تكوينه) وفهمه(أى تلقيه)، وأن يسهم كذلك فى فهم الكفاءة النصية الخاصة، ولا يخفى على القارئ الكريم حين يطالع أجزاء الكتاب برويةٍ وإمعان أنه قد أعطى للدور التواصلى فى تفسير النصوص دوراً

محورياً، يوجه بناءها النحوى والموضوعى، معتمداً فى ذلك على المعطيات الحديثة فى نظرية التواصل، والإضافات المؤخرة إلى نظرية الفعل الكلامى.

ومن اللافت للنظر أنه لم يفصل فى تحليلاته بين جانبين جوهريين فى التعامل مع النصوص؛ وهما جانبا الإنتاج والتلقى. ويتجلى ذلك من خلال تصوره لمهمة علم لغة النص، إذ يرى ـ كما ورد فى التمهيد ـ أن مهمته وصف الشروط والقواعد العامة لتكوين النص، التى تعد أساس النصوص الفعلية، وصفاً منظماً؛ وأن يوضح أهميتها لتلقى النص. وهو فى ذلك لا يفرق ـ كما أكد مراراً ـ بين وظيفة النص وبنيته، لأن بينهما صلات عدة، يعد وصفها كذلك من مهمة علم لغة النص. ولا يرى أهمية الكتاب فى جانب التنظير، لأنه لم ينشغل به إلا بقدر ما يحتاج إليه لإيضاح نقاط معينة، وأحال إلى التفصيلات فى القاضايا المطروحة بإشارات معاونة فى الهوامش وفهرس المراجع. أنه يطمح بالأحرى ـ كما ذكر أيضاً ـ إلى عرض مختص بالتطبيق فى المقام الأول، فى محاولة لتطوير آلية وصف لغوية نصِّيَّة مكثفة على أساس مدمج. ولذلك جمع فى أغلب تحليلاته بين مداخل نظرية للموضوعات المعالجة وأمثلة تطبيقية موضحة لكيفيات الانتقال من المستوى الأول إلى الثانى.

وقد قسم المؤلف كتابه أربعة فصول بخلاف التمهيد الذى عرض فيه مفهومه للتحليل اللغوى للنص، والمهمة الأساسية لعلم لغة النص، وهدفه من تأليف الكتاب، وإيضاحه لعدم إمكان الفصل بين بنية النص ووظيفته إلا لدواعى التحليل، وأن دراسة العلاقات المنتظمة بينهما يحددها نظام اللغة، وأن الوصف الدقيق لا يقع إلا فى إطار عملية التواصل، وأن نظرية الفعل الكلامى المعدلة تسهم بدور جوهرى فى وصف النصوص وتحليلها.

وفى الفصل الأول تناول مفهوم النص، بادئاً بتحديد الكلمة فى الاستعمالات

اليومية العادية اللغة، ثم انتقل إلى المفهوم اللغوي الاصطلاحي للنص، فعرض بعض تعريفات مهمة للنص فى المقدمة، مميزاً بين مفهوم النص فى إطار النظام اللغوى، وهو إطار يحكم أهداف اتجاه محدد فى علم اللغة النص، وبين مفهومه فى إطار نظرية التواصل، وهو إطار يحكم أيضاً أهداف اتجاه آخر، مختتماً باقتراح تعريف للنص، يبنى عليه معالجته للموضوعات التالية.

وفى الفصل الثانى(تحليل بنية النص) بدأ بوصف النص بأنه وحدة لغوية تواصلية، ورأى أن بنية النص ينبغى أن تدرك على أنها تكوين من علاقات، توجد بين الجمل أو القضايا بوصفها العناصر المباشرة البُنْية النص، وتحدث عن الربط الداخلى، أى التماسك الدلالى للنص. ويعرض بعد ذلك بنية النص على مستويَيْن يرتبط كل منهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً؛ المستوى النحوى والمستوى الموضوعى، ثم انتقل إلى توضيح العلاقة بين الجملة وبين النص، ثم بين القطعة النصية والجملة والقضية، وقسم شروط تماسك النص إلى نحوية تضم صور الإعادة الصريحة والضمنية، وشروط موضوعية تتباين المدارس النصية فى تصوراتها حولها، واختتمه بالأشكال الأساسية للبسط الموضوعى، وهى البسط الوصفى والبسط التوضيحى والبسط الحجاجى.

وفى الفصل الثالث(تحليل وظيفة النص) يبدأ بإيضاح الوظيفة التواصلية للنصوص، وبين كذلك أنه قد تكون للنص أكثر من وظيفة، غير أن هناك من بينها أساسية تسمى الوظيفة الغالبة للتواصل. ثم تناول مفهوم الفعل الكلامى مبرزاً التعديلات الجوهرية التى قدمها العلماء الألمان إلى أسس النظرية لدى كل من أوستن وسيرل، غير أنه اقتصر فى الحقيقة على ما أراد الإفادة منه فى الهوامش. وقد أكد على الإنجاز وأبنيته، والتأثير وأشكاله، معتمداً على جهود فوندرليش، وجوليش/ رايبله، وموتش، وسوكه لاند، وارمرت، وبلمر، وديمتر، وهند لانج، وساندج، وجروسه، وغيرهم، إلا أن الأخير قد حظى باهتمام زائد، حيث

ارتكز على قائمة معاييره فى تحليل وظيفة النص. ثم تناول بالتحليل والتمثيل الوظائف الأساسية للنصوص، وهى: وظيفة الإبلاغ، والاستشارة، والإجبار، والاحتكاك، والإعلان، واختتمه ببيان العلاقة بين وظيفة النص وبنيته من خلال تحليل مفصل لعدة أمثلة.

أما فى الفصل الرابع(تحليل أنواع نصية) فيبدأ بمشكلة تصنيف النصوص، أى تحديد أنواعها أو أقسامها أو أنماطها وتحديد سماتها الأساسية، ورأى أن علم لغة النص ما يزال بعيداً للغاية عن إقامة تنميط نصى متكامل ومتناسق، ونوه كذلك إلى تقسيم علم الأجناس الأدبية الشعر إلى ثلاثة أنواع: الوجدانى والملحميّ والدرامى، وفى داخل هذه المجالات يفرق على أساس سمات شكلية ومضمونية بين سلسلة من الأجناس بمفهوم ضيق"أى الأنواع الأدبية". ولكنه يرى أنه ما تزال هناك حاجة ماسة إلى معايير تحديد واضحة، وينتهى إلى الإعراض عن متابعة هذه الإشكالية لأن تحليله يقتصر على نصوص الاستعمال، أى النصوص المستعملة فى الحياة اليومية، وهنا يرى فى وظيفة النص المعيار الأساسى، ثم يبرز صدارة الاعتماد على المعايير السياقية، ثم يردفها بالمعايير التركيبيّة، ويؤكد ضرورة مراعاة تدرج المعايير، وأخيراً يختتمه بمثال يعرض فيه بوضوح خطوات تحليل وظيفة النص.

وفى الخاتمة"الموجز" يُجمل فى نظرة عامة مقولات التحليل اللغوى للنص ومعاييره المتطورة، وفى نظرة عامة أخرى يعرض خطوات البحث عند تحليل نص ما. ـ ويلاحظ هنا أنى لم أعد فى التقسيم كلاً من التمهيد والموجز من فصول الكتاب ـ ثم ذيله بقائمة مهمة لأهم المراجع التى ألح على ضرورة الرجوع إليها لمعرفة مزيد من التفاصيل حول النقاط التى ناقشها مناقشة حددت طبيعتها مقتضيات سياق البحث، وأعقبها بقائمة بأهم المصطلحات الورادة فى الكتاب. وهناك عدد آخر من المصطلحات التى لم ترد فى قائمة المؤلف، وأظن

أنها جديدة أيضاً بالنسبة للقارئ العربى، ولكنى لم أضفها إلى القائمة اكتفاء بذكرها فى المتن، إلى جانب حرصى على عدم تضخيم الكتاب، ويرتبط بذلك أيضاً موقفى من الهوامش والتعليقات، إذ لم أثبت إلا ما وجدته ضرورياً للغاية لتوضيح عبارة، تقدم رأى المؤلف صراحة أو أحال إلى فكرة أو تصور لدى باحث آخر فى عجالة اعتماداً على خَلْفِيَّة القارئ فى هذا المجال، وبدهى أنه يقصد القارئ الأوربى عموماً والألمانى بوجه خاص. وكذلك توضيح بعض المصطلحات المتصلة بالعرض اتصالاً وثيقاً، إلى آخر تلك الإضافات المحدودة جداً حتى لا يتضخم حجم الكتاب، ويذهب معه قصد المؤلف من هذا المدخل أدراج الرياح.

وقد حرصت كذلك على ترجمة أمثلة المؤلف إلى العربية كما وردت فى الأصل دون تغيير إلا حين لا يظهر النص العربى المترجم غرض التمثيل، فأنبه إلى ذلك فى حدود ضيقة للغاية. إننى لست من أنصار الاتجاه الذى يبيح لنفسه التدخل فى النص الأصلى بتغيير أمثلته، والاختصار فى بعض المواضع والإضافة فى مواضع أخرى، بل الجرأة الغريبة على التخلص، والاكتفاء بنقل المعنى الإجمالى، وغيرها من أوجه التصرف. وهذه كلها فى رأيى صور مختلفة لخيانة المترجم للأصل. ودون خوض فى جدل حول دور المترجم فإنى أرى الأمانة فى نقل النص كما ورد فى الأصل قدر المستطاع، وفى ذلك أيضاً إثراء للغة العربية وإفادة للقارئ العربى الكريم الذى وعدته بأن استمر فى بسط مسائل هذا العلم بطريق الترجمة والتأليف على حد سواء ما دمت قادراً بفضل الله على العطاء. وكما هو معتاد فى كل الترجمات السابقة فقد حرصت على إثبات الصفحات المقابلة للترجمة فى النص الأصلى بوضع أرقامها جهة اليسار فى النص المترجم.

وأخيراً آمل أن تكون هذه الترجمة إضافة طيبة فى هذا التخصص، وأن يكون الجهد المبذول فيها نافعاً مثمراً. وإنى لا أبتغى منه غير وجه الله سبحانه وتعالى،

كما أنى آمل أن يتجاوز القراء الكرام عن الأخطاء الطباعية ؛ فهذه آفة لم تسلم منها الأعمال السابقة برغم المراجعة المتكررة المتأنية، ولكن جل من لا يسهو. ولذا سأكون ممتناً للغاية إن أمدني القراء الكرام بتصويباتهم وملحوظاتهم حتى استدرك كل ما يمكن استدراكه في الطبعة القادمة بإذن الله.

سعيد بحيري

القاهرة في ١٢ ربيع الأول ١٤٢٥هـ

/ ٢ مايو ٢٠٠٤م

١ - تمهيـــد

يريد هذا الكتاب أن يعرف بالمفاهيم الأساسية ومناهج التحليل اللغوى للنص.

ويستهدف التحليل اللغوى للنص أن يجعل البنية، أى البناء النحوى والموضوعى، وكذلك الوظيفة الاتصالية لنصوص محددة، شفافة، وأن يعرضها على نحو يمكن التحقق منه، ويمكنه من خلال ذلك أن يوفر نظرات عميقة فى التماسك القاعدى لبناء النص (تكوين النص)، وفهمه (تلقيه)، ويسهم كذلك فى فهم الكفاءة النصية الخاصة، أى تنمية القدرة على فهم نصوص غير معروفة، وإنتاج نصوص مناسبة[١].

ومن وجهة نظر النظرية ـ المفهومية والمنهجية يحدد التحليل اللغوى للنص من خلال الفرع اللغوى الذى ما يزال بكراً نسبياً لعلم لغة النص. إن علم لغة النص يرة أن مهمته وصف الشروط والقواعد العامة لتكوين النص، التى تعد النص يرى أن مهمته وصف الشروط والقواعد العامة لتكوين النص، التى تعد أساس النصوص الفعلية، وصفاً منظماً، وأن يوضح أهميتها لتلقى النص.

(١) من البدهى أنه لا ينبغى ألا يدرج تحت ذلك أن المعارف المكتسبة من خلال التحليل اللغوى للنص تؤدى مباشرة إلى توسيع للكفاءة الإنتاجية. ولعل افتراض تحول مباشر من معرفة قاعدية نصية إلى إنتاج للنص مساير للقواعد كان بسيطاً للغاية ـ أما كيف يمكن أن تستمر أدوات (وسائل) التحليل اللغوية النصية المتطورة فى هذا الكتاب فقد عُرض فى مقالة برينكر سنة ١٩٨٨.

وحين نتحدث عن علم لغة النص فإن ذلك يمثل بداهة تبسيطاً شديداً، إذ إنه تكمن خلف هذا العنوان اتجاهات لغوية نصية كثيرة ذات تصورات متباينة إلى حد ما دون شك. بيد أنها تتفق فى المفهوم القائل إن أعلى وحدة مختصة للتحليل اللغوى ليست الجملة بل النص.

وليست أهمية هذا الكتاب فى عرض نقاط بحثية لغوية نصية متباينة، فنماذج النص موضوع عدد كبير من المؤلفات اللغوية من قبل.

إننا نطمح بالأحرى إلى عرض مختص بالتطبيق فى المقام الأول، ونحاول أن نطور جهاز(آلية) وصف لغوية نصية مكثفة على أساس مدمج، / وأن نوضح ذلك بنصوص أو فقرات نَصِّيَّه محددة. ولذلك نقتصر على وصف مواضع بحثية، تعد مهمة بوجه خاص فى سياقنا. وعلى ذلك"يمكن الانفتاح" على المراجع الوثيقة الصلة بطرح القضية المختصة بمساعدة الهوامش وفهرس المراجع.

ونختار التفريق المتناول من قبل بين بنية النص ووظيفته أساساً نظريا للفصول الآتية. فالأمر يدور حول فصل تحليلى، يجربه العالم ليستطيع أن يصف الظاهرة المعقدة"النص" وصفاً أكثر دقة. ومع نصوص محددة، أى أبنية لغوية فى تضمنها فى عملية التواصل، تشكل البنية والوظيفة وحدة، لا تستخدم إلا لأغراض تواصلية معينة فى ذاتها.

والحق أنه يفرق عند التحليل اللغوى بين وظيفة النص وبنيته، غير أنهما لا يدرسان منفصلين بعضهما عن بعض انفصالاً تاماً؛ إذ إن بينهما صلات عدة، بعد وصفها كذلك من مهمة علم اللغة النص. وتتصدر فى ذلك العلاقات المنتظمة التى يحددها نظام الفعل اللغوى، وليست المجريات العقلية الفعلية عند إنتاج نصوص وتلقيها، التى يشتغل بها علم النفس اللغوى. أما علم لغة النص فيصف شروطاً مهمة يحتمها النظام لتلك العمليات.

وينقسم الكتاب إلى أربعة فصول، حيث نريد بادئ الأمر أن نعرض بإيجاز ماذا يفهم تحت"نص" فى اللغة اليومية، وكيف تعرف الوحدة"نص" تعريفاً علمياً (الفصل الثانى)، وبعد ذلك نتناول فى الفصل الثالث، على أساس مفهوم للنص، يحاول ربط المواضع النظرية المحورية لعلم لغة النص بعضها ببعض، الشروط الأساسية للبناء النحوى والموضوعى للنص(بنية النصTextstuktur)، وفى الفصل الرابع يعالج دور النصوص فى عملية التواصل(وظيفة النص Textfunktion). وخصص الفصل الخامس لتحليل أنواع نصية وكذلك خطوات البحث عند تحليل نص ما.

وقدخطط الكتاب بحيث يمكن أن يستخدم للدراسة الذاتية، والدراسة الأساسية(اللغوية) الجرمانية، وعلى الأقل بشكل مرحلي ـ لتدريس الألمانية فى المرحلة الوسطى.

٢ - مفهوم النص

٢ -١ استعمال كلمة "نص" فى اللغة اليومية

قبل أن نتناول المفهوم اللغوى للنص نريد أن نوضح بإيجاز ما يفهم تحت "نص" فى اللغة اليومية. ويعتبر مثل ذلك التأمل فى الاستعمال اللغوى شرطًا مهمًا للاشتغال العملى بالنصوص، وذلك للسبب الآتى: كما وضح من قبل، يتعلق الأمر فى علم لغة النص بوجه خاص بوصف الشروط العامة لتكوين النص وتلقيه، التى يمتلكها دون وعى الشريك اللغوى الأساسى فى مواقف تواصلية معينة على وجه العموم. وبذلك يمكن أن يقدم التحديد، سواء أفهم تتابع قائم من وحدات لغوية(جمل تقريبًا) فى التواصل اليومى بأنه نص أو عُدَّ تراكمًا غير مترابط أو حتى لا مغزى له، من الجمل، يقدم إشارات إلى القواعد الأساسية للتنصيص. بيد أن المتلقى يميل إلى أن يصف حملاً جزافية، حين تتابع تتابعًا مكثفًا مكانيًا فقط و/ أو زمانيًا، ومن خلال سمات محض خارجية، مستقلة بعضها عن بعض أو نصوص مفردة. غير أن ذلك لا يعنى أن أى توال جزافى من الجمل يقبل على أنه نص[1].

---

(١) قارن مثلاً نيكل Nickel، ١٩٦٨، ص١٥، وفريز Fries، ١٩٧١، ص ٢٢٠ وفان دايك١٩٧٢، ص٢ وما بعدها، وارمرت Ermert١٩٧٩، ص٢٠ .

وتوضح ذلك نظرة تأمل فى المثالين الآتيين:

(١) قدمت مطافئ فرانكفورت جهازًا يمكن أن يُنْقذَ به أناس من منازل ارتفاعها يصل إلى مائتى متر، وهو كرسى معلق متحرك، مربوط بواسطة أحبال مثبتة بالبيت، بجندول متنقل على شاحنة. حتى الآن ما يزال الحد الأقصى لطول سلالم الإطفاء ثلاثين مترًا

(من جريدة: Die Welt(العالم) فى ٤/ ٦/ ١٩٨٠)

(٢) ليس لدى للأسف ما يكفى للقراءة. فقد رفضت اللجنة الاقتراح. وفى العطلة لا يستحب أحد أن يمكث فى بيته.

وبينما أقر مساعدو البحث المثال(١) دون شك بأنه نص، لم يكونوا مستعدين لذلك مع المثال(٢). ويمكن أن توضح تلك النتيجة من جانب مضمونى - موضوعى/ على النحو الآتى:

ففى(١) يربط بين الجمل موضوع موحد ein einheitliches Thema(جهاز الإنقاذ الجديد) (الجملة الأولى: إنجاز الجهاز، والجملة الثانية: طريقة عمل الجهاز، والجملة الثالثة: مقارنة بالجهاز القديم، سلم الأطفال). أما فى (٢) فالجمل على عكس ذلك ليس لها موضوع موحد. الجملة الأولى تتعلق بالضمير"أنا" الذى كان يمكن أن يحدد تحديدًا دقيقًا؛ والجملة الثانية تتضمن قولاً عامًا، وهكذا ففى المثال(٢) يبدو تتابع جملى غير مترابط قد عرض؛ كما يقال"لا نَصّ "[١].

(١) لايصف مصطلح"لانص" قيمته معطاة موضوعيًا. فهل يعزى التماسك إلى بناء لغوى أمر لا يتوقف على بنيته فقط، بل يتعلق بوجه خاص على كفاءة فهم المتلقى أو تفسيره أيضًا. ففى الواقع توجد معايير التماسك؛ ومدار علم لغة النص قبل أى شئ وصف هذه المعايير. قارن حول ذلك بإيجاز أيضًا: ١٩٧٧، ص ٢٣٧ وما بعدها.

ومن المفيد ـ للكشف على نحو أكثر دقة عن أى الخواص التى يجب أن تكتشف بشكل أدق للبناء اللغوى حتى يوصف فى اللغة اليومية بأنه نص ـ أن يختبر: فى أى سياقات أو استعمالات لغوية يستخدم لفظ "نص" وتسجل معاجم اللغة الألمانية المعاصرة أساسًا طرائق الاستعمال الآتية "للنص"[(١)].

ـ نص طويل، مطبوع، أن يتلو نصًا، أن يلقيه، أن يحفظه، أن يصوبه، أن يمر عليه سريعًا، أن يعلق عليه، أن يغيره، أن يكمله، أن يحرفه، أن يترجمه...

ـ أن يطبع النص الكامل لخطاب، أن يقرأه، نص محاضرة، برقية، مسرحية...

ـ أن تكتب نصوصًا حول الرسوم

ـ أن يعظ عبر نص

ـ نص أغنية، أوبرا...

ويبين ذلك الحشد غير التام بأية حال أن الاستعمال اللغوى اليومى لكلمة "نص" غير موحد كليةً، إذ يمكن أن تتحدد دلالات عدة للكلمة، مثل "البناء اللغوى المكتوب لامتداد محدد"، و"النص الحرفى"، و"التوضيح اللغوى أو الكتابة الموضحة" (توقيع على صورة)، و"موضع فى الكتاب المقدس"، و"جزء لغوى من عمل موسيقى". بيد أن المعنى المحورى/ يمكن أن يعد بلا شك: "النص "هو وحدة لغوية محددة (كتابيًا) تضم فى العادة أكثر من جملة[(٢)].

وعلى نحو ما أوضح كلا التتابع الجملى ١ و٢ يمكن فى الواقع أن يُوسّع ذلك

---

(١) على سبيل المثال: Wörterbuch der deutschen Gegenwartssprache,hrsg.v.R. Klappenbach u. W. Steinitz. Bd. 5. Berlin 1976, S. 3724. (معجم اللغة الألمانية المعاصر) ;dtv -Wörterbuch der deutschen Sprache, hrsg. V. G. Wahrig. München 1978, S. 773 (معجم اللغة الألمانية) Duden. Stilwörterbuch der deutschen Sprache. 6. Auflage, Mannheim 1971, 680.;.Duden. Das (جوجن. معجم أسلوبى للغة الألمانية) grosse Wörterbuch der deutschen Sprache. Bd. 6. Mannheim 1981, S. 2584. (دودن. المعجم الكبير للغة الألمانية).

(٢) قارن أيضًا ارمرت Ermert ١٩٧٩، ص١٩ .

التحديد بأنه فى اللغة اليومية لا يُوصف إذن تتابع جمل بأنه نص إلا حين يمكن أن يفسر بأنه مترابط وبأنه متماسك من الناحية المضمونية ـ الموضوعية. وبذلك يجب أن تعد سمة التماسك (بمفهوم مضمونى) أساسًا للمفهوم اللغوى اليومى للنص.

٢ -٢ المفهوم اللغوى للنص

٢-٢-١ مقدمة

فى علم لغة النص توجد تعريفات مختلفة للنص؛ ولا يوجد حتى الآن تعريف مقبول بوجه عام. والسؤال أيضًا هل يمكن عمومًا أن يطور مفهوم صحيح بوجه عام للنص، يجيز أن يُحَدَّد ما يجب أن يُعَد نصًا فى جميع الأحوال. إن تحديد موضوع فرع علمى لا يتحدد من خلال خواص الموضوعات (فى الواقع) فحسب، بل إنه يتبع قبل أى شئ أهداف الدراسة المعنية للعلماء أيضًا. وربما لا يلائم تعريف مطلق للنص تلك التبعية المتبادلة بين وضع الهدف وتحديد الموضوع عند بناء نظرية ما ملاءمةً وافية.

ويمكن بنظرة إجمالية أن يُفَرَّق بين اتجاهين رئيسيين لعلم لغة النص، طورا دون شك أهدافًا متباينة، ولذلك أيضًا يحددان موضوع البحث فيها، وهو "النص" تحديدًا متباينا[١].

٢-٢-٢ مفهوم النص فى علم لغة النص القائم على أساس النظام اللغوى

تطور الاتجاه الأول (من الناحية التاريخية أيضًا) لعلم لغة النص[٢] استنادًا إلى

---

(١) قارن حول ذلك بالتفصيل برينكر Brinker ١٩٧٣، وكوبر Kuper ١٩٧٨، وارمرت Ermert ١٩٧٩، ص ١٩ وما بعدها.

(٢) على سبيل المثال هارفج Harweg ، ايزنبرج Isenberg ١٩٦٨؛ شتاينتس Steiniz ١٩٦٨، ودرسلر Dressler ١٩٧٣ وغيرهم.

علم اللغوى البنيوى والنحو التحويلى التوليدى. وعند كل تفريق بالتفصيل تعرف تلك الاتجاهات البحثية اللغوية النظام اللغوى(اللغةLangue،/ الكفاءة اللغوية Kompetenz)[1] بأنه موضوع بحثها المميز، ويفهم تحت ذلك الامتلاك اللغوى لمجموعة ما؛ نظام العناصر والعلاقات للغة بعينها، باختصار: النظام القاعدى للغة ما، الذى يعد أساس الاستعمال اللغوى(الكلامparole،الأداء اللغوىPerformanz)، بوصفه كمًا لا نهائيًا من الناحية النظرية من أفعال الكلام والفهم المعينة، الأبنية اللغوية التى تنشئها(المنطوقات، والنصوص). ويُنْظَر إلى أن مهمة علم اللغة الكشف عن النظام اللغوى المعين بتطبيق مناهج مناسبة (بين ـ ذاتية) (طرئق تحليل وعمليات) {علم اللغة البنيوى}، أو وصف الكفاءة اللغوية الداخلية للمتكلم ـ المستَمع النموذجي بلا تفريق، أى فيما يتعلق بجوانب التواصل (النحو التحويلى التوليدى).

وفى داخل هذه الاتجاهات اللغوية التى لم تحدد معالمها هنا إلا بوجه عام للغاية تعد الجملة لعقود طويلة أعلى وحدة محورية لغوية. ولا يركز علم اللغة البنيوى تقريبًا إلا على تحليل بنية الجملة ووصفها، ولا سيما على تجزئ وحدات لغوية وتصنيفها داخل مستوى الجملة(وهى أركان الجملة، والمورفيمات، والفونيمات)؛ ويحدد علم اللغة التحويلى التوليدى موضوعه بأنه قدرة المتكلم المختص للغة ما على بناء عدد كبير غير محدد من الجمل وفهمه، ويفترض فى ذلك الشكل ذاته لنظام قاعدى، أنه ينبغى أن"يُوَلِّد" كمًا (لا نهائيًا) من جمل لغة ما.

ولم يبدأ نقد أساسى إلى ذلك الاقتصار للبحث اللغوى على مجالات الجملة

---

(١) لايتساوى مفهوم اللغة لدى دى سوسير ومفهوم الكفاءة اللغوية لدى تشومكى. والأهم من الفروق(قارن حول ذلك برينكر١٩٧٢، ص ١٢) فى سياقنا أوجه الاتفاق: فأساس كلا التصورين مفهوم لغوى مستقل، مجرد تمامًا من عوامل اتصالية ـ براجماتية(قارن حول ذلك بالتفصيل برينكر ١٩٧٧، ص١١ وما بعدها، ص ١٤٥ وما بعدها) .

إلا مع نشوء ما يسمى بعلم لغة النص فى منتصف الستينات[1] وساد النظر إلى أن"أعلى/ وحدة لغوية وأشدها استقلالاً"، و"العلامة اللغوية الأساسية" ليست"الجملة"، بل "النص". ولذلك يجب أن يتوجه التحليل اللغوى بشكل أقوى مما هو قائم حاليًا إلى"النص"[2]. وفى الحقيقة لا يرتبط بهذا المطلب تغير جوهرى للأسس السارية الخاصة بالنظرية اللغوية. فعلم لغة النص يفهم(مثل علم لغة الجملة من قبل) بوضوح بأنه علم اللغة الخاص"اللغة" Langue أو بالكفاءة اللغوية. وقد وسَّع بوجه خاص تدرج وحدات النظام اللغوى المفترضة فيما مضى(وهى الفونيم والمورفيم/ الكلمة، وركن الجملة، والجملة) حتى وحدة"النص".

ويفهم من ذلك صراحة أن النظام القاعدى للغة لا يُوَجِّه بناء الكلمة وبناء الجملة فحسب، بل بناء النص أيضًا (تكوين النص)، ويؤسس على أوجه اطراد عامة يفسرها النظام اللغوى.

ويجعل علم لغة النص القائم على النظام اللغوى هدفه اكتشاف تلك المبادئ العامة ووصفها وصفًا منظمًا، وهو يرجع فى ذلك سواء من الناحية النظرية ـ المفهومية أو المنهجية إلى حد بعيد إلى تحديدات علم لغة الجملة ذات الأصل

(١) فى الواقع تصدق أقوال كثيرة سواء فى النحو التقليدى أو فى النحو البنيوى تستند إلى الترابط النصى للجمل(كتلك التى عن الإحالى إلى مذكور سابق وإختيار الأداة، وموقع ركن الجملة، واختيار الزمن، والربط، والتبعية)، غير أن النص هنا لا يقوم إلا بوظيفة سياق لو صف علاقات لغوية نحوية أو معجمية متجاوزة حدود جملة ينظر إليها على أنها مستقلة، دون أن تجعل هى ذاتها موضوعًا. ومع تجاوز حد الجملة والاشتمال على جملة سياقية عند الوصف النحوى فإنه برغم ذلك نادرًا ما مُسَّت مشكلة "النص" بمفهوم صريح للنص. قارن حول ذلك برينكر ١٩٧١، ص ٢١٧وما بعدها .

(٢) قارن مثلاً درسلر ١٩٧٠، ص ٦٤، وهارتمانHartmann ١٩٦٤، ١٩٦٨، ١٩٧١؛ وقارن حول ذلك أيضا برينكر ١٩٧١، ص ٢١٧.

البنيوي أو التوليدى ـ التحويلي. ويعبر عن هذا الترابط بوضوح خصوصًا فى مفهوم النص: فيعرف"النص"بأنه تتابع متماسك من الجمل، غير أن هذا يعنى أن الجملة كما كانت الحال من قبل ينظر إليها على أنها"مَعْلَم رئيسى" فى تدرج وحدات لغوية؛ أى تعد وحدة بناء النص[1]. والنتيجة الأهم لهذا التصور هو أن مفهوم التماسك النصى المركزى بالنسبة لعلم لغة النص قد فهم فهمًا نحويًا محضًا، فهو لا يَسِم فى هذا الاتجاه البحثى اللغوى النصى إلا العلاقات النحوية ـ الدلالية بين الجمل أو بين عناصر لغوية(مفردات، وضمائم...إلخ) فى جمل متعاقبة. وسوف نتناول ذلك بالتفصيل فى الفصل الثالث٣-٣.

٢-٢-٣ مفهوم النص فى علم لغة النص

الموجه العام أساس نظرية التواصل

يعيب الاتجاه الثانى لعلم لغة النص الذى نشأ(فى مطلع السبعينات) ـ نريد أن نطلق عليه"علم لغة النص المُوَجَّه على أساس نظرية التواصل" ـ على الاتجاه الأول بأنه يظهر مجال موضوعه بمظهر مثالى للغاية من حيث إنه يعالج النصوص بوصفها موضوعات مستقلة، ثابتة، /ولا يراعى بشكلٍ كافٍ أن النصوص متضمنة دائمًا فى سياق التواصل، وأنها توجد دائمًا فى سياق التواصل، وأنها توجد دائمًا فى عملية تواصل معيَّنة، يمثل فيها المتكلم والسامع أو المؤلف والقارئ بشروطهم وعلاقتهم الاجتماعية والموقفية أهم العوامل.

ويتطور علم لغة النص الموجه على أساس نظرية التواصل[2] مستندًا إلى البراجماتية التى تحاول أن تصف وتشرح شروط الفهم اللغوى الاجتماعى بين

---

(١) فارن هارفج ١٩٦٨، ص٩ وما بعدها؛ وايزنبرج ١٩٧٠، ص١، وشتاينيتس ١٩٦٨، ص ٢٤٧، ودرسلر ١٩٧٠، ص ٦٤ وما بعدها، ودانش ١٩٧٠، ص ٧٢.

(٢) على سبيل المثال ايزنبرج ١٩٧٠ ، وشميت ١٩٧٣، وكلماير وآخرون ١٩٧٤،وساندج ١٩٧٣، وساندج ١٩٧٣، ١٩٧٨،وايزنبرج، وغيرهم .

شركاء التواصل فى جماعة تواصلية معيّنة، وترتكز فى ذلك من ناحية نظرية اللغة بوجه خاص على نظرية الفعل الكلامى المتطورة داخل الفلسفة اللغوية الانجلو ساكسونية(ج.ل. اوستن، وج. ر. سيرل). وفى إطار منظور براجماتى(خاص بنظرية الفعل الكلامى لم يعد يظهر النص على أنه تتابع جمل مترابط نحويًا، بل على أنه فعل لغوى(معقد) "Sprachliche Handlung"[1] ، يحاول المتكلم أو الكاتب به أن ينشئ علاقة تواصلية معيّنة مع السامع أو القارئ[2]. وهكذا يستفسر علم لغة النص عن الأغراض التى يمكن أن تستعمل فيها نصوص فى مواقف تواصلية، أو استعملت فيها فعلاً أيضًا؛ بإيجاز: إنه يدرس الوظيفة التواصلية للنصوص. وتحدد الوظيفة التواصلية خاصية الفعل لأى نص؛ وهى تسم ـ تصوغ بشكل ما يزال مؤقتًا للغاية ـ نوع الاحتكاك التواصلى، الذى يعبر عنه الباث(أى المتكلم أو الكاتب) [3]بالنص صوب المتلقى(على سبيل المثال مبلّغًا أو مستشيرًا إياه)؛ وهكذا فهى تهب النص "معنى" تواصليًا معيّنًا.

/ إن ربط مفهوم النص بالمفاهيم البراجماتية"الفعل الكلامى" أو"الوظيفة التواصلية" يجعل من الضرورى أن يوضع التفريق بين اللغة والكلام أو بين الكفاءة اللغوية والأداء اللغوى موضع مراجعة اساسية. فقد وسع الآن مفهوم

---

(١) قارن مثلاً شميت ١٩٧٣، ص ١٤٩وما بعدها؛ وساندج ١٩٧٣، ص ٢٠؛ وساندج ١٩٧٨، ص٩٦، وص ٩٩ وما بعدها، وص ١٥٧؛ وفان دايك ١٩٨٠، ص ٩٠ وما بعدها؛ روزنجرن ١٩٨٠، ص ٢٧٥ وما بعدها.

(٢) يفرق غالبًا فى هذا السياق بين" النص" وفعل الاتصال". ولذا يعرف س.ى. شميت(١٩٧٣) مثلاً فعل الاتصال بأنه علاقة معقدة بين مكونات لغوية، ولغوية ـ اجتماعية وغير لغوية فى سياق تواصل ص ١٢٤، وعلى النقيض من ذلك يحدد مفهوم النص لغويًا بأن: النص هو كل جزء لغوى منطوق من فعل الاتصال فى ممارسة فعلية تواصلية، مُوَجّه موضوعيًا، ويؤدى وظيفية تواصلية مدركة (ص ١٥٠). وهكذا ففعل الاتصال هو الوحدة التى تتقدم على النص مباشرة.

(٣) أدخل مصطلح الباث"Emittent" هـ جلنتس (١٩٧٧، ص ١٧) لوصف الشخص الذى ينطلق منه النص، أى المؤلف، والناشر، والمكلف بأمر وما أشبه.

النظام اللغوى أو الكفاءة اللغوية، مثلما هو ما يزال مميزًا للمرحلة الأولى من علم لغة النص القائمة على أساس النظام اللغوى، إلى مفهوم للكفاءة اللغوية التى عرفها د. فوندرليش D. Wunderlich بأنها كفاءة المتكلم فى الدخول بمساعدة منطوقات لغوية فى تواصل[(١)]. وتبعًا لذلك تضم الكفاءة التواصلية الأبنية والقواعد التى تعينُ تنشيطَ الكفاءة اللغوية فى سياقات تواصل محددة.

ولا نستطيع هنا أن تستمر فى متابعة النقاش المتعدد الجوانب حقًا حول مفهوم الكفاءة التواصلية[(٢)]. فلا يمكن أن توصف وأن توضح العلاقة بين الكفاءة اللغوية والكفاءة التواصلية وصفًا وتوضيحًا كافيين إلا فى إطار نظرية كلية للفعل التواصلى. وما تزال تلك النظرية الممكنة القائمة على أساس متداخل الاختصاصات غير قائمة، فحتى الآن لا يوجد حول ذلك إلا سلسلة من الطرائق البحثية الشديدة الاختلاف فى بعض منها. غير أنه قد صار واضحًا فى أثناء ذلك أن مجرد توسيع إضافى لعلم لغة النص الموجه على أساس النظام اللغوى ليضم مكونًا اتصاليًا ـ براجماتيًا لم يفضِ إلا بالكاد إلى نموذج لغوى نصى كاف للوصف. وأدمجت على الأرجح نماذج النص الموجهة على أساس النظام اللغوى فى النهج البحثى البراجماتى أو المتعلق بنظرية الفعل. إذن يعزى للنهج البراجماتى داخل عملية البحث الكلية لتحليل النص أهمية غالبة باعتبار أنه يمثل الجانب الأشمل لعلم لغة النص، ويمكن أن يبين عرض عابر لمجرى إنتاج النص أن اختيار الوسائل اللغوية (الجانب النحوى)، وبسط موضوع أو

---

(١) قارن فوندرليش. ١٩٧٠، ص١٣.

(٢) قارن حول ذلك هفله Häfele ١٩٧٩، ص ٩ وما بعدها، الذى تناول أوجه قصور ما تسمى نماذج الكفاءة الزائدة، أى نماذج تضيف إلى كفاءة لغوية كفاءة تواصلية فى هيئة زيادة. إذ"إننا لما كنا مع الفعل اللغوى لا نفعل مرتين، نبنى جملاً من جهة، وننجز أفعالاً كلامية من جهة أخرى، بل إننا لا نفعل إلا مرة واحدة، حيث ننطق جملاً، فيجب أن تصف نظرية الكفاءة كفاءة الفعل اللغوية، التى تتضمن فيها دائمًا القدرة على بناء الجمل (ما سبق ص ٩).

موضوعات نص ما أيضًا (الجانب الموضوعى) يُوجه توجيهًا تواصليًا ، أى يحدد القصد التواصلى للباث وعوامل / الموقف الاجتماعى أيضًا، مثل الإطار المؤسسى، وطبيعة العلاقة بين المشاركين فيه(كعلاقة الأدوار، ودرجة المعرفة فيما بينهم) وتقدير المشاركين (كالافتراضات حول معرفة المتلقى وأساس القيمة لديه).... إلخ. وما تزال هذه العلاقات غير واضحة إلى حد بعيد.

٢ -٣ اقتراح مفهوم مدمج للنص

لا يعد الموقفان الأساسيان لعلم لغة النص اللذين سبق تقديمهما، وهما النهج القائم على أساس النظام اللغوى، والنهج المُوجه على أساس التواصل، تصورين بديلين، بل متكاملين، ويتصل بعضهما ببعض إتصالاً وثيقًا. ويتطلب تحليل لغوى كاف للنص مراعاة كلا الاتجاهين البحثيَّين، حيث يجب أن يشكل النهج البراجماتى ـ الاتصالى ـ كما وضح من قبل ـ الأساس المحورى النظرى ـ المنهجى.

هذا الفهم لا يضع فى حسابه إلا مفهوم النص الذى يُمكِّن من وصف النص على أنه وحدة لغوية وتواصلية فى الوقت نفسه. ويطابق التعريف الآتى للنص ذلك الشرط: يَسِم المصطلح "نص" تتابعًا محدودًا من علامات لغوية متماسكة فى ذاتها، وتشير بوصفها كلاً إلى وظيفة تواصلية مدركة.

يتضمن هذا التعريف سلسلة من التحديدات التى تفتقر إلى مزيد من الإيضاح.

فمن الناحية اللغوية توصف وحدة" النص" بأنها تتابع من علامات لغوية.

وأساس ذلك التحديد هو مفهوم دى سوسير للعلامة اللغوية بأنها وحدة ذات وجهين؛ بأنها ربط محكم بين "Signifié" ("مدلول، معنى، مضمون") و" Signifiant"("دال، شكل، تعبير")[1].نحن نفرق بين علامات لغوية (أساسية)

(١) قارن حول ذلك برينكر ١٩٧٧، ص ١٥ وما بعدها.

بسيطة(مثل المورفيمات، وإلى حد ما المفردات أيضًا) وبين علامات معقدة (مثل الضمائم (المركبات) و(الجمل). وينظر إلى الجملة على أنها أهم وحدة بناء للنص. ولذلك لا ينبغى أن يقال إن أبنية لغوية أصغر أيضًا (مثل المنطوقات المكونة من كلمة واحدة، مثل: حريق! والنجدة! أو منطوقات مكونة من جملة واحدة مثل: ممنوع الدخول إلى موقع البناء!) فى إطار شروط موقفية محددة للغاية لا يمكن أن تقوم بوظيفة"النصوص" بالمعنى التواصلى، غير أن تلك الأبنية بغض النظر عنها فيما يأتى؛ فعلم لغة النص يهتم فى المقام الأول بالنصوص التى يظهر فيها درجة أعلى من التعقد سواء من الناحية النحوية أو من/ الناحية الموضوعية. وبذلك تشكل النصوص التى تتحقق بوصفها تتابعات من جمل، فى الأساس مجال موضوع التحليل اللغوى للنصوص(حول تعريف وحدة"الجملة" قارن ما يلى المبحث٣-٢):

ومع التحديد القائل بأنه لا يطلق"نصوص" إلا على علامات أو تتابعات جملية متماسكة يكون المفهوم السابق الذكر للتماسك النصى Textkohärenz قد قرر، وهو المفهوم الذى يؤدى دورًا محوريًا فى النقاش الحالى لعلم لغة النص[1]. بيد أنه قد استخدم فى الغالب إلى حد ما استخدامًا عاماً، ولم يُحدد تحديدًا دقيقًا.

---

(١) يفرق فى بعض البحوث اللغوية النصية بين الربط النحوى والتماسك الدلالى (كما فعل بوجراند/ درسلر ١٩٨١، ص ٣ وما بعدها)، فالربط النحوى Kohäsion يعنى ربط العناصر السطحية للنص بوسائل نحوية عددة (قارن أيضًا هاليداى/ حسن ١٩٧٦)، بنيما يّسم التماسك الدلالى Kohärenz العلاقة التصورية للنص، أى الائتلاف الأساسى بين المفاهيم والعلاقات. هذا التفريق ليس ضروريًا؛ إذ يمكن أن يكون مضللاً أيضًا، حين يستخدم فى دمغ علم لغة النص الأقدم بأنه"علم لغة الربط النحوى" (كما لدى نوسباومر Nussbaumer ١٩٩١، ص ١٠٢ وما بعدها). وقد لوحظت منذ البداية الصلة الوثيقة بين أشكال صريحة(مورفولوجيّة ـ نحوية) وضمنية (دلالية ـ إدراكية) للتماسك النصى (قارن حول ذلك برينكر ١٩٧١). ونتطلق فيما يأتى من مفهوم شامل للتماسك يميز وفق جوانب مختلفة (نحويًا، وموضوعيًا، وبراجماتيًا، وصريحًا، وضمنيا... إلخ).

وفيما يأتى سنفرق بين شروط التماسك النحوى وشروط التماسك الموضوعى (قارن ما يلى الفصل الثالث).

ومن الناحية التواصلية توصف وحدة"النص" من خلال مفهوم الوظيفة التواصلية، الذى يقوم على الفعل الإنجازى فى نظرية الفعل الكلامى (أوستن، وسيرل، وفوندرليش). ويُقَيِّد مفهوم الوظيفة التواصلية (وظيفة النص) مفهوم النص الموجه نحويًا (النص تتابع متماسك من الجمل) فى المرحلة الأولى من علم لغة النص، وينظمه فى الوقت نفسه فى تصور أساسى للغة على أنها أداة التواصل أو الفعل. ويمكن خلف ذلك الفهم الذى مفاده أن تتابعًا جمليًا متماسكًا، أى أنه مترابط نحويًا ومضمونيًا فى حد ذاته، لا يفى بعد بمعيار النصية Textualität[1]، الذى لا يحدث إلا من خلال الوظيفة التواصلية التى تبقى على ذلك التتابع الجملى داخل موقف التواصل.

وينبغى أن يتناول مفهوم وظيفة النص فى الفصل الرابع بتحليل أكثر دقة.

يشير التحديد القائل إن النصوص تمثل تتابعات جملية محدودةً إلى ما تسمى إشارات تحديد النص. والأمر فى ذلك يدور حول وسائل لغوية، وغير لغوى معينة، ومن الإشارات اللغوية لبداية النص أو نهايته على سبيل المثال العناوين، وعنوان الكتاب وصياغات معينة للتمهيد والاختتام. ومن الوسائل غير اللغوية تذكر بوجه خاص مواضعات الصف الطباعى (حجم الحروف مع العناوين ومقدار الأسطر الفارغة...إلخ)، وكذلك الوقفة الكلامية المقصورة على نصوص منطوقة (وهى فى الواقع ليست واضحة دائمًا كمعيار للفصل). وهكذا

(١) فى علم لغة النص. تُجملُ الشروط العامة التى يجب أن يفى بها بناء لغوى حتى يعد نصًا بوجه عام، تحت مفهوم النصية (قوة التلاصق النصى) (قارن مثلاً شميت ١٩٧٣، ص ١٤٤ وما بعدها؛ وديمتر Dimter ١٩٨١، ص ١ وما بعدها؛ دى بوجراند / درسلر ١٩٨١، ص ٣ وما بعدها).

فإن إشارات تحديد النص هذه وغيرها تَسِم تتابع العلامات أو التتابعات الجملية التي تمتلك بالنسبة للباثّ خاصية الاستقلال والإتمام، وبإيجاز: التي يرغب في أن يدركها على أنها نصوص.

وحين نقارن أخيرًا التعريف المقترح للنص بالمعنى اللغوي اليومي للنص فإنه ينتج عن ذلك الملحوظتان الآتيتان:

ـ خلافا للاستعمال اللغوي اليومي لا يصف مصطلح "نص" في علم اللغة بناءً لغويًا مكتوبًا (متشكل كتابة) فحسب، بل منطوقات شفوية أيضًا. وفي الواقع حصل في ذلك تقييد من جهة اتجاه التواصل: فالتحليل اللغوي للنص يُعْنَى بالنص الحوراي الذاتي(المونولوجي) خاصةً (كاتب أو متكلم). وعلى النقيض من ذلك تُدْرَس الأبنية الحوارية الثنائية (المحادثات) بدرجة أقل داخل علم لغة النص، وتدرس بالأحرى في إطار فرع لغوي جديد، يسمى تحليل الحوار الثنائي أو المحادثة[1]. وهذا التقييد بالنص الحواري الذاتي(في صورة مكتوبة أو شفوية) تسوغه ضمن ما تسوغه الأسباب الآتية: خلافًا لنص الحوار الذاتي تشكل المنطوقات المكوّنة من عدد من المشاركين في التواصل فقط مع الحوارات الثنائية أو المحادثات عادةً بنية لغوية متماسكة. غير أن مفهوم الوظيفة التواصلية الذي يعد أساس تعريف النص المقترح يتعلق أساسًا بالمتكلم أو الكاتب المفرد(قارن حول ذلك ما يرد في المبحث ٤-٣)، بحيث يبدو تطبيق مفهوم النص على التواصل الحوراي الثنائي إشكاليًا على الأقل.

نحن نركز فيما يأتي على نصوص حوارية ذاتية متشكلة كتابةً ـ بغض النظر

(١) قارن حول ذلك رمجه Ramge ١٩٧٨؛ وهِنّه/ ريهبوك Henne/ Rehbock ١٩٨٢؛ برينكر/ سجر ١٩٨٩.

عن بعض استثناءات فى الفصل الثالث ـ حيث / تتصدر النصوص غير الأدبية؛ ما تسمى نصوص الاستعمال (العادى)(١).

ـ يؤكد تعريف النص المقدم أعلاه بصورة أقوى على الجانب التواصلى؛ غير أن ذلك قد اشتُمل عليه فى الاستعمال اللغوى اليومى للنص بصورة ضمنية على الأقل، لأنه فى اللغة اليومية أيضًا لا تسمى نصوصًا إلا تلك التتابعات الجملية التى يمكن أن يُلحق بها صاحب اللغة "معنى" تواصليًا.

(١) يفهم تحت ذلك نصوص لا ترتبط عادة "بأى مطلب جمالى ـ أدبى خاص" (قارن ديمتر Dimter ١٩٨١، ص ٣٥). ويجب أن يلاحظ فى الحقيقة أنه يصعب إقامة حد صارم دائمًا بين نصوص أدبية ونصوص الاستعمال العادى، مثلما فى الحال مع ما تسمى نصوص الاستعمال الأدبية كالرسائل والمذكرات والمقالات والمواعظ.... إلخ (قارن حول ذلك بلكه Belke ١٩٧٣). ـ وربما جعل النقاش حول المفهوم الخلافى للشعرية Poetiztät والجمالية Ästhetizität الاهتمام الأكبر لما تسمى بالنصوص الأدبية أمرًا ضروريًا، وهو ما لا يمكن أن يحدث فى إطار هذا الكتاب.

٢ - تحليل بنية النص

٢ -١ مقدمة

لقد وصفنا النص بأ نه وحدة لغوية تواصلية. وفى هذا الفصل ينبغى أن يتصدر الجانب اللغوى. فالأمر يتعلق بوصف بنية النص؛ وهى تدرك على أنها تكوين من علاقات، توجد بين الجمل أو القضايا بوصفها العناصر المباشرة لبنية النص، وتحدث الربط الداخلى، التماسك الدلالى للنص.

ونعرض بنية النص على مستويين يرتبط كل منهما بالآخر ارتباطًا وثيقًا؛ المستوى النحوى والمستوى الموضوعى.

وعلى مستوى الوصف **النحوى** ندرس "التماسك النحوى"، أى العلاقات النحويةـ الدلالية الوثيقة الصلة بربْط النص بين الجمل المتعاقبة فى نص ما. ومن بين الوسائل اللغوية المختلفة التى تقيم هـذه العلاقـات، تعـزى إلى مبـدأ الإعادة أهمية خاصة لتكوين تماسك النص؛ وهو قد وقع كذلك فى بدايات علم لغة النص فى قلب البحث، وما يزال يؤدى حاليًا أيضًا دورًا ذا شأن داخل النقاش اللغوى النصى[١]. ونريد أن نعرض هذا النهج المهم للربط النصى فى المبحث ٣-٣.

---

(١) توجد فى المراجع لهذا المبدأ مصطلحات متباينة، مثل: التحاول Koreferenz (ايزنبرج ١٩٧)، و"الإضمار" (براونمولر١٩٧٧)، و"الاستبدال السينتجمانى" (هارفج ١٩٦٨) "وعلاقة

وعلى المستوى الموضوعي يتعلق الأمر بتحليل الربط الإدراكى الذى يُنشئه النص بين الأحوال (المضامين الجملية والقضايا) المعبر عنها فى الجمل.

وننطلق من ذلك إلى أن مضمون النص ("المعلومة الكلية" لنص ما) يفهم على أنه نتيجة"عملية استنباط"، بالتحديد: نتيجة بسط نواة المضمون("المعلومة الأساسية"، الموضوع بالمفهوم اللغوى اليومى) وفق مبادئ (مُوجهة اتصاليًا آخر الأمر) (المبحث ٣-٤).

وينبغى فى المبحث٥-٣ أن يعالج بعض الأشكال الأساسية للبسط الموضوعى معالجة أكثر دقة.

ويؤدى وصف العلاقات المنطقية ـ الدلالية التى توجد فيها القضايا المفردة أو المركبات القضوية فى نص ما حول الموضوع (بوصفه نواة المضمون) إلى البنية الموضوعية للنص.

وقبل أن نتناول المبادئ النحوية والموضوعية لبنية النصوص تناولاً مفصلاً يجب أن تحدد الوحدة النصية الأساسية"الجملة" تحديدًا أكثر دقة.

٢-٢ الجملة بوصفها وحدة نصية أساسية

تعد الجملة من الناحية النحوية الوحدة المحورية لبنية النص. وبذلك يطرح السؤال: كيف تحدد وحدة"الجملة"؟ وبذلك يمكن أن تقدم أساسًا مناسبًا لتحليل النص. ويضع هذا السؤال اللغويين فى وضع قل أن يحسدوا عليه، إذ لم يوفق علم اللغة إلى الآن فى أن يطور تعريفًا للجملة مقبولاً بوجه عام. ويمكن

الإحالة" (كلماير وآخرون ١٩٧٤). ولا يتعلق الأمر فى ذلك باختلافات اصطلاحية فحسب، إذ ترتبط الفروق المفهومية بشكل جزئى باصطلاحات متباينة أيضًا، حسب نوع الخلفية المتعلقة بالنظرية اللغوية أو النظرية النصية التى بحثت وفقًا لها. ولا نستطيع هنا أن نتوسع فى تناول ذلك. ـ حول علاقات الإحالة فى النصوص قارن أيضًا فاتر Vater ١٩٩١ .

للمرء الآن أن ينظر فى الانطلاق من علامات الوقف Interpunktion لتجزئة نص ما إلى جمل - على الأقل طالما جعلت اللغة المكتوبة أساسًا[١]. فقد قرر من خلال العرف أن وحدات تتصف باستقلال وتمام نسبيين داخل سياق أكبر للفقرة والنص تَحُدُّها نقطة أو علامة نداء أو علامة استفهام مع كتابة أول الكلمة التالية بحرف كبير. الجملة إذن قُطَيْعَة من نص، توصف من خلال نقطة أو علامة استفهام أو علامة نداء وكتابة بحرف كبير لاحقة بذلك بأنها وحدة مستقلة نسبيًا. وفى الواقع يكمن فى استخدام العلامات المتواضع عليها مجال للحركة لا يجوز أن يُقوم تقويمًا هينًا. فنحن لا نقابل نادرًا نصوصًا (مثل نصوص الدعاية أو نصوص أدبية كالقصائد)، تكون فيها علامات الجملة جد حرة أو غير مستخدمة على الإطلاق، إذ يُراد من ذلك تحقيق تأثير خاص.

وهكذا لا تستطيع علامات الوقف فى نص ما أن تبين ما يجب أن يعد جملة أساسًا وبوجه عام، بل لا توضح إلا/ كيف أراد المؤلف أن يكون نصه مقسمًا. وهكذا فإن علامات الجملة السابق إيرادها(النقطة، وعلامة الاستفهام، وعلامة النداء مع كتابة تالية بحرف كبير) تَسِم قطع نص ما، تتمتع بالنسبة للمؤلف بخاصيتى استقلال وتمام نسبيتين.

ولا يمكن أخيرًا أن يطبق هذا المفهوم للجملة الذى له طابع ما قبل علمى(لغوى يومى) على الإطلاق على نصوص شفوية؛ فهى تقسم وفق سمات أخرى.

وهكذا لا يمكن أن يكون تعريف النص المؤسس على علامات الوقف إلا مؤقتًا، يستخدم لتقسيم أولى للمادة اللغوية. وبهذا المعنى نريد أن نستخدمه

---

(١) هكذا لدى جلنتس ١٩٧٥، ص ٢٦ وما بعدها.

أيضًا عند التحليلات النصية التالية. ولكننا من أجل الوضوح لا نتحدث عن "جملة" بل عن "جزء نصيّ"، أو ببساطة عن جزء Segment[1].

ومن الضرورى لتطوير مفهوم نحوى للجملة أن يفرق بمفهوم الثنائية السابق ذكرها للعلامة اللغوية بين الجانب التعبيرى والجانب المضمونى للجمل.

ونريد ابتداءً أن نقدم تعريفًا للجملة قائمًا على التعبير أساسًا، ونربط ذلك بنحو التبعية أو التكافؤ الراجع إلى ل. تنيير L.Tesnière[2]. على أساس نموذج التكافؤ يمكن أن يعرف الجملة بأنها وحدة لغوية، تتشكل من فعل(محمول) بوصفه المركز التركيبى وسلسلة من مواقع أركان الجملة(الفاعل، والمفعول والتحديات الظرفية إلخ)، التى تقع مل منها فى علاقات تبعية محددة للفعل "المرتكز". وتبعًا لذلك يمكن أن تتحقق الجمل بوصفها جملاً بسيطة أو جملاً جزئية(على سبيل المثال جمل رئسية، وجمل فرعية فيما تسمى تكونيات جملية) ويمكن أن يتَضح الفرق بين ذلك التعريف النحوى للجملة ومفهوم الجملة القائم على علامات الوقف بشكل جيد نوعًا ما بالأبيات الآتية لـ م. كلاوديوس M.Claudius.

(١) غاب القمر، تتلألأ النُّجَيْمات الذهبية فى السماء مضيئة وصافية؛ تنتصب الغالبة حالكة وتصمت، ومن المروج يصعد الضباب الأبيض رائعًا.

فمن ناحية علامات الوقف لا توجد إلا جملة واحدة؛ غير أنه من الجانب

---

(١) أرى أن يترجم المصطلح إلى "جزء" بدلاً من "قطعة" توافقًا مع ترجمة مصطلح "Segmentierung"، وهى عملية "التجزىء" أو "التجزئة"، وإن كان بعض اللغويين يؤثر الاختيار الثانى، ويفصل ذلك على النحو الآتى: التحليل القطعى segmental analysis تحليل لغوى يعتمد القطعة(segment) أساسًا له، ولا سيما القطعة الصوتية(الصوت)، ومن القطع الأخرى التى يمكن إجراء هذا التحليل على أساسها: القطعة الفونيمية(المورف)، والقطعة النحوية(الكلمة أو الجملة).

(٢) حول نموذج التبعية أو التكافؤ قارن برينكر ١٩٧٧، الفصل الرابع ٤-٣ .

النحوى يمكن أن يفرق على الأقل بين أربعة جمل (جزئية)[(١)]. إذن يمكن أن يبين تحليل السياق النحوى،/ على أى نحو ربطت هذه الجمل داخل "الجملة الكلية". هنا يدور الأمر حول تتابع من جمل بسيطة يجاور بعضها بعضًا، حيث تُوصل الجملة الأخيرة برابط عطف وهو (الواو). يتحدث النحو التقليدى عن "ربط الجملة Satzverbindung"[(٢)].

ويمكن الآن أن يزود النص (١) بعلامة الجملة على النحو الآتى أيضًا:

(١،) غاب القمر. تتلألأ النجيمات الذهبية فى السماء مضيئة وصافية. تنتصب الغابة حالكة وتصمت. ومن المروج يصعد الضباب الأبيض رائعًا.

فبينما لا يتغيّر شىء من الناحية النحوية يؤدى تحديد الجملة المقام حسْب علامة الوقف (النقطة هنا) إلى أربعة جمل. وهكذا تكمن ميزة التعريف النحوى للجملة فى أنه توجد مع التحليل النصى لنصوص مختلفة أوجه تقطيع (تجزئ) موحدة، ومن ثم فهى قابلة للمقارنة[(٣)].

وليس نادرًا أن توجد فى نصوص قطع، لا ترتكز صراحة على محمول. هذا ما يُبينه المقطع النصى الآتى:

(٢) ١- كان جو الإجازة الأخيرة مطيرًا. ٢- بدت ستوكهولم كصورة سيئة "أبيض وأسود". ٣- خشنة وباهتة بعض الشىء. ٤- قُدْتُ كثيراً سيارة ٥- سيارة لم أخبرها إلى الآن، فولفو...

(١) يمكن للمرء أن يفترض خمس جمل، إذ تضم الجملة الجزئية الثالثة فعلين (تنتصب وتصمت)، ويمكن أن يكرر ذهنيًا الفاعل "الغابة" ـ بصورة صريحة: تنتصب الغابة حالكة، وتصمت (الغابة). وهكذا فإن الأمر حسب هذا الفهم يتعلق بجملتين متجاورتين يربط بينهما الرابط (الواو).

(٢) قارن حول ذلك نحو ـ دودن ١٩٧٣، ص ٥٩٢.

(٣) يمكن أن يشار كذلك إلى أن علامة الوقف المتغيرة فى مقابل الأصل ليس لها فى الحقيقة أهمية من الناحية النحوية، بل من الناحية الأسلوبية ـ السمعية، حيث تؤثر فى توجيه الصوت لدى القارئ (قارن حول ذلك جلتس ١٩٧٩، ص ٤٥).

(من إعلان لشركة فولفو)

في تلك الحالات يمكننا في الغالب تقديرًا أن نكرر المحمول(فعل) الجملة المتقدمة أن ندخل جديدًا (عند قراءة نص ما أو فهمه تجري هذه العملية عادة دون وعي). المحمول موجود إذن ضمنيًا. ونطلق على تلك الجمل "جملاً مجتزأة elliptische Sätze". ويمكن عند التحليل أن يصرح بأجزاء الجملة المتروكة. وفي ذلك لا يتعلق الأمر بأجزاء فعلية فقط؛ إذ يمكن أن تترك أركان أخرى للجملة أيضًا (الفاعل مثلاً). ونريد أن نوضح ذلك بمثالنا (أضيفت اجزاء الجملة الضمنية، المقدرة بين أقواس).

(٢،) كان جو الإجازة الأخيرة مطيرًا. بدت ستوكهولم كصورة سيئة"أبيض وأسود". (بدت/ ظهرت ستوكهولم خشنة وباهتة بعض الشيء./ قُدْتُ كثيرًا سيارة. (قُدْتُ) سيارةً لم أخبرها إلى الآن، (قُدْتُ) فولفو.

ويمكن أن تفسر الجمل المجتزأة كثيرًا أيضًا بأنها "ملحقات Nachträge "[1]،فمثلاً الجملة ٣ ملحقة بالجملة ٢، والجملة ٥ ملحقة بالجملة. ٤ .ومع تلك الملحقات توجد مساحة معينة للفصل؛ وهي يمكن أن تدرك من الناحية النحوية على أنها إما جزء من الجملة المتقدمة وإما جمل مجتزأة.

وأخيرًا توجد كذلك قطع نصية، ترتكز صراحةً ولا ضمنيًا على جملة بالمفهوم النحوي(مثل المخاطبات وعبارات التحية واستعمالات محددة أخرى وما أشبه). وهي لا يستوعبها التعريف المطور أعلاه للجملة، إذ الأمر يتعلق بتعبيرات بلا قيمة جملية. نحن نتحدث في تلك الحالات عن"تعبيرات ليس لها قيمة جُمليَّة "أو ضمائم".

(١) المصطلح نقلاً عن جلنتس ١٩٧٩، ص٤٥.

إن مفهوم الجملة المتعلق بنحو التكافؤ ـ كما قيل ـ موجه أساسًا إلى بنية تعبير الجملة. غير أن للجمل بوصفها علامات لغوية(معقدة) جانب المحتوى أيضًا، وهو يتصل أساسًا بدلالة الجملة(بمفهوم ضيق) [١]، أى بالحال التى تعبر عنها الجملة. التى نصفها بالقضية. ولإيضاح مفهوم القضية نعقد صلة بنظرية الفعل الكلامى لـ ج. ر. سيرل J.R.Searle، الذى يميز بين الدور الإنجازى والمحتوى القضوى.فمن الممكن أن يجزأ فعل كلامى، مثل: "يعطى وعدًا" (مثال: أعدك أن آتى غدًا) تبعًا لذلك إلى جزءين: يتضمن الجزء الأول مؤشر نمط الفعل الكلامى، يصف إذن كيفية الاتصال، أى العلاقة التى ينشئها المتكلم ج .ل. أوستن) المصطلحين"الفعل الإنجازى illokutonärer Akt" أو "الدور الإنجازى (للمنطوق)". أما الجزء الثانى(التابع من الناحية النحوية(أن آتى غدًا) يُقسم إلى الإحالة، أى وضع موضوع الاتصال(أنا)، والحمل، أى إلحاق خواص بالموضوع المحدد (أن يأتى غدًا). ويطلق سيرل على هذه المكون للفعل اللغوى "الفعل القضوى" أو"المحتوى القضوى" (للمنطوق). ومن الناحية النحوية تتحقق الإحالة من خلال الأعلام والضمائر وضمائم إسمية أخرى، ويتحقق الحمل من خلال المحمولات[٢].

وينتج عن التفريق بين الإنجاز والقضية أن ثمة أفعالاً إنجازية مختلفة يمكن أن يكون لها المحتوى القضوى ذاته. ويمكن للقضية"هانز يغادر الحجرة" مثلاً أن تربط بأدوار إنجازية تالية: يغادر هانز الحجرة (تقرير أو زعم) ـ هانز، غادر الحجرة!(طلب) ـ هل غادرهانزالحجرة؟(سؤال) ـ ليت هانزيغادر الحجرة! (تمنٍ) .. إلخ. فالمتكلم يشير فى المنطوقات إلى ذاتها(هانز، وحجرة معينة)، التى أُنشِئت بينها علاقة معينة (المغادرة) (الحمل).

---

(١) يعنى ذلك: دون إدخال الوظيفة التواصلية للجملة فى مواقف كلامية معينة(انظر حول ذلك المبحث٤-٢).

(٢) قارن حول ذلك سيرل ١٩٦٩، الفصل الثانى.

إن مفهوم القضية أساسى لتحليل كل من البنية النحوية والبنية الموضوعية للنص.

ويلاحظ باختصار:

أننا نحاول تحديد الكم المعقد"الجملة" بأن نفرق مفهوميًا واصطلاحيًا بين قطعة نصية وجملة وقضية. فهذه الوحدات فى الواقع تتصل فيها بينها اتصالاً وثيقًا. غير أنه لا توجد بينها تطابق واحد إلى واحد؛ إنها تمثل بالأحرى طبقات مختلفة لبنية المنطوق؛ القطع النصية وحدات تقسيم لسطح النص، ولكن الجمل هى الوحدات النحوية للبنية، والقضايا هى الوحدات الدلالية للبنية.

وكما وُضِّح من قبل تتكون القطعة النصية فى الأغلب من عدة جمل (وقضايا)، ولكنها يمكن ألا تشتمل أيضًا إلا على جملة مجتزأة أو تعبير ليس فى قيمة الجملة. ويمكن أن تتضمن جملة ما على أكثر من قضية، وتتحقق قضية ما خلال جُمل عدة.

وهكذا فالمنطوق: أنهى هانز الكتاب برغم مرضه، مثلاً هو جملة مكونة من قضيتين، إذ يمثل التحديد الظرفى المُقيَّد (الاعتراضى) (فى الألمانية trotz seiner Krankheit) قضية (فالصورة الصريحة: أنهى هانز الكتاب، مع أنه مريض/ ستكون جملة. من جملتين، غير أنهما لا يحققان إلا قضية واحدة. فمع جملة أن dass Satz– يدور الأمر حول ما تسمى الجملة المفعول (هانز يظن س "شيئًا)، التى يُدمج مضمونها فى قضية الجملة الرئيسية (باعتباره جزءًا ثانيًا من الإحالة) . ويمكن أيضًا أن يفُهم المنطوق: الرجل الذى سطا على البنك، أمسكته الشرطة. على أنه تحقيق لمنطوق واحد، إذ إن جملة الصلة ـ قياسًا على الصفات والتوابع الحرفية إلخ ـ تُوَسِّع جزء الإحالة[1].

(١) قارن حول ذلك مورجنتالر Morgenthaler. ١٩٨٠، ص ١٠١ وما بعدها، الذى عالج إمكانات التوسيع والتفريق والتعقيد المختلفة للمخطط القضوى العام من الشكل م(ع) (م= محمول" ؛ وع= موضوع).

/ بيد أننا هنا لا نريد أن نستمر فى معالجة قضايا الحد هذه؛ فالأمر يتعلق فى ذلك بجوانب تحليلية صغرى لتحليل النص، لا تؤدى فيها يأتى إلا دورًا ثانويًا.

نريد الآن أن نتوجه إلى الشروط النحوية والموضوعية للتماسك.

٣-٢ الشروط النحوية للتماسك النصى

٣-٣-١ صوَر الإعادة

٣-٣-١-١ الإعادة الصريحة

يمكن أن يفرق بلغة مبسطة بين إعادة صريحة وإعادة ضمنية[١].

فالإعادة الصريحة تكمن فى تطابق الإحالة (تساوى الإشارة) لتعبيرات لغوية معينة فى الجمل المتعاقبة لنص ما، إذ يكرر تعبير معين(كلمة أو ضميمة مثلاً) من خلال تعبير أو عدة تعبيرات فى الجمل المتابعة للنص فى صورة مطابقة إحالية. ويعنى مفهوم"المطابقة الإحالية (و"التحاولKoreferenz") أشخاصًا، وأشياء وأحوالاً، ووقائع، وأفعالاً، وتصورات ....إلخ.

ونريد الآن أن نوضح المبدأ ببعض الأمثلة، التى يدور الأمر فيها حول الإعادة من خلال أسماء أو ضمائم إسمية[٢] أو ضمائر[٣].

---

(١) قارن برينكر ١٩٧٣، ص١٤ وما بعدها.

(٢) تتكون الأبنية التى نريد أن نطلق عليها ضمائم اسمية من "جزء ضميرى" (الأداة، والضمائر، والأعداد) و/ "أو "جزء وصفى " (صفات ومشتقات، ونواة (اسم)، مثل: دخل المنزل الذى (أداة + اسم) ـ دخل المنزل الجميل (أداة + اسم + صفة) ـ دخل المنزل الساكن (أداة + اسم + مشتق) ـ دخل المنزل الذى بناه صديقه قبل ستين فى ضاحية المدينة (أداة + اسم + جزء وصفى معقد قائم على مشتق (الذى بناه= المبنى) ـ ترجع المصطلحات جزء ضميرى ، وجزء وصفى، ونواة، إلى جلنتس ١٩٧٥ أص ١١٠.

(٣) تمثل الإعادة من خلال أسماء وضمائر فى الواقع أهم إمكانية للإعادة؛ ولكن يمكن أن تقوم أقسام كلام أخرى أيضًا بوظيفة تعبيرات مستأنفة (مثل الظروف والصفات والأفعال).
ـ قارن حول ذلك برينكر ١٩٧١، ص ٢٢٢.

أمثلة:

(١) كان رجل[١] فى الطريق على عجلة، وأراد أن يصعد جبلاً؛ فرأى (هو) شيئاً ملقى على الأرض، فتوقف عنده. كان الرجل يدعى أوبرستالن.

ولم يكن يرى فى نفسه شيئًا ذا قيمة، ولم يكن (هو) ليفلت نظر أحد، وقد ضاق ذرعًا بالأضابير الرسمية.

(عن: ج. جايزر، صوت ينطق. رواية ١٩٥٠ ـ بداية نص)

(٢) رمى هـ.ى. **أو المحامى من دوسلدورف البالغ ٤٧ عامًا** بتهمة من أشنع التهم. فلعل رجل القانون قد دبَّر اختطاف المليونير ت .أ، وطالب مبتزًا أسرته بسبعه ملايين مارك.

(من جريدة: دى تسايت Die Zeit فى ١٩٧٢/١/٧ تحت عنوان بالخط العريض "حَمَل أسود").

(٣) جُرح رجل بالمعاش بالغ من العمر ٧٩عامًا فى مساء الثلاثاء من سيارة جرحًا مميتًا، وخلال النهار عثر على **المركبة المتلفة** وثلاثة من ركابها.

(من جريدة: دى فيلت Die Welt فى ١٩٨٠/٦/٤ تحت عنوان بالخط العريض "أُمْسِك بسائق الموت").

(٤) بطريقة غير مألوفة أراد **رجل من يفوز تسهايم عمره ٤٣ سنة** أن ينتحر فى مساء الثلاثاء. وكما أخبرت الشرطة كان العامل الفنى قد أحضر من مسكنه إلى حجز اضطرارىّ بعد مشاحنات. هناك أفرغ الموظفون طبقًا للتعليمات

---

(١) تحدد التعبيرات المرجعية فى نصوص هذا الفصل بخط سميك، والتعبيرات المستأنفة بخط مائل.

جيوب المخمور ليتجنبوا "حاقات" السجين وبعد نصف ساعة وجد الموظفون الرجل فى زنزانة مقطوعًا شريانه الأورتى...

(من جريدة: دى يلت فى ٢٢/ ٧/ ١٩٧٧ تحت عنوان بالخط العريض "عين صناعية خطيرة").

توضح النصوص أو القطع النصية أن صاحب الإحالة المتعين من خلال الاسم (فى الأمثلة ١و٢و٤ صاحب الإحالة شخص؛ وفى المثال ٣ صاحب الإحالة شيء) يمكن أن يعاد[١]:

- من خلال إعادة (تكرير) الاسم ذاته (رجل فى المثالين النصيين ١ و ٤ أو

- من خلال اسم أو عدة أسماء أخرى أو ضمائم إسْمِيّة (رجل القانون فى المثال ٢؛ والمركبة فى المثال ٣؛ والعامل الفنى، والمخمور، والسجين فى المثال ٤) أو

- من خلال ضمير شخصى محدد (ضمير الغائب) (هو) فى المثال ١) وفى الأمثلة النصية ١و٣و٤ يتضح ورود صاحب الإحالة للمرة الأولى بإدخال إسم أو ضميمة إسمية علامتها "نكرة" (رجل؛ وسيارة، / ورجل من بفور تسهايم عمره ٤٣ عامًا). هذه العلامة تؤثر عادة فى اختيار أداة التنكير مع الاسم (=ein)[٢]. وعند إعادة صاحب الإحالة من خلال الإسم نفسه (مثلاً "الرجل" فى المثال ١) أو من خلال إسم آخر (كما فى الأمثلة ٢و٣و٤) تحمل الإعادة السمة "معرفة" (قُدِّمت هنا من خلال الذكر السابق Vorerwähntheit)، وهو ما يرتبط بالإختيار الملزم لأداة المعرفة (der= الـ للمفرد المذكر). الأسماء لا تتحد

(١) قارن شتاتاينتس ١٩٦٨، ص ٢٤٨ وما بعدها، وبرينكر ١٩٧١، ص ٢٢١.

(٢) فى المثال (٢) لم تُخالف هذه القاعدة بوضوح إلا حين نفترض أن أساس الضميمة الصيغة الصريحة: محام اسمه هـ-ى. أو من دوسلدورف بالغ من العمر ٤٧ عامًا، التى يمكن أن تختصر على أساس القيام بتحديد العلم إلى: المحامى هـ-ى. أو من دوسلدورف البالغ من العمر ٤٧ عامًا (قارن حول ذلك هارفج ١٩٦٨، ص ٣٧١).

إذن بوجه عام إلا بأنها أوجه إعادة لغوية، حين تحمل السمة"معرفة" أى إما أن تكون أعلامًا أو يكون معها أداة التعريف أو الصيغ المطابقة لها، مثل ضمير الإشارة (هذا أو ذلك)، وأحيانًا أيضًا ضمير الملكية (الهاء) وضمير الاستفهام (أى). ويمكن أن يتضح ذلك بالإختبار المضاد، حين نحل فى المثال١ محل الأداة المعرفة الأداة النكرة، فنلاحظ أن ورود"رجل" لم يعد يرجع إلى الشخص ذاته، وهكذا لم تعد توجد مطابقة إحالية. فحينما يكون الكلام من شخصين مختلفين على نحو عشوائى فإن النص حينئذ يبدو غير متماسك.

وخلافًا لبعض بحوث لغوية نصية[1] تصف القيمة الإشاريّة للأداة بـ"معرفة"، و"غير معرفة" وليس بـ "سابقة الذكر"، وغير سابقة الذكر". وسبب ذلك أنه لا حاجة لأن تكون القيمة الإشارة للأداة مرتبطة بالنص، إذ يمكن أن يعلل التعريف أو التنكير متعلقًا بداخل النص(الأمثلة من ١ ـ ٤) أو بخارجه؛ وعلى ذلك فإن الأداة لا تشى بشيء. أما مثال العلاقة النصية الخارجية للأداة المعرفة فهو المثال النصى الآتى:

(٥) أُعِيد المحامى هـ ـ ى ـ أو من دوسلدورف، المُخْتَطف المفترض للمليونير ت. أ. صاحب محلات السوبر ماركت من اسن، صباح السبت طواعيةً من مكسيكو إلى المانيا الإتحادية، وقُبِض عليه. أنكر أو. أىَّ اشتراك فى الإختطاف. وقد اختفت دون أدنى أثر السبعة ملايين مارك الفدية.

(من جريدة: دى فيلت الأحد فى ٢/ ١/ ١٩٧٢).

يشير النص ـ موضحًا بالأداة المعرفة ـ إلى المعلومات خارج النص، يفترض الكاتب أنها معروفة لدى القارئ/ (قُدِّمت هنا من خلال تقديم تقرير عن الوقت السابق الذى ذكر فيه كثيرًا الملايين السبعة).

(١) مثلاً بحث شتاينيتس ١٩٦٨ـ حول الدلالة اللغوية النصية لصيغ الأداة قارن بخاصة فاينريش ١٩٦٩، وباومان ١٩٧٠.

وتوجد أيضًا تعبيرات، تحمل أساسًا السمة "معرفة"؛ منها الأعلام وأسماء الجنس المستخدمة بشكل عام(مثل الإنسان مطلقًا، والحيوان خلاقًا للإنسان) وما تسمى الأشياء المفردة Unika (للإشارة إلى حاملات الإحالة التى لا ترد إلا مرة واحدة، مثل: القمر، والشمس.. إلخ). ويمكن التعريف فيها فى المعرفة المسبقة المفترضة عمومًا، وفى معرفتنا بالعالم المحتمل توفرها. وهكذا يمكن أن يُورد مثلاً صاحب الإحالة فى المثالين النصيين٢و٥(المحامى هـ . ى. أو. أو المليونير ت. أ.) مع أداة المعرفة، إذ عُيِّن بالإسم العلم (قارن أيضًا هامش ١٦).

نجمل ذلك بأن: الأداة لا تُوْجِد التعريف ولا التنكير؛ فهى ليست سوى إشارة للسامع (القارئ) بأن المتكلم (المؤلف) يفترض أن ثمة معلومات معينة معروفة لدى السامع (القارئ). تلك المعلومات المفترضة يمكن أن تكون ذات طبيعة متعلقة بداخل النص و/ أو خارج النص.

وبعد أن عالجنا مبدأ الإعادة الصريحة فى ملامحه الأساسية، يطرح السؤال الآتى: ما الشروط التى يجب أن يحققها تعبير لغوى(إسم أو ضمير) حتى يمكن أن يستخدم بوصفه تعبيرًا مستأنفًا على نحو محتمل؟ ولما كان منتج النص يريد أن يضمن أن ترجع التعبيرات المختلفة(التى يمكن دون شك أن تكون لها دلالات متباينة) إلى صاحب الإحالة ذاته، وأنه على هذا النحو يُتوصل حقيقةً إلى علاقة التحاول(الإحالة المشتركة)، فإنه لا يفترض أن إختيار الكلمات المتكررة يكون كيفما اتفق (عشوائيًا).

وحين نغض النظر ها هنا عن الإعادة غير الإشكالية من خلال الكلمة، ما يسمى التكرار، فإنه يفرق ـ كما قد وُضِّحَ فيما سبق أعلاه ـ بين حالتين على الأقل:

- إعادة من خلال أسماء أخرى
- إعادة من خلال ضمائر

تتناول أولاً إعادة التعبير العائد من خلال أسماء أو ضمائر إسمية. تبين نظرة أكثر دقة فى الأمثلة النصية ٢و٣ أنه توجد بين التعبيرات البارزة علاقات معنوية معيّنة. فلا تتساوى الأسماء: محام ورجل القانون أو سيارة ومركبة فى المعنى(أى أنها مترادفات) مثل الكلمات: حامل البريد وساعى البريد أو مصعد وأسانسير، ولكنها برغم ذلك متشابه فى المعنى. ويمكننا أن نقول: إن كلمتى رجل القانون أو المركبة تمثلان إلى حد ما المفهومين العلويين/ لكلمتى محام أو سيارة أى أن لهما محيطًا دلاليًا أوسع من كلمتى محام أو سيارة، بينما تظهر تلك الأخيرة بناءً على سمات دلالية مميزة مضمونًا دلاليًا أكبر. أمّا وأن تلك العلاقات الدلالية تنشأ مستقلة عن نص معين فى معجم لغتنا، فهى كما يُقال مغروسةٌ فى النظام اللغوى ذاته. والأمر ليس كذلك فى المثال النصى٤، فالأسماء: رجل، وعامل فنى، ومخمور، وسجين تقع هنا أيضًا فى علاقة الإعادة، أى أنها ترجع إلى الشخص ذاته. غير أنه لا توجد بين هذه المفردات أية علاقات دلالية خاصة مقدمة فى النظام اللغوى(إذا ما غُضَّ النظر ها هنا عن السمة الدلالية العامة"مذكر" التى تربط كل المفردات). ولا يبنى الربط القائم على المطابقة الإحالية بين رجل، وعامل فنى، ومخمور، وسجين إلا فى هذا النص ومن خلال هذا النص. وبذلك أيضًا لا يكون للعلاقة صلاحية بالنسبة لكل النصوص الممكنة، بل لهذا النص فقط الذى تتحد فيه. فالأمر لايتعلق هنا بظاهرة للنظام اللغوى، بل بظاهرة للإستعمال اللغوى. أما أن القارئ يُرجع التعبيرات المختلفة إلى الشخص ذاته فإنه يتحقق بوجود تتابع قاعدى لأداة نكرة وأداة معرفة، وأنه لا توجد إمكانات أخرى للتعلق. ويقوم الربط النصى(السياق) فضلاً عن ذلك بوظيفة تدعيم(قارن مثلاً العلاقة بين الحجز الإضطرارى وسجين). وعند قراءة النص(وفهمه) نستكمل(دون وعى) الأقوال الآتية:

"كان الرجل عاملاً فنيًا، وكان مخمورًا" (من السياق)؛ "حين يُقبض على شخص ما يصير سجينًا" (من معرفتنا بالعالم).

وحين نلاحظ الآن تتابع Abfolge التعبيرات فى المثالين النصيين(٢)و(٣)، فإنه يمكن أن يتقرر الإطراد الآتى: التعبيرات ذات المحيط الدلالى الأكبر، المسماة المفاهيم العليا(رجل قانون ومركبة) هى التعبيرات المستأنفة، بينما تقوم المفردات ذات الدلالة الأكثر تميزًا بوظيفة التعبيرات المرجعية - أو تُصاغ صياغة مبسطة: ففى علاقة الإعادة يعقب المفهوم الأعلى المفهوم الأدنى وليس العكس[1]. وهكذا يبدو التتابع الجملى الآتى(خلافًا للمثال٣) غير مألوف:

/ (٦) قرب الزاوية جاءت مركبة. سارت السيارة بسرعة شديدة. كما يبين المثال النصى(٤) لا تصلح قاعدة التتابع هذه(تعبير خاص - تعبير عام) إلا لعلاقات الإعادة، التى تتحقق بمفردات تترابط من خلال علاقات دلالية معينة، مثبتة فى معجم اللغة(مثل التقديم والإتباع). تلك العلاقات - كما تحققت من قبل - " لا توجد بين الأسماء التى أُبرزت فى المثال ٤ بحيث يكون هنا أيضًا التتابع: رجل، وعامل فنى،، ومخمور، وسجين ممكنًا حين يعد بعض مساعدى البحث أيضًا التتابع: عامل فنى - الرجل"أكثر اعتيادًا" (من المحتمل أن ذلك - لأن"رجلاً بناء على سمته الدلالية العامة"مذكر" - يمكن أن يفهم على أنه المفهوم العلوى الأعم بالنسبة للمفاهيم الأخرى).

---

(١) قارن حول ذلك شتاينيتس ١٩٦٩، ص ١٤٥، التى تحاول أن تصف العلاقة بين التعبير المرجع(الأساس) والتعبير المستأنف من خلال قوائم من العلاقات. وتنتهى إلى نتيجة عامة، مفادها: فى نص متتابع لا يمكن لاسم يسمى صاحب الإحالة، عند وروده المتكرر أن يستمر من خلال ضمير فحسب، بل من خلال اسم أيضًا من قائمة تتميز بأن عناصرها، الأسماء، تتشابه كثيرًا فى الغالب، ولكنها لا تتضمن أية سمات دلالية أخرى غير الاسم الواقع عند وروده للمرة الأولى. تلك الأسماء توصف بأنها قوائم عليا(مفاهيم عليا) لحاملات الإحالة المذكورة".

والآن نصل إلى الإعادة من خلال ضمائر.

توصف فى كتب النحو الكلمات التى تحل محل الأسماء بأنها ضمائر. وبمعنى أدق التى تقوم مقام ضمائر إسمية، ولها محتوى دلالى أصغر. وينحصر معناها أساسًا فى وسم الجنس النحوى(Genus)؛ وهى لذلك تعد بحق المفاهيم العليا الأعم لأقسام الاسم[1].- ويوجد فى الحقيقة إلى جانب الضمائر الشخصية المذكورة إلى الآن للشخص الغائب(هو، هى، ضمير الشأن، هما (هم)) صيغ قصيرة أخرى، يمكن أن تُستخدم تعبيرات مستأنفة. ويدور الأمر فى ذلك بخاصة حول ضمائر الإشارة(ذلك، وذاتك، وذاك) ما دامت لا ترد مصاحبة للإسم، أى فى وظيفة الأداة(ذلك الرجل)، وحول الظروف(مثل:ثَمَّ، هناك، آنذاك، ومن ثَمَّ، ومن بينها تشكل ما تسمى الظروف الضميرية(مثل: عند ذلك، وفى ذلك، وعلى ذلك وبذلك، ومن خلال ذلك، فيها... إلخ) مجموعة كبيرة خاصة.

ونقدم بعض أمثلة لذلك:

(٧) أتعرف **هاينتس**؟	**هذا** أفضل صديقى لى.
(٨) يسكن **هانز فى برلين**.	**هناك** يدرس الطب.
(٩) كان **هانز فى سنة ١٩٧٠**	فى هامبورج. **آنذاك** عرفته.
(١٠) سافر هانز بنا بسيارة.	**لذلك** (=لأن هانز سافر بنا بسيارة)
كنا فى البيت حوالى الساعة الثامنة.	
(١١) ألقى **خطابًا**، **فيه**	(فى ذلك الخطاب) ذكر أستاذه.

/ ويجمل البحث اللغوى النصى كل هذه التعبيرات تحت مصطلح"بدائل ـ الصيغ Pro- Formen". وفى الحقيقة يفهم مفهوم"بديل ـ الصيغة" فهمًا متباينًا

(١) فارن شتاينتس ١٩٦٩، ص١٤٧.

للغاية؛ ولا نريد(متابعين. درسلر وهـ. فاتر وغيرهما) [1] أن نطلق بدائل الصيغ إلا على التعبيرات التى تستخدم فقط مثل الضمائر والظروف المذكورة بناءً على مضمونها الدلالى الأصغر فى إعادة أبنية لغوية أخرى متطابقة فى الإحالة.

ومن الأهمية بمكان الآن أن التعبيرات المرجعية يمكن أن تكون ذات امتداد متباين؛ إنها يمكن ألا تكون ضمائم فحسب، بل يمكن أن تكون جملاً أو تتابعات جملية، باختصار: تُكَرر وحدات معلوماتية ذات صياغة نحوية متباينة من خلال بدائل الصيغ ـ على نحو ما يبين المثال الآتى:

(١٢) بمجرد أن تسلم الصغار زمام الأمر، لاذ أولياء الأمور بالاستتار.

طارت البالونات فوق رءوس غاصة فى الجسد. أحدث خبط الأثاث بالباركيه ضجة. اهتزت تحت هدير الدّب. فى البدروم تساقط الجير. صرخة النصر من حناجر مبحوحة دَوّت فى الخارج فى الغابة الخالية. ٣٣ طفلاً(أعمارهم بين سنتين واثنتى عشرة سنة) اكتشفوا الحرية. ذلك كان حوالى الساعة السادسة مساءً فى اليوم الأول من أسبوع غير عادى...

(من جريدة: دى تسايت فى ١٤/ ١/ ١٩٧٢)

أحيانًا لا يُعبر مطلقًا أيضًا عن الرابط Bezugswort، لا يوجد على الإطلاق صراحةً، كما فى المثال الآتى:

(١٣) يسأل هانز نفسه، هل يحسن به أن يذهب إلى السينما. لقد كان عليه أن يراعى فى ذلك أيضًا أنه لم ينجز بعد واجبه اليومى.

يجب أن يعنى التعبير المرجع(dabei فى ذلك) تقريبًا فى ذلك القرار؛وهو ما يستنتج من السياق.

---

(١) قارن درسلر ١٩٧٣، وفاتر ١٩٧٥، ص ٢٠ـ ٤٢، وهنيش وهوتHennig / Huth ١٩٧٥، ص ١٥٧ وما بعدها.

وفى الختام نريد أن نلقى كذلك نظرة على اتجاه الإعادة من خلال أفقية النص. فهى تسير فى الأمثلة المضروبة من اليمين إلى اليسار، أى أن بديل الصيغة يعقب فى كل الحالات التعبير المرجع. هنا يتحدث البحث اللغوى النصى[1] عن "إحالة إلى سابق"، ويطلق على بدائل الصيغ، التى تكرر فى النص وحدات لغوية متقدمة، **بدائل الصيغ الدالة على إحالة إلى مذكورسابق** anaphorische pro Formen_ **غير أنه توجد أيضًا إمكانية مقابلة، تسمى "إحالة لاحق"، وتحقيقها** ***بدائل الصيغ الدالة على إحالة إلى مذكور لاحق*** _ kataphorische- pro Formen

/ ويعد التعبير "ما يأتى" (الآتىfolgendes) مثلاً بديل الصيغة الدالة على الإحالة إلى مذكور لاحق المتحدث عنها، ولكن يمكن أيضًا أن تستعمل بعض بدائل الصيغ الدالة إلى مذكور سابق محلية إلى مذكورلاحق. ونريد أن ننعم النظر حول ذلك فى المثال الآتى:

(١٤) لماذا لم يعثر **عليها** آخر؟ لماذا أنا بالذات، الذى أعرف **قيمتها**، قد ابتعدت كثيرًا عن هذه الأشياء؟

لا أستطيع أن أعرف ما أحتوته **الكبسولة**...

(عن: هـ. بندر H.Bender، القربان. قصة ١٩٥٣_ بداية نص)

هنا يُحقِّق الربط النصى الضمير الشخصى(للغاية: Sie= ها)، وضمير الملكية(للغائبة: ihr= ها؛ فكلا الضميرين يشيران فى اتجاه إحالة إلى لاحق إلى التعبير "الكبسولة".

ومما لا شك فيه أن تلك البداية النصيةَ غير عادية. وطبقًا للقاعدة التى سبق صياغتها(قارن ص ٣١من الأصل) يمكن أن يتوقع أن ربما يوسم صاحب

(١) قارن مثلاً كلماير وآخرين ١٩٧٤، جـ١، ص١٨٠، ودرسلر ١٩٧٣، ص ٥٧ وما بعدها.

الإحالة عند وروده للمرة الأولى بالتعبير الأكثر خصوصية(الكبسولة)، ثم يكرر من خلال الضمير(sie= ها) بوصفه المفهوم العلوى الأشد عمومية.

تلك البدايات النصية يُراد فى البحث أن تُقْصَر على نصوص أدبية[1]. بيد أن هذا الفهم ليس صائبًا تمامًا، على اعتبار أن أمثلة من هذا النوع غالبًا ما يعثر عليها فى الصحف. وها هو مثال بديل عن أمثلة كثيرة:

(١٥) لَقَّبه المرء بساحر اللغة ـ بمبدع مُقَدَّر فى فن الأدب. بعَدَمىٌّ باسل ـ بمحذر مسيحى للغرب. واتُّهِمَ (هو) بأنه رائد الاشتراكية القومية ـ وعُدَّ مدافعًا عن الحرية والفردية. ارنست يونجزErnst Junger، رجل منفرد ومعتزل، ظل إلى اليوم"حالة" غير واضحة تمامًا فى الأدب الألمانى الحديث...

(عن جريدة: هامبورجر ابنديلَت فى ١٤/ ٤/ ١٩٧٧)

يوضح المثال أن القاعدة(يسبق التعبير ذو المعنى الخاص التعبير ذا المحيط الدلالى الأكبر) لا يجوز أن تُمَدَّ إلى الحالات التى تحقق فيها بدائل الصيغ الإعادة. فهى لا تسرى بوضوح إلا على تعبيرات(أسماء) تقع بمفهوم ضيق فى علاقة عموم(Hyperonymie)أو تضمن(Hyponymie).

/ وكثيرًا ما يأتلف اتجاه الربط الخاص بالإحالة إلى مذكور سابق واتجاه الربط الخاص بالإحالة إلى مذكور لاحق معًا، كما يبين المثال الآتى:

(١٦) (١) تركوه عامًا ينتظر قضيته. (٢) خاب أمله فى أن السوفيت تحت ضغوط هجوم لكارتر خاص بحقوق الإنسان لعلهم يُطلقون سراح مؤسس مجموعة ـ هلسنكى فى موسكو قبل ذلك، ويُرحل إلى الغرب.(٣) وفى يوم اثنين

---

(١) قارن حول ذلك مثلاً هارفج ١٩٦٨، ص ١٦٠ وما بعدها، وهارفج ١٩٦٨ب، ص٣٨٣ وما بعدها.

العنصرة قدموا عالم فيزياء الذرة، والمطالب بالحقوق المدنية يورى أورلوف Jurij Orlow للمحاكمة...

(عن جريدة: دى تسايت فى ١٩/ ٥/ ١٩٧٨)

يتعلق الجزء(١) بطريق الإحالة إلى مذكور لاحق الجزء ٢(هم ـ السوفييت) كذلك بالجزء ٣ (ضمير الشخص الغائب (الهاء)، وضمير الملكية(الهاء) ـ عالم فيزياء الذرة والمطالب بالحقوق المدنية ى. أو.). ويرتبط الجزء ٢ والجزء ٣ بعضهما ببعض بطريق الإحالة إلى مذكور لاحق من جهة(مؤسس... ـ عالم فيزياء الذرة... ى . أو، وبطريق الإحالة إلى مذكور سابق من جهة أخرى(السوفييت ـ هم).

إن الربط النصى بطريق الإحالة إلى مذكور لاحق صالح على نحو خاص لأن يثير لدى القارئ تشوقًا، وتوقع معلومة جديدة[1]. وربما يكون ذلك هو السبب للاستعمال الغالب للإعادة المتعلقة بالإحالة إلى مذكور لاحق فى الأدب وفى النصوص الصحف.

٣ـ٣ـ١ـ٢ الإعادة الضمنية

تتميز الإعادة الضمنية على النقيض من الإعادة الصريحة بأنه لا توجد بين التعبير المستأنِف"بكسر النون (فى العادة اسم أو ضمنية اسمية) والتعبير المستأنَف "بفتح النون" (التعبير المرجع) أية مطابقة إحالية. فكلا التعبيرين يستند إلى أصحاب إحالة مختلفين، أى أنه يتُحدث عن أشياء مختلفة وأشياء من هذا القبيل، ولكن بين هذه الأشياء توجد علاقات محددة، من أهمها علاقة الجزء بـ ـ أو علاقة الاشتمال.

(١) قارن درسلر ١٩٧٣، ص ٥٥ وما بعدها.

ونريد أن نوضح تلك الصورة من الإعادة من خلال الفقرتين النصيتين الآتيتين:

(١٧) فى ٨ نوفمبر ١٩٤٠ جئت إلى ستوكهولم. سافرت من محطة القطار إلى بنسيون شدين فى دروتنججتا، حيث كان ماكس بيرنسدورف قد حجز لى حجرة...

(عن: ب. فايس P. Weiss، نقطة النظر، رواية ١٩٦٢ ـ بداية نص)

/ (١٨) **كان بيت الجملون الرمادى الذى نشأفيه يوهانس فريدمان،** عند البوابة الشمالية للمدينة التجارية القديمة الكبيرة إلى حُد ما . دخل رجل من خلال باب البيت دهليزاً واسعًا مبلطًا بالحجارة، يوصل منه سلم له داربزين مدهون باللون الأبيض إلى الأدوار، تُظْهِر بطانة جدران حجرة الجلوس فى الدور الأول مناظر ريفية باهتة...

(عن: توماس مَن، السيد فريدمان الصغير: فى الأعمال الكاملة لتوماس مَن. المجلد٨، العدد ٢، فرانكفورت ١٩٦٠، ص٧٨).

حين تستخدم هنا أداة التعريف فإنه يجب أن ينتج تعريف المحطة عن تعريف ستوكهولم، وتعريف منزل البيت، والأدوار وحجرة الجلوس فى الدور الأول عن تعريف بيت الجاملون الرمادى: فقد عُرِّفت استوكهولم وبيت الجمالون الرمادى[1]، وبذلك عُرِّفت فى الوقت نفسه المحطة(فى استوكهولم) أو باب البيت، والأدوار وحجرة الجلوس فى الدور الأول، من بيت الجمالون الرمادى.

ونستطيع أن نحول صور الإعادة الضمنية هذه إلى صور إعادة صريحة، ونضيف فى ذلك الجمل البينية الآتية(بين الأقواس) إلى النص:

---

(١) يمكن أن يتصدر منزل الجمالون الرمادى بأداة تعريف، إذ يُعرف بجملة الصلة التالية: التى نشأ فيها يوهانس فريدمان، بحيث يمثل نوعًا من الأعلام ـ قارن هارفنج ١٩٦٨أ، ص ١٠.

(١٧،) فى ٨ نوفمبر ١٩٤٠ وصلت إلى استوكهولم (هنا وجدت محطة)، من المحطة سافرت....

(١٨،) كان بيت الجمالون الرمادي، لذى نشأ فيه يوهانس فريدمان عند البوابة الشمالية للمدينة التجارية القديمة الكبيرة إلى حد ما (كان لهذا البيت باب، وأدوار، وحجرة جلوس، ودور أول إلخ). دخل رجل من خلال باب البيت...

الجمل البينية من هذا النوع ممكنة أساسًا، غير أنها تفضى بسهولة إلى تأثير طفولى للنص[1]، وذلك للسبب الآتى: العلاقات المذكورة للموضوع فى النظام اللغوى الحالى، أى مستكن فى الامتلاك اللغوى، فى الكفاءة اللغوية لصاحب اللغة بحيث يمكن أن يقال إنه حُمِل مع التعبير مدينة فى الكفاءة اللغوية ضمن ما حُمِل السمة "محطة" ومع التعبير منزل سمات مثل: باب المنزل، الدور الأول، حجرة الجلوس... إلخ.

وفى البحث اللغوى النصى تُجمل تلك العلاقات الدلالية بين المفردات تحت مصطلح "التجاوز الدلالى semantische Kontiguität"، / الذى يعنى "قربًا مفهوميًا، وتماسًا مضمونيًا"[2]. وكما قُدِّم من قبل يدور الأمر فى ذلك على الأكثر حول علاقات تَضمن (على سبيل المثال "محطة" متضمنة فى "مدينة"، و"كبير الأطباء" يتبع "مستشفى").

ويمكن أن تعلل علاقات التجاور بين المفردات ـ كما بحثها هارفج بالتفصيل ـ ضمن ما تعلل انطولوجيًا ومنطقيًا أو ثقافيًا.

---

(١) قارن هارفج ١٩٦٨، ص ١٩٥.

(٢) قارن هارفج ١٩٦٨، ص ١٩٢ وما بعدها، ودرسلر ١٩٧٣، ص ٢٨.

نقدم حول ذلك بعض أمثلة:

ـ علاقة تجاور معللة منطقيًا(مفهوميًا):

هزيمة: نصر؛ صعود شاق: هبوط؛ مشكلة: حل، سؤال: إجابة.

ـ علاقة تجاور معللة انطولوجيًا(وفق قانون طبيعي)

برق: الرعد؛ إنسان: الوجه؛ فيل: الزلومة؛ طفل: الأم.

ـ علاقة تجاور معللة ثقافيًا

ترام: الكمسارى؛ مدينة: لحظة؛ كنيسة: البرج، بيت: الأبواب؛ مستشفى: كبير الأطباء.

يجب أن نتصور هذه الثنائيات المقدمة واردة فى تتابعات جملية، مثل: قمنا بصعود شاق، ولكن كان الهبوط أسهل بكثير. ـ غدًا يجب أن أجتاز امتحانًا. لم يرفق الممتحن بى... إلخ.

وإذا لم توجد علاقات التجاور تلك بين المفردات فى النظام اللغوى فإن ربطًا فى صورة إعادة ضمنية يكون غير ممكن.

فالتتابع الجملى: دخل هانز منزلاً. صاحت الفتاة بصوت مرتفع. يصير مستغربًا(خلافًا للتتابع: دخل هانز منزلاً. أحدث الباب صريرًا مرتفعًا). ولا يصير ذلك الربط مقبولاً إلا حين تقام فى أى مكان فى النص علاقة خاصة بالسمة بين منزل(منزل معين)، وفتاة(فتاة معينة)، حين يورد فى مكان ما أنه يتوقع (وجود) فتاة فى هذا المنزل[1]. وهكذا فعلى النقيض من: مدينة ـ **محطة**... إلخ ليست العلاقة بين منزل ـ فتاة ظاهرة من ظواهر النظام اللغوى، بل ظاهرة للاستعمال اللغوى الفعلى.

---

(١) فى تعليق الأفكار أ. شتروبل A.Ströbl حول نظرية هارفج عن الاستبدال فى بحث صغير فى IDS ١٩٧٠ مانهايم). ـ يمكننا أن نجعل التتابع الجملى مقبولاً، بأن نضيف الجملة البينية: "دخل هانز منزلاً. فى هذا المنزل توجد فتاة. الفتاة صرخت بصوت عال".

٣-٣-١-٣ العرض التخطيطى لعلاقات الإعادة

يمكن أن تعرض علاقات الإعادة فى صورة مخطط بنيوى. ونريد أن نوضح ذلك بمثال التعليق الصحفى الآتى:

(١٩) حكم شجاع

لراينربوسيكل

(١) نطقت قاضية فى محكمة ابتدائية فى ميتهان بحكم شجاع.(٢) فقد رفضت شكوى طالب ثانوى عمره ١٨ عامًا، كان قد رحل عن منزله، وطالب والديه بهائتى مارك شهريًا نفقة له. (٣) واشتكى الشاب بأن والديه لم يوضِّحا له (علة) عدم مناقشتهم معه حول الشيوعية، وأعلما صديقته بحرمة البيت. (٤) وبرغم ذلك، كما رأت القاضية، يمكن أن يرتضى للشباب أن يظل ساكنًا فى بيت والديه، ويلقى تسامحًا.

(٦) سيحُدث الحكم لدى أسر كثيرة مناقشات حامية. (٦) وهذا أمر حسن.

(٧) فبعض البنات والبنين لايرون بشكل واضح فى قانون بلوغ سن الرشد السارى منذ مطلع العام الماضى إلا حقوقهم. (٨) فذلك القانون يعترف لهم بأن يتزوجوا فى سن الثامنة عشرة ضد رغبة والديهم أو يتركوا المدرسة أو يبرموا تعاقدات. (٩) بيد أن المزيد من الحقوق يعنى أيضًا المزيد من الواجبات، والمزيد من المسؤولية.

(١٠) كتبت القاضية فى ماتيهان للشاب الراشد فى سرية أن التقنين الجديد ليس رخصة انطلاق فى حياة بلا قانون.(١١) فما زال يجب أن يراعى الوالدين والإخوة.

(١٢) إن التقنين الجديد الخاص ببلوغ سن الرشد تحد للجيلين.

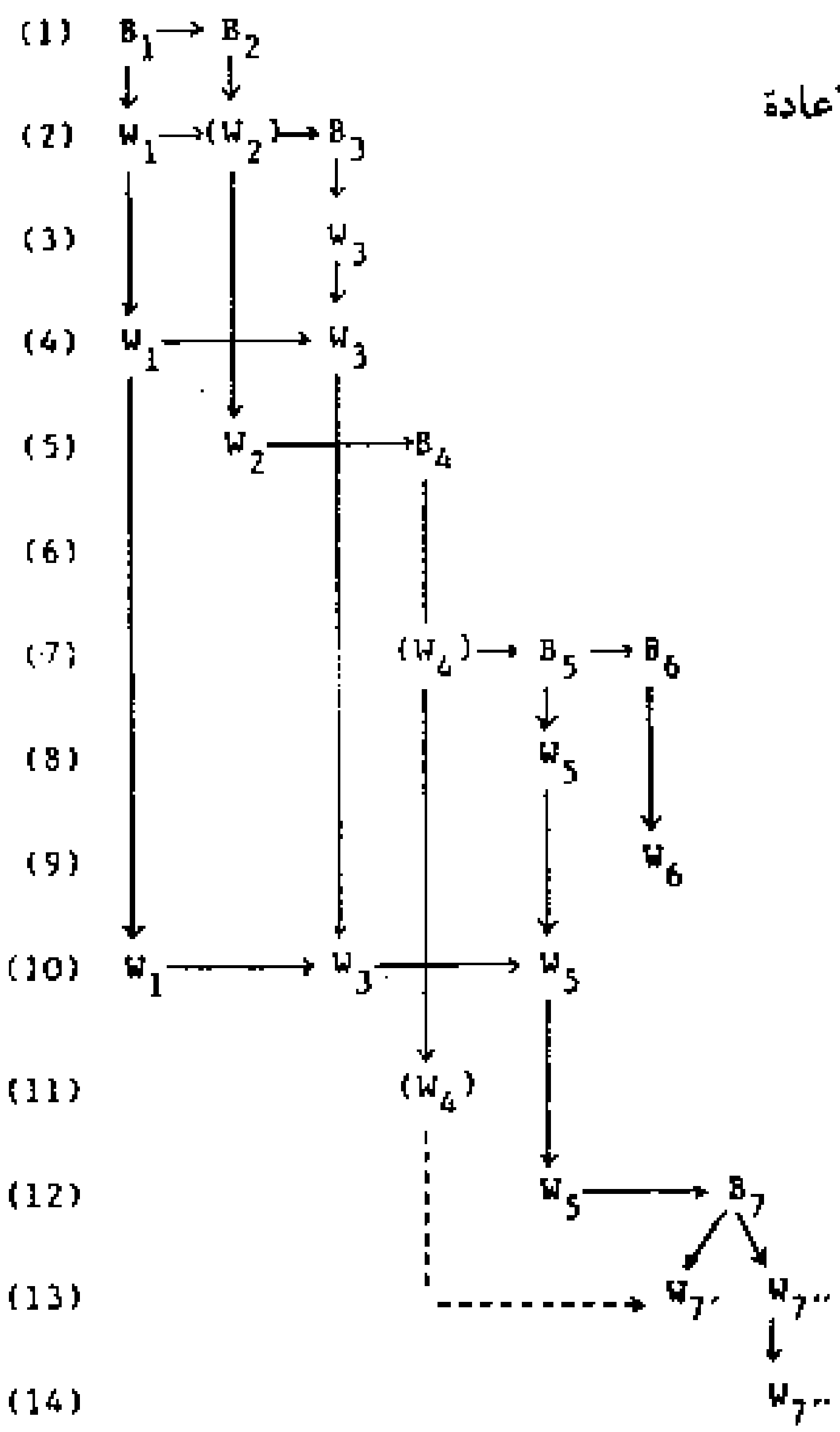
(١٣) من المؤكد أن بعض أولياء الأمور أيضًا يجب أن يُعَلَّموا ألا يعاملوا

الآن أبناءهم وبناتهم البالغين معاملة الأطفال.(١٤) ولكن ـ يجب أن يتوقع أيضًا من الشباب الذين نضجوا فى وقت مبكر جسديًا وعقليًا أن يكونوا كما كانت الحال فيما مضى على وعى بالمسئولية ومراعين لغيرهم.

(عن جريدة: هامبورجر آبندبلت فى ٢٧/ ٢/ ١٩٧٦)

ويمكن أن تُمثل علاقات الإعادة المركزية للنص (مستندة إلى المجال الاسمى) تخطيطيًا على نحو الآتى:

/ الجزء/ علاقات الإعادة



إيضاحات:

B= التعبير المرجع (العائد إليه)؛W= التعبير المستأنف

B_1 = قاضية فى محكمة ابتدائة فى م؛ B_2 = حكم شجاع.

B_3= طالب ثانوى عمره ١٨ سنة؛ B_4= فى أسر كثيرة؛

B_5= قانون بلوغ سن الرشد؛B_6= حقوقهم؛ B_7: كلا الجيلين.

أوجه الإعادة الضمنية موضوعة بين أقواس.

B_7جزء ١٢) ينقسم مباشرة إلى w_7':(بعض أولياء الأمور)

و"W7(أبناؤهم وبناتهم البالغين الآن). ولكن تُنْشَأ أيضًا w4(فى الجملة 7) و w4 (فى الجملة 11) علاقة إعادة غير مباشرة بين B4و"w4/ w7(موضحة بخط سهم متقطع). يبين المخطط بنية الإعادة(الإسمية)، التى تحدد جزءًا جوهريًا من بنية الربط النحوية للنص.

وقد عولج مبدأ الإعادة فى صوره المتباينة معالجة شديدة التفصيل على يد ر. هارفج R.Harweg. فقد درس هارفج(فى حديثه عن "استبدال سينتجماتى") تصنيفًا معقدًا لأنماط الاستبدال المطابقة (الإعادة تقريبًا)، واستبدال المشابهة (مثلاً الإعادة بطريق المترادفات) واستبدال التجاور (صور مختلفة للإعادة الضمنية) أهم الأنماط الأساسية(١).

ويؤسس هارفج كذلك على مبدأ الإعادة كذلك مفهومه للنص، حين يحدد النص بأنه" تتابع من جمل، تترابط بعضها ببعض بمفهوم الاستبدال السينتجماتى"(٢).

---

(١) قارن هارفج ١٩٦٨، ص ١٧٨ وما بعدها . يفهم هارفج تحت"الاستبدال" "استبدال تعبير لغوى ما بتعبير لغوى آخر " (ص٢٠). وتتميز علاقة الاستبدال السينتجماتى بأن التعبير المرجع والتعبير والمستأنف يتجاوران، أى يقعان فى موقعين متتابعين داخل النص (هارفج، الموضع السابق).

(٢) هارفج ١٩٦٨ أ، ص ٨.

ولما عُدَّ مبدأ الإعادة فى المرحلة الأولى من علم لغة النص بوجه عام مبدأ تأسيسياً خاصةً للتماسك النصى[١]، فإننا نريد أن نضيف بعض ملحوظات عن وثاقة صلة هذا المبدأ بقضية التماسك وفهم النص.

٣ـ ٣ـ ٢ أهمية مبدأ الإعادة

٣ ـ٣ـ ٢ ـ ١ حول وثاقة الصلة بالتماسك النصي

نريد أن ننطلق من الفكرة الآتية: يعد مبدأ الإعادة فى صوره المختلفة فى الواقع وسيلةً مهمة لتكوين النص، ولكنه لا يقدم شروطًا كافية وضرورية لأن يمثل تتابع من الجمل تتابعًا جمليًا متماسكًا، أى يفُهم على أنه نص، إذ لا تفُسر من جهة كل التتابعات الجملية المترابطة من خلال مبدأ الإعادة على أنها متماسكة (انظر المثال رقم ٢٠)، ومن جهة أخرى ليست كل التتابعات الجملية التى تفُسر بأنها متماسكة، مترابطةً من خلال مبدأ الإعادة(انظر الأمثلة ٢١ـ ٢٤)[٢].

نريد أن نوضح هذه الفكرة ببعض أمثلة.

(٢٠) قابلت صديقة قديمة فى هامبورج. فهناك توجد مكتبات عامة كثيرة، يزور تلك المكتبات فتيان وفتيات. يذهب الفتيان غالبًا إلى حمامات السباحة. كانت حمامات السباحة فى السنة الأخيرة مغلقة لعدة أسابيع. فى الأسبوع سبعة أيام إلخ إلخ.

هذا التتابع الجملى(المتشكِّل) مترابط بشكل مستمر بمفهوم مبدأ الإعادة، ولكنه برغم ذلك يمكن ألا يعد متماسكًا. وربما تكمن علة ذلك فى أنه لا يظهر

(١) قارن مثلاً رايبله أيضًا ١٩٧١، ص ٣.٢:"نصوص القص والنصوص العامة نصوص مهمة جزئيًا لأن ثمة وحدات معلوماتية مهمة، يتم إدخالها فى البداية على أنها جديدة، تعاد فيما يأتى من جهة تطابق إحالى".

(٢) قارن حول ذلك برنكر ١٩٧١، ص ٢٢٣.

موضوعًا موحدًا (انظر حول ذلك ما يردُ تحت المبحث ٣ـ٤). وفضلاً عن ذلك يحدث عدم التطابق فى الزمن خللاً، أى عدم توحد الصيغ الزمنية: فالزمن التام، وزمن الحال، والزمن غير التام لا تتناسق فى تتابعها.

(٢١) برتولت برشت

(١) الشيء الوحيد الذى قاله السيد كوينر عن الأسلوب هو: "ينبغى أن يكون قابلاً للاقتباس منه.(٢) الاقتباس غير شخصى. (٣) ما أفضل الأبناء؟(٤) أولئك الذين يجعلون الأب يَسْلَى!"

(عن: ب. برشت، حكايات السيد كوينر، فرانكفورت ١٩٧١، ص٩٠) لا يُربط الجزءان الأخيران بالأجزاء المتقدمة من خلال مبدأ الإعادة[١]. ومع ذلك لدينا حسب فهمنا تتابع جملىّ متماسك. فنحن نرجع أبناء إلى أسلوب، ويمكننا أن نصف فهمنا كما يأتى:

ينبغى أن يكون الأسلوب/ غير شخصى مثل الاقتباس. أفضل أسلوب هو ذلك الذى يجعل المؤلف يَسْلَى.

(٢٢) المصباح لا يضيء. احترق الأمان.

(٢٣) وقعت كارثة. تصادمت سيارتان.

(٢٤) كانت ليلة ممطرة. وقف رجلان فى مدخل بيت، ودخنا.

ففى التتابعات الجملية(٢٢) ـ (٢٤) يفْتقر كلية إلى كل إشارات الربط النحوية ـ والدلالية، غير أننا نقدرها دون تردُّد بأنها تتابعات جملية متماسكة (أى بوصفها نصوصًا). ففى المثال (٢٢) يوجد ربط سببى. ونفسر الحال الموصوفة

(١) يمكن للمرء على اية حال أن يمثل الرأى القائل إن بديل الصيغة الدال على إحالة إلى مذكور لاحق: الشيء الوحيد (الجزء١)، الذى يحيل فى هذا النص إلى الاقتباس اللاحق الإجمالى، يربط من خلال ذلك أيضًا الجزءان الأولان من النص بالجزئين الأخيرين.

فى الجملة الثانية بأنها سبب للقضية المعبر عنها فى الجملة الأولى. وفى المثال(٢٣) توجد علاقة الربط "بتخصيص" التعبير "كارثة" من خلال قضية الجملة الثانية ("تكمن الكارثة فى أن..."). وفى المثال(٢٤) تقدم الجملة الأولى "توجيها للوضع"، الإطار الموقفى للجملة الثانية.

وقد أجمل هـ. ايزنبرج H.Isenberg تلك الحالات تحت مصطلح "أنماط التنصيص"[(١)].

ويمكن آخر الأمر أن يذكر كذلك أنه توجد أيضًا إمكانات ربط نحوية أخرى بصفتها مبدأ للإعادة. وفى هذا السياق يؤدى الربط النصى من خلال أدوات الربط (على سبيل المثال: الواو، وإذ، ولأن، وأو وغيرها) دورًا مهمًّا بوجه خاص. ويمكن أن توضح ذلك القطعةُ النصية الآتية التى ترجع إلى إعلان:

(٢٥) يساعد بوكساتسين س الفوّار بسرعة فى تسكين الألم وفى خفض الحرارة أيضًا مع البرد، ولأن المادة الفعالة تذاب كاملةً فى الماء يمكن للجسم أن ينفتح بها سريعًا. ويقوى فتيامين ج الزائد كأنه مكون من سبع ليمونات قوة المقاومة، ويجعل (الجسم) منتعشًا مرة أخرى...

(عن مجلة: شتيرن فى ١٦/ ٢/ ١٩٧٨)

ويمكن للظروف أيضًا التى لا تصنف على أنها بدائل للصيغ أن تؤدى إلى تماسك النص (على سبيل المثال أيضًا، وعلى الأرجح، وإذن، ورغمًا عن ذلك).

وبذلك نكون قد تناولنا ليس كل الوسائل النحوية التى تسهم فى التماسك النصى، بل ربما أهمها[(٢)].

---

(١) قارن ايزنبرج ١٩٧١، ص ١٩٨.

(٢) يمكن أن يشار كذلك ضمن ما يشار إلى أوجه الاضطرار عند اختيار الزمن (انظر أعلاه حول المثال ٢٠). ـ قارن أيضًا الكراسة التى حررها هـ. ريتا H.Sitta من مجلة "Deutschunterricht" (تدريس الألمانية) (٦/ ١٩٨٨) بعنوان "التماسك النصى".

٣-٣-٢-٢ حول وثاقة الصلة لفهم النص

/ حتى نجمل تفصيلاتنا حول شروط التماسك النحوية ونطوقها، نطرح فى الختام السؤال الآتى: ما المؤشرات التى يفترض السامع أو القارئ على أساسها علاقةً للإعادة بين تعبيرات معينة فى جمل متتابعة؟ هل هذه المؤشرات ذات طبيعة محض نحوية، أى تركيبية ودلالية؟

يمكننا من الناحية الدلالية أن نُفَرِّق بين مؤشرات نصية داخلية ولغوية داخلية ولغوية خارجية:

ـ نصية داخلية، تعني: أن العلاقة بين التعبير المرجع(العائد إليه) والتعبير المستأنف تُنْشأ فى النص ذاته؛ ولا ينص عليها بهذا الشكل فى النظام اللغوى(قارن أعلاه المثال النصى٤).

ـ لغوية داخلية، تعني: أن العلاقة بين التعبير المرجع(العائد إليه) والتعبير المستأنف مستكنة فى النظام اللغوى. وتعد منها العلاقات الدلالية السابق معالجتها؛ علاقة الترادف وعلاقة العموم وعلاقة التضمن، وكذلك علاقة التجاور.

ـ لغوية خارجية، تعني: أن العلاقة بين التعبير المرجع(العائد إليه) والتعبير المستأنف تتعالى على (تتجاوز) النظام اللغوى بمفهوم أضيق، وتُؤَسس على خبرات ومعارف موسوعية لشركاء التواصل، أى على"علم الدلالة" بمفهوم أوسع، الذى يشتمل على المعرفة القائمة على الخبرة، والمعرفة بالعالم للمتكلم والسامع. ولا يفهم النص فى تلك الحالات على أنه نص متماسك إلا حين تتوفر أيضًا لدى السامع المعرفة التى يفترضها المتكلم لديه، مثل إعادة كلمة نيكسون من خلال الرئيس فى المثال الآتى(ربما كانت أيضًا العلاقة بين: و. ليبمان ـ والرئيس ممكنةً نحويًا).

(٢٦) والترليبهان، من كبار رجال الصحافة الأمريكيين وأسنّهم، أصدر قبل بضعة شهور حكمًا مريرًا على سياسة ريتشارد نيكسون فى فيتنام. فقد رآها: مضللة وبهلوانية وعبثية". ومع حلول رأس السنة أربك الرئيس الرأى العام العالمى بأمر مستجد...

(عن جريدة: دى تسايت فى ٧/ ١/ ١٩٧٢).

وفى الواقع لا يمكن للمرء أن يقيم أى فصل حاد بين معرفة لغوية داخلية(معرفة معجمية) (مرتكزة على النظام اللغوى بمفهوم أضيق)، ومعرفة غير لغوية (معرفة موسوعية) (مرتكزة على معرفة عامة بالعالم).

/ ومن الناحية النحوية لا تؤدى صيغ الأدوات، وكذلك الضمائر التى ترد فى وظيفة الأدوات (ضمائر الإشارة، والضمائر الشخصية، وضمائر الاستفهام.. إلخ)، لا تؤدى عونًا إضافيًا فحسب، بل عون تحديد ضرورى أحيانًا أيضًا، إذ أننا يجب أن نلاحظ: أنه حين يمكن ألا يعد مبدأ الإعادة شرطًا ضروريًا مطلقًا أيضًا للتماسك النصى، فإنه يكون هناك إذن، حيث يستعمل عند إنتاج النص، الالتزامُ بقيود أو قواعد نحوية معينة، يمكن أن يُصَعِّب عدم مراعاتها فهم سياق النص، وأن يؤدى إلى صور من سوء الفهم. وقد عالجنا بعض هذه القواعد فى المباحث الأخيرة.

وحاصل الأمر باختصار:

لا يمثل مبدأ الإعادة فى صوره المختلفة الوسيلة الوحيدة لربط الجملة، التى هى وثيقة الصلة بتماسك النص[1]، إذ يمكن كذلك أن تكون إشارات ربط

(١) يتبين أن مفهوم هارفج للنص (انظر أعلاه) ضيق للغاية. ـ حول نظرية النص لهارفج قارن مناقشتى فى دراسة برينكر ١٩٧١، ص ٢٢٤ وما بعدها؛ وفى الواقع لقد استمر هارفج فى تلك الأثناء فى تطوير تصوره الأصلى(قارن حول ذلك جولبش/ رايبله ١٩٧٧، ص ١١٥وما بعدها).

نحوية مما يستغنى عنه إلى حد بعيد لفهم النص، حين يكون لدى المتلقى معرفة خلفية موضوعية وسياقية كافية. وبذلك لا تتضح آخر الأمر قضية التماسك بنهج الربط النحوى. فالبنية النحوية للربط، وبخاصة بنية الإعادة، تقوم الأرجح بوظيفة البنية الحاملة للصلات الموضوعية للنص، أى أنها تشير إلى طبقة أخرى"أعمق"، نسميها "البنية الموضوعية للنص thematische Textstruktur" أما أهميتها للتماسك النصى فهى موضوع المبحث التالى.

٤.٣ الشروط الموضوعية للتماسك النصى

٣-٤-١ علاقة الإعادة والبنية الموضوعية للنص

ينبغى الآن أن تُعْرض العلاقة التى وصُفت بإيجاز فى نهاية المبحث الأخير بين علاقة الإعادة والبنية الموضوعية للنص عرضًا أكثر دقة.

/ ونريد كذلك أن نلحظ أوجه الإعادة الصريحة والضمنية داخل القطعة النصية الآتية لـ ب . برشت) حيوان السيد ك. الأثير)

(١) حين سُئل السيد ك. : أى حيوان تؤثره على كل (الحيوانات)، ذكر الفيلَ، وعلل ذلك هكذا: (٢) الفيلُ يجمع بين حيلة وقوة.

(٢) هذه ليست الحيلة التافهة التى تكفى لتنجيه من الاصطياد، وليحصل بها على الطعام، مما لا يغيبُ عن نظر المرء، بل الحيلة التى توفر القوة لأعمال كبرى. (٤) وحيثما كان هذا الحيوان، يُهْدى أثر عريض إليه.(٥) وهو كذلك طيب القلب، ويفهم المزاح.(٦) وهو صديق حميم، كما أنه عدو طيب. (٧) ضخم جدًا، وثقيل للغاية، ولكنه سريع للغاية.(٨) وتوصل زلومته إلى جسم ضخم أصغر الأطعمة، والمكسرات أيضًا.(٩) أذناه قابلتان للضبط:(١٠) فهو يسمع فقط ما يناسبه.(١١) ويصير عجوزًا جدًا أيضًا.(١٢) وهو كذلك لطيف العشرة، وليس ذلك مع الفيلة.(١٣) وهو فى كل مكان محبوب ومهاب أيضًا.

(١٤) ثمة أمر هزلي يجعل من الممكن كذلك أن يُبَجَّل(يقدس).

(١٥) وله جلد سميك، تنكسر فيه السكين، ولكن عاطفته رقيقة...

(عن ب. برشت، حكايات عن السيد كوينر، فرانكفورت ١٩٧١، ص٣٧).

يتيح التحليل الصورة الآتية[١]:

تتكرر الضمنية الاسمية الفيلَ(١) بشكل صريح من خلال:

- الفيلُ (٣) = تكرير

- هذا الحيوان(٤) = إعادة من خلال تعبير أعم، يصير هونفسه التعبير المرجع للصيغة البديلة "هو" في الأجزاء ٥، و٦، و٧.

- هو أو الضمير المتصل (الهاء) (١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥،) = إعادة من خلال الصيغة البديلة.

أما علاقة الإعادة الضمنية فتقع بين التعبيرات المرجعية: الفيلَ(١) أو *هذا الحيوان* والتعبيرات المستأنفة زلومته(٨)، وأذناه(٩)، وعاطفته (١٥)[٢]. فالأمر يدور في كل مرة حول علاقة تجاور مُعَلَّلة انطولوجيًا.

/ ثمة علاقة إعادة أخرى لا تتعلق مباشرة بالتعبير *الفيل* تنشأ بين الجزء (٢) والجزء (٣)، وذلك بين ***حيلة*** (٢) ، ***وهذه*** (٣)[٣] وبين ***وقوة*** (٢) ***والقوة***(٣).

---

(١) لا نأخذ في الاعتبار في ذلك الإعادة الخاصة بالإحالة إلى مذكور لاحق في الجزء ١؛ فالصيغة البديلة so(هكذا) تحيل إلى الأقوال اللاحقة التي تقدم التعليلات المعلنة.

(٢) يظل السؤال عما إذا كان التعبير المرجع المقصود أهو الفيل أم الحيوان، سؤالاً مفتوحًا أساسًا؛ فكلاهما ممكن. وفي الواقع يجعل اختيار الضمير الشخصي هو بدءًا من الجزء (١٠) الضميمة الفيل بوصفها التعبير المرجع أمرًا محتملاً (بالنسبة لزلومته وأذنيه) أو أمرًا واضحًا (بالنسبة لعاطفته).

(٣) لا توجد بين كلا الورودين للاسم "حيلة"في الجزء ٣، والاسم "الحيلة" في الجزء ٢ أية علاقة إعادة بمفهوم أضيق؛ وعلى الأرجح يقدم التعبيران المركبان: الحيلة التافهة، التي... لا تغيب عن نظر المرء والحيلة، التي توفر ....، تحديدًا أدق للتعبير حيلة في الجزء٢؛فهما يخصصان ذلك التعبير، وذلك في اتجاه سلبي تارة، وفي اتجاه إيجابي تارة أخرى. ربما يمكن أن يُتحدث عن إعادة مخصصة(قارن أيضًا هارفج ١٩٦٨، ص ٦٠ وما بعدها).

ونؤكد بإيجاز أن الضميمة الفيل في كل جمل النص قد كُرِّرت؛ فهى تمثل بذلك حامل الإحالة الغالب فى النص.

وحين نصل هذه النتيجة بقضية التماسك، فإنه يمكن القول بأن: أهمية مبدأ الإعادة بالنسبة لتماسك النَّص تكمن أساسًا فى أنه فى أوجه الإعادة المختلفة للنص يعبر لغويًا عن توحد موضوع النص(هنا: الفيل). ولذلك ما يجعل تتابع من جمل تتابعًا جمليًا متماسكًا، أى يجعله نصًا ليس أساسًا مبدأ الإعادة، بل آخر الأمر التوجيه الموضوعى، أى"التركيز الاتصالى على موضوع موحد"[1].

فقد طرح أو. ل. فيجَّه U.L.Figge فى هذا السياق فكرة أن الشيوع النسبى الذى تتكرر معه موضوعات نصية معينة(حاملات الإحالة)، يمُكن أن يعطى إشارات إلى الموضوعات الرئيسيّة والفرعية للنصوص[2].

وفى الواقع لا يجوز للمرء أن يفهم هذه الإشارة التى لم يتوضع فى إيضاحها على أنها مطلقة ورياضية ـ إحصائية إلى أبعد حد. فحين تُعَرَّف الموضوعات الرئيسية بأنها ليست إلا حاملات للإحالة، تكرر بثبات واستمرار محددين، فإنه يمكن أن تكون الكيفيةُ التى تؤتلف من خلالها فى نص ما بعضها مع بعض(تتجسد لغويًا فى الترتيب المعين لأوجه الإعادة المختلفة)، موضحةً دون شك لتحليل البنية الموضوعية لنصوص كثيرة. وهكذا يمكن أن تعالج موضوعات رئيسية فى نص ما مثلاً معالجة تتابعية(مثال٢) أو تظهر مرتبة بصورة متجاورة أيضًا(مثال٣).

/ (٢) (١) التأويل، يتعلق"بقدرة"، نكتسبها بقدر ما نتعلم أن نمتلك ناصية لغة طبيعية: بفن فهم معنى قابل للتواصل لغويًا، وفى حال أوجه اتصال بها خَلل

(١) فيجَّه ١٩٧١، ص١٧١.
(٢) قارن فيجَّه ١٩٧١، ص١٧٢، وقانون أيضًا برينكر ١٩٧٣، ص١٨.

يجعله(المعنى) مفهومًا. (٢) ويتجه فهم المعنى إلى المضامين الدلالية للكلام، بل إلى المعانى المثبتة كتابةً أو المتضمنة فى أنظمة رمزية غير لغوية، ما دام من الممكن أن "تُتلمس" فى الكلام أساسًا. (٣) نحن لا نتحدث عرضًا عن فن الفهم والإفهام، لأن القدرة على التفسير المتوفرة لدى كل متكلم، تتأسلب، أى يمكن أن تُنَمَّى إلى مهارة فنية. (٤) هذا الفن يتناسب بشكل متناغم مع فن الإقناع والاستمالة فى مواقف$_2$، تقرر فيها مسائل عملية.(٥) ويسرى الشىء ذاته على البلاغة: فهى$_2$ أيضًا ترتكز على قدرة، تتبع الكفاءة التواصلية لكل متكلم، بل يمكن أن تُطور بطريق الصنعة إلى قدرة خاصة. (٦) البلاغة$_2$والتأويل$_1$نشآ بوصفهما فنين، يهذبان منهجيًا قدرة طبيعية، وينميانها ثقافيًا...

(عن: ى هابرماس: شمولية المطالبة بالتأويل. فى: مناقشة النظرية: التأويل والنقد الايديولوجى ١٩٧١، ص ١٢٠، المبحث الأول Hermeneutik und Ideologiekritik. Frankfut 1971,S.120,l.Abschnitt)

تبين هذه القطعة النصية عملية بناء وفق مبدأ التتابع. فكلا الموضوعين الرئيسين للنص هما "التأويل" و"البلاغة". وفى الأجزاء من (١) إلى (٣) يوضح موضوع "التأويل" (بأنه مقدرة، وبأنه فن فهم المعنى، وأخيرًا بأنه فن الفهم والإفهام)؛ ثم يقيم الجزء(٤) علاقة بين التأويل، والموضوع الرئيسى الثانى للنص، وهو البلاغة؛ ويوضح الجزء(٥) هذا الموضوع النصى الجديد، وفى الجزء (٦) يربط بين موضوعى النص الرابط(الواو).

(٣) عثر على حجرة1 فى المدينة الشرقية فى شارع شديد الإنحناء قصير، لم يبن إلا على جانب منه. كانت الحجرة$_1$ أنبوبًا ضيقًا. وكان الشارع$_2$ مشغولاً بصف وحيد من طوب محروق صار لونه فى أثناء ذلك أحمر داكنًا...

(عن: م فالتسر M.Walzer: زيجات فى فيليبسبورج، رواية١٩٨٥، ص ١٤).

فى هذه القطعة النصية قدم موضوعا النص(حجرة، وشارع) فى الجزء الأول، ثم كُرِّرًا بالتبادل فى الأجزاء اللاحقة. نحن نستطيع أن نتحدث عن ترتيب حسب مبدأ التتابع.

ويظهر النص(١٩) عملية بناء أكثر تعقيدًا(انظر فيما سبق المبحث ٢-٣-١-٣). ففى بادئ الأمر كانت موضوعات النص المركزية"القاضيةَ، وطالبَ الثانوى الذى عمره ثمانى عشرة سنة، والحكمَ". وفى القطعة الثانية يتراجع موضوع/ "الحكم" وتُقَدم موضوعات نصية جديدة (الأسرة وبخاصة قانون بلوغ سن الرشد). وفى مخطط البنية يمكن معرفة هذا التعديل فى علاقات الإعادة بوضوح(بدءًا من الجزء ٥أو ٧). وفى بنية الإعادة ـ هكذا يمكن أن نقول على وجه التعميم ـ يتجلى التتابع الموضوعى للنص. وفى الحقيقة من الجائز ألا تفترض بين بنية الإعادة والتقسيم الموضوعى فى الأساس علاقة واحد إلى واحد. غير أن الأمثلة المقدمة تجيز أن يفُهم أن تحليل علاقات الإعادة كثيرًا ما يتمثَّل شرطاً جيداً لوصف البنية الموضوعية للنص. وفى الواقع لم تُجر تحليلات من هذا النوع إلى الآن بشكل منظم. فمن الجائز مع نصوص أكثر ثراءً(مثل الروايات) أن يثبت بهذه الصورة أيضًا أنها مجهدة للغاية وشديدة التباين. وحتى نتقدم هنا نريد أن نواصل أفكارنا حول البنية الموضوعية للنصوص، كى نصل من موضوعات النص(بوصفها حاملات مفردة للإحالة) إلى المفهوم العلوى لقيمة النص.

٣-٤-٢ حول مفهوم الموضوع ـ الحديث فى مدرسة براغ

توجد داخل علم اللغة الحديث صياغات مختلفة لمفهوم ـ الموضوع[١]. وقد اشتهر من ناحية تحليل النص بوجه خاص تقسيم مدرسة براغ إلى موضوع ـ حديث(الذى سُمىّ أيضًا"المنظور الوظيفى للجملة" الذى أسسه ف.

(١) قارن لوتس Lutz ١٩٨١، ولوتشر Lotscher ١٩٨١.

ماتسيوس V.Mathesius (١٩٢٩) [١]. فحسب هذا التصور تنقسم الجملة انطلاقًا من "قيمة الإخبار" فيها إلى جزءين، إلى"الموضوع" Thema بوصفه"منطلق الخبر"،و"حديث Rhema" بوصفه"محور الخبر".

وقد حاول ف. دانش فى الستينات أن يستثمر هذا النهج المتعلق بالجملة أساسًا فى بادىء الأمر فى التحليل الدلالى لبنية النص[٢]. ويفهم دانش تحت "موضوع" ما يُتحدث عنه(بشىء)، ومن جانب سياقى يدور الأمر فى ذلك حول المعلومة، المعروفة، المقدمة، الممكن استنتاجها على أساس الموقف، أو التى يمكن للمتلقّى أن يحددها على أساس معرفته بالعالم. أما "الحديث" فيعرفه بأنه ما أخبر عن الموضوع؛ وهكذا يوصف" الحديث" ـ من الناحية السياقية ـ بالمعلومة الجديدة،/ غير المذكورة من قبل وغير القابلة للاستنباط من سياق النص أو الموقف. ويتخلى دانش آنذاك عن التوجه المختص بالجملة باعتبار أنه يعرض بنية النص على أنها"تتابع من موضوعات"، وتكمن البنية الموضوعية الحقيقية... فى تسلسل النصوص وتعالقها، فى علاقاتها المتبادلة، وفى سُلّميتها فى العلاقات بأجزاء النص، وكليته، وكذلك بالموقف"[٣]. ويطلق على هذا المركب الكلى من علاقات موضوعية فى النص"التولى الموضوعى thematische progression"؛ وهو يمثل "دعامة بناء النص". ثم يفرق دانش بين خمسة أنماط من المتواليات الموضوعية:

.التوالى الأفقى البسيط

يصير فيها حديث (R) الجملة الأولى موضوع (T) الجملة الثانية ، وهكذا دواليك.

---

(١) قارن حول ذلك بالتفصيل جوليش/ رايبله١٩٧٧، ص٦٠ـ ٨٩؛ ولوتس ١٩٨١، الباب الثانى.

(٢) قارن دانش Daneš ١٩٧٠، ص٧٢ ـ٧٨، وكذلك أيضًا ارومس Eroms ١٩٩١.

(٣) دانش ١٩٧٠، ص٧٤.

مثال ذلك:

هانز (T_1) اشترى دراجة(R_1). الدراجة ($T_2=R_1$) موجودة فى البدروم (R_2). فى البدروم($T_3=R_1$)...

ـ التوالى مع موضوع متواصل يظل الموضوع فى تتابع جمل ما ثابتًا، وفى الجمل المفردة لا يُضَاف فى كل مرة إلا حديث جديد.

مثال ذلك:

دراجته (T_1)جديدة ((R_1). هى (T_1) هدية من أبى (R_2).

وهى موجودة حاليًا فى البدروم (R_3)...

ويعد هذا النمط مميزًا بوجه خاص للبنية الموضوعية لنص برش (قارن مثلاً الأجزاء من٤-٧ ومن ١٠-١٥)[1].

. التوالى مع موضوعات مستنبطة

تستنبط الموضوعات المفردة من"موضوع علوى" "Hyperthema".

مثال ذلك(من نص برشت)

(٨) زلومته(T_1) تُوصل إلى جسمه الضخم أصغرَ الأطعمة أيضًا، والمكسرات (R_1).(٩) أذناه (T_2) قابلة للضبط (R_2). (١٥) عاطفته (T_3) رقيقة (R_3).

الموضوع العلوى (الأعم) للموضوعات T_1وT_2وT_3هو "الفيل".

. التوالى لحديث مُقسّم

يُجزأ الحديث فى جملة ما إلى موضوعات عدة.

---

(١) قارن حول ذلك تحليل هذا النص وفق مفهوم الموضوع ـ الحديث فى كتاب جوليش/ رايبله ١٩٧٧، ص ٨٠ وما بعدها.

مثال ذلك:

فى مدخل بيت (T_1) يقف رجلان ($R_1 = R_1' + R_1''$). الأول= (T_2'

R_1')يدخن (R_2')، والثانى ($T_2'' = R_1''$) يشرب (R_2'').

- التوالى مع قفزة موضوعية

يترك جزء من السلسة الموضوعية، يمكن أن يستكمل بسهولة من السياق.

ويمكننا أن نوضح هذا النمط بالتتابع الجملى اللاحق(دانش نفسه لم يقدم مثالاًله):

هانز(T_1) أُدْخِل إلى حجرة مظلمة(R_1) كانت(الحجرة) ($T_2=R_1$) مجهزة بأثاث قيم(R_2) أظهرت البُسُط (T_4) ألواناً بهجة (R_4) فالفقرة من (R_2) أثاث إلى(T_4) بُسُط ممكنة دون خلل فى التماسك، إذ إن الموضوع ٤ "البُسُط" يمكن أن يستنتج من الحديث ا"الحجرة".

ويطابق هذا النمط من التوالى صورة الإعادة الضمنية المعالجة فى المبحث ٣-٣-١-٢

وفى الغالب لا تتحقق هذه الأنماط فى نصوص معينة بصورة خالصة، بل تأتلف بعضها مع بعض بطريقة متنوعة؛ وتظهر أيضًا ـ كما بين دانش ـ حالات خاصة كثيرة وانحرافات. أما الأمر المشكل فى هذا النهج هو الأساس، أى الفصل بين الموضوع والحديث، حيث يفتقر إلى منهج كاف، يجعل من الممكن اختيار الفصل بين عدد من الذوات. يطلق دانش على إلحاق الأجزاء الجميلة المفردة بموضوع وحديث، بوصفه معياراص موضوعيًا"السؤال عن المكمل" الذى يُسأل معه عن الحديث فى الخبر[1].

---

(١) دانش ١٩٧٠، ص٧٣.

مثال ذلك:

حصل على الكتاب من صديق ـ ممن حصل على الكتاب؟ ـ المكمل "من صديق" يشكل حسب دانش الموضوع، بينما تعرض بقية الخبر الموضوع. بيد أنه من الممكن أن توجد أسئلة أخرى أيضًا، مثل: ما الذى حصل عليه من صديق؟ ربما كان الكتاب إذن هو الحديث.

بهذا صار واضحًا أن معيار "السؤال عن المكمل" لا يمكن أن يعد بأية حال من الأحوال حلاً مرضيًا لمشكلة الفصل. ولذا يصل كل من ا. جوليش وف. رايله أيضًا، اللذين حاولا أن يطبقا تصور الموضوع ـ والحديث على / نص "حيوان السيد ك. الأثير" إلى النتيجة الآتية: إن غياب معايير تعريف واضحة ويمكن التحقق منها يُظْهِر فى الغالب أنه من الصعب الاتفاق فى عملية بناء الموضوع ـ والحديث"[1]. بيد أن الأكثر حسمًا من هذا النقد فى سياقنا هو الوضع غير الواضح من جهة النظرية اللغوية لمفهوم ـ الموضوع. فقد خُلِط بين وجهات نظر دلالية وتوصلية ـ براجماتية بعضها ببعض (الموضوع بوصفه أساس الخبر فى مقابل الموضوع بوصفه معلومة معروفة)، كما أن وصف البنية ملتصق بسطح النص التصاقًا شديدًا؛ فنادرًا ما يتجاوز تحليل تقسيم نص ما إلى موضوع ـ وحديث، ما لم يدرك أيضًا من خلال وصف حسب مبدأ الإعادة. ويبدو التصور كأنه غير مناسب لعرض بنية النص على أنها تكوين من علاقات منطقية ـ دلالية بين القضايا. هذه المهمة المركزية للتحليل الموضوعى للنص تجعل من مفهوم آخر للموضوع "التيمة" أمرًا ضروريًا.

٣ـ٤ـ٣ مفهوم البنية الكبرى والبنية العليا لتوين أ. فندايك

ثمة مفهوم آخر للموضوع يعد مميزًا لطرائق بحثية مختلفة متعلقة بنظرية النص، يوجهها بصورة ما النحو التوليدى التحويلى بتفرقة بين بنية سطحية وبنية

---

(١) جولش/ رايله١٩٧٧،ص ٨٣.

عميقة[١]. وربما يعد تصور "البنية الكبرى" Makrosrutur للنصوص الذى طوره. ت. أ. فان دايك فى إطار تحليل نص الحكى أوضح ما بُسِط فى هذا الاتجاه[٢].

نريد أن نتناول بإيجاز هذه النقطة البحثية، غير أننا لا نعالجها إلا بقدر أهميتها لمزيد من أفكارنا عن مفهوم ـ الموضوع.

وتقدم البنية الدلالية العميقة للنص أو البنية الكبرى فى رأى فان دايك "المعنى الشامل" للنص. ويحصل عليه بنهج اختصار العبارات المكررة: يستنبط فان دايك من قضايا النص المحدد، من قضايا سطح النص ما تسمى القضايا الكبرى، حيث يطبق سلسلة من عمليات، يسميها القواعد الكبرى[٣].

ويتعلق الأمر فى ذلك بـ:

ـ (قاعدة) الحذف

"تُحذف كل القضايا التى يفترض مستعمل اللغة فيها أنها لم تَعد وثيقة الصلة بتفسير القضية اللاحقة".

ـ (قاعدة) التعليم

"كل تتابع قضوى، يرد فى التصورات التى يستوعبها تصور علوى جامع، تحل محله قضية بهذا التصور العلوى".

---

(١) قارن مثلاً درسلر ١٩٧٣، وفان دايك ١٩٧٢، ١٩٧٧، ١٩٨٠، ١٩٨٠آ؛ اوجريكولا ١٩٧٧، ١٩٧٩ وغيرهم.

(٢) فى الحقيقة تضع عمل فان دايك ١٩٨٠ أساسًا ـ حول فكرة فان دايك البحثية قارن أيضًا برينكر ١٩٧٣، ص ٢٠، وجوليش / رايبله ١٩٧٧، ص ٢٥٠ـ ٢٨٠.

(٣) قارن فان دايك ١٩٨٠، ص ٤٥ وما بعدها والاقتباسات اللاحقة فى الكتاب السابق، ص١٨٣.

ـ (قاعدة) التركيب

"كل تتابع قضوى، يَسِم شروطًا عادية، ومكونات، ونتائج وخواص وما أشبه لحالٍ لغوية أشمل، تحل محله قضية، تَسِم هذه الحال الشاملة".

إن نتيجة تطبيق القواعد هى اختصار للنص، موجز يفهم على أنه تشكيل فعلى مباشر للبنية الكبرى. ويقر فان دايك بأن القواعد يمكن ـ تبعًا للسياق، وللمتلقى وموقفه الإداركي ـ أن تطبق بصورة متباينة. ومن الممكن أيضًا تبعًا لذلك أن يكون لنص ما وللنص ذاته أوجه اختصار متباينة[1].

موضوع النص فى رأى فان دايك إذن ليس شيئًا غير "قضية كبرى على مستوى معين من "التجريد"؛ ولا يجب أن يذُكر فى النص صراحة. وحين تكون الحال كذلك، يُتحدث عن "اللفظ الموضوع" (اللفظ المفتاح) أو "الجملة الموضوع"[2].

ويزعم فان دايك بالنسبة لتصوره عن البنية الكبرى أنه يمتلك واقعًا إدراكيًا، ويحاول من خَلال حجَج تجريبية وتجارب خاصة ذات طبيعة سيكولوجية، لا نستطيع أن نتناولها هنا بالتفصيل، أن يثبت أن البنية الكبرى وبناءها(بتطبيق القواعد الكبرى) تؤدى فى نموذج سيكولوجى لعملية فهم النص دورًا جوهريًا[3].

وقد تعرض نهج فان دايك للنقد من جوانب مختلفة[4]، وينصب النقد من

(١) قارن فان دايك ١٩٨٠، ص٤٩.

(٢) قارن فان دايك ١٩٨٠، ص ٥٠.

(٣) قارن فان دايك ١٩٨٠، ص١٨٣ وما بعدها، كذلك أيضًا برينكر ١٩٧٣ ص٢٠ وجوليش/ رايبله ١٩٧٧، ص ٢٧٠ وما بعدها ـ وتختص تجارب فان دايك أساسًا بتذكر نصوص القصص واختصارها.

(٤) على سبيل المثال على يد جوليش/ رايبله ١٩٧٧، ص ٢٧٢ وما بعدها، وكستهوف Quasthoff، ١٩٨٠، ص٣٩ وما بعدها.

جهة على شكل واستنباط البنية الكبرى ذاتها، ومن جهة أخرى على/ مشكلة: كيف يمكن أن تُوَلَّد البنية السطحية للنصوص من البنية العميقة الدلالية عن طريق عمليات نصية (تحويلات)، وأخيرًا سؤال: كيف يجب أن يجرى تطبيق القواعد الكبرى بالتفصيل حتى يتوصل إلى الكبرى للنص المُعْنى؛ ومما اختلف حوله أيضًا فرضية فان دايك عن وثاقة الصلة الإدراكية لتصوره.

وفى أعماله الحديثة يفترض فان دايك كذلك خلاف الأبنية الكبرى ما أطلق عليه الأبنية العليا. ويُفهم تحت البنية العليا "نوعٌ من مخطط مجرد، يحدد النظام الشامل للنص، ويتكون من سلسلة من الفصائل النحوية التى ترتكز إمكانات تأليفها على قواعد عرفية"[1].

وتُدرك الأبنية العليا على أنها "ابنية أساس جوهرية" تولدها "قواعد البناء"، وتعدلها "قواعد التحويل". ويعرضها فان دايك ـ مستندًا إلى الرسوم الشجرية للبنية("واسمات أركان الجملة phrasemarkers") فى النحو التوليدى ـ بوصفها رسومًا شجرية للفصائل النحوية مرتبة ترتيبًا هرميًا[2]، حيث يلاحظ بصورة نقدية أن هذا التمثيل ربما يتضمن نظامًا محكمًا للفصائل.

وفى الواقع قد نُوه إلى الإطار المرجعى التوليدى فقط، ولكن لم يُستمر فى بسطه. فمن جهة الوضع الأدنى للتغلغل النظرى والتجريبى لهذا المجال اقتصر فان دايك على بعض "ملحوظات حول السمات المفترضة" لتلك الأبنية العليا[3]. ولذلك صار وضع البنية العليا داخل نموذجه الكلى أيضًا غير واضح تمامًا.

---

(١) فان دايك ١٩٨٠، ص١٣١.

(٢) قارن فان دايك ١٩٨٠، ص١٣١.

(٣) فان دايك ١٩٨٠، ص١٢٩.

ويختص ذلك قبل أى شيء بعلاقة الاستنباط بين الأبنية العليا والأبنية الكبرى.

ويلاحظ فان دايك خاصة أن البنية العليا تشكل "نوعًا من شكل النص Textform" موضوعه، تيمته، أى أن: البنية الكبرى هى مضمون النص Textinhalt"[1]. ومن الناحية الإدراكية، أى من جانب استيعاب النص والمعلومة تعد الأبنية العليا مخططات إنتاج وتفسير للنصوص[2].

ويصف فان دايك بنيتين عليتين وصفًا أكثر دقة، هما الحكاية"القص" والحجاج[3]؛ ويتعلق الأمر في ذلك بأبنية توجد لها من قبل/ سلسلة من طرائق الوصف. وسوف نعود إلى ذلك مرة أخرى (انظر ما يلى، المبحث ٣-٥).

ويبدو الفرض الذى يعد أساس بحوث فان دايك (بل وبحوث أجريكولا ودرسلي وغيرهما كذلك) عن وجود أساس دلالى ـ موضوعى للنص مقبولاً بوجه عام؛ وهو يتطابق ـ كما سنبين كذلك فى المبحث الآتى ـ تصورنا اللغوى اليومى للموضوع (التيمة)، ويمكن أن يرتكز على المعارف والملوحظات الآتية[4].

ـ عند إنتاج لا يتمثل لنا بوضوح فى العادة المضمون الكلى للنص، بل فى الغالب الموضوع أو الموضوعات فقط التى نرغب فى الحديث أو الكتابة عنها.

ـ يمكننا أن نصوغ عن موضوع ما، الموضوع نفسه نصوصًا مختلفة.

(١) فان دايك ١٩٨٠، ص ١٢٨.

(٢) قارن فان دايك ١٩٨٠، ص ١٨٦.

(٣) قارن فان دايك ١٩٨٠، ص ١٤٠ وما بعدها؛ عولجت البنية العليا، التى وصفت كذلك إضافة إلى ما سبق، للمقالة العملية على أنها بديل خاص للبنية العليا الحجاجية.

(٤) قارن أيضًا درسلر ١٩٧٣، ص ١٧ وما بعدها؛ وفان دايك ١٩٧٢أ، ص ٢٠٦؛ وبرينكر ١٩٧٣ ،ص ٢٠.

ـ نؤكد أن رواية أو مسرحية أو فيلمًا ما الخ تعالج جميعها الموضوع ذاته.

ـ نقول إن أي شخص قد خرج عن الموضوع يعني أنه لم يبسط الموضوع المطروح بسطًا مراعيًا للقواعد.

وينطلق تصورُ بسط الموضوعات المعروض في المباحث الآتية أيضًا من الفرض القائل بأن للنصوص نواة موضوعية، موضوع يُبْسَط حسب مبادئ معينة (موجهة آخر الأمر توجيهًا اتصاليًا) حول المضمون الكلي للنص. وخلافًا لنموذج فان دايك عن الأبنية الكبرى والأبنية العليا، لا يُدَّعَى وجودُ نموذج للنص بمفهوم توليدي؛ ولا يُربط أيضًا بفروض بعيدة من جهة العمليات الإدراكية لاستيعاب النص والمعلومات. وفي بادئ الأمر لن يُنْظَر إلى مفهومي "تيمة النص"، و"شكل بسط الموضوع" إلا باعتبارهما مقولتي تحليل، نحاول بمساعدتها أن نجعل البنية الموضوعية للنصوص المطروحة شفافة transparent، ومن خلال ذلك يمكن أيضًا أن يُختَبَر فهمنا المعين للنص ـ على الأقل حتى درجة محددة ـ اختبارًا متداخلاً بين ذوات.

٣-٤-٤ موضوع النص وبسط الموضوع

٣-٤-٤-١ الموضوع بوصفه نواة مضمون النص

في اللغة اليومية يُفهم تحت "تيمة" موضوع نص ما، موضوع محادثة، موضوع عرض تصويري وما أشبه (قارن مثلاً/ **موضوع محاضرة ومعالجة موضوع... الخ**). وفي الحقيقة لا تتعلق كلمة "تيمة" بالموضوع التواصلي الرئيسي لنص ما (صاحب الإحالة الغالب) فقط، على نحو ما يتحقق لغويًا في أوجه الإعادة الاسمية والضميرية، بل يشتمل التصور اليومي "التيمة" في أكثر الأحوال أيضًا على ما قيل في النص "في الحال" حول ذلك الموضوع المحوري، أي الفكرة الرئيسية أو الأساسية لنص ما (قارن مثلاً الاستعمالات حول مناقشة موضوع ما، والخروج عن الموضوع، والعدل عن الموضوع).

ونعرف "الموضوع" "التيمة" انطلاقًا من هذا الاستعمال اللغوى اليومى للكلمة بأنه نواة مضمون النص، حيث يَسِم مسار الأفكار القائم على موضوع أو عدة موضوعات فى نص ما (أى الأشخاص، والأحوال والوقائع، والأفعال، والتصورات... الخ[1]. ويتحقق موضوع النص (بوصفه نواة المضمون) إما فى جزء معين من النص (مثلاً فى العنوان أو جملة معينة) أو نجرده من مضمون النص وذلك بطريق العبارة المفسرة الموجزة المختصرة. يمثل موضوع النص إذن الصياغة الملخصة إلى أبعد حد لمضمون النص. ويمكن للمرء الآن أن يؤسس اختصار النص على عمليات فان دايك الكبرى؛ غير أن تطبيقها يجلب معه، كما بيّن أ. جوليش وف. رايبله بمثال نصى[2] ـ كثيرًا من أوجه عدم الوضوح إلى حد أننا لا نريد أن نرجع إلى هذه القواعد. فعلى المرء أن يكون بوجه عام على يقين من أنه لا يمكن أن يُقدَّم عند التحديد التحليلى النصى للموضوع (بوصفه نواة المضمون) إجراء "آلى" تفضى وفق خطوات كثيرة نهائية بشكل تلقائى إلى الصياغة "الصحيحة" للموضوعات[3].

---

(١) بهذا التعريف للموضوع أربط نهجى فى وصف البنية المعلوماتية للنصوص، الذى طرح سنة ١٩٧١ للمناقشة (برينكر ١٩٧١، ص ٢٣٣). وتطابق المصطلحات التى استخدمت آنذاك: بنية معلوماتية، ومعلومة أساسية من الناحية المفهومية مصطلحى "بنية موضوعية" و"موضوع النص". ـ حول مفهومى "موضوع" و"بسط الموضوعات" قارن أيضًا برنكر ١٩٧٩، ص ٩ وما بعدها.

(٢) قارن جوليش/ رايبله ١٩٧٧، ص ٢٧٤.

(٣) عن ذلك تنتج تحفظات أساسية تجاه محاولة أجريكولا (١٩٧٩)، لتكوين نموذج لتحليل مضمون النص، ينبغى أن يُمَكِّن من الوصول "فى خطوات موضوعية من البنية السطحية" لنص ما إلى نواته الموضوعية("النواة المعلوماتية") (قارن ما سبق ص ٨وص ٣٤ـ الإبراز منى)، يدور الأمر لدى اجريكولا فى نموذج تحليله أساسًا حول اختصار نصوص معقدة بالنسبة لحاجات المعالجة الآلية للمعلومات بمساعدة مجموعة عملية محددة من الأدوات إلى ما هو جوهرى، ما هو وثيق الصلة" ـ كما أطلق عليه ـ (كما لو كان قد ثُبت ذلك موضوعيًا، أى بشكل مستقل عن سياق التلقّى المختص كما يقال "بالنص فى ذاته"). الموضوع والنص يقعان بعضهما

إن تحديد الموضوع على الأرجح تابع للفهم الكلى الذى يستخلصه القارئ المعين من النص./ ذلك الفهم الكلى يحدده بشكل حاسم المقصد المُخَمَّن لدى الباث، أى القصد التواصلى الذى اتبعه المتكلم/ الكاتب بنصه حسب رأى المتلقى. (قارن كذلك ما يرد فى المبحث ٤-٣).

وإذا لم يكن من المستطاع أساسًا أن تُقدم بذلك أيضًا أية عمليات (شكلية) مفصلة، يكفل تطبيقُها الصحيح تحديدًا كافيًا للموضوعات فإنه يمكن أن تُصاغ بعض مبادئ، يمكن أن يُوجه تحليل الموضوعات على أساسها[1].

ويتعلق الأمر فى ذلك بادئ الأمر بمبدأ الإعادة، ويعنى هذا أننا يمكننا عند التحديد التحليلى النصى للنص أن ننطلق من الموضوعات المحورية للنص، على نحو ما يعبر عنها فى إطار وجهة نظر نحوية فى الأشكال المختلفة للإعادة.

ففى العادة يتضمن النص عدة موضوعات، لكل منها فى واقع الأمر أهمية موضوعية متباينة، بحيث ينشأ نظام متدرج للموضوعات، نوعٌ من سُلَّمية الموضوعات.

وحتى يمكن أن نفرق بين الموضوع الرئيسى والموضوعات الفرعية نضع مبدأين آخرين:

. مبدأ إمكان الاستنباط

ويعنى أننا نعد الموضوعَ الرئيسى للنص الموضوعُ الذى يمكن أن "تستنبط" منه الموضوعات الأخرى على نحو بالغ الإقناع(لفهمنا للنص).

من بعض فى علاقة تركيز دلالى بالانتشار، علاقة ما هو ثيق الصلة بما هو وثيق الصلة زائد "بالإضافة إلى" ما هو اختيارى - متغير - فضلة" (ص ٣٢) وتوافق البسط المتدرج للموضوع عند إنتاج النص عملية قياسية لاستنتاج الموضوع من النص فى عملية معكوسة عند تلقى النص. ويطور اجريكولا جهازًا شكليًا معقدًا لوصف ملتزم بنموذج لهذه العمليات. فى سياقنا هذا لا يمكننا أن نُفيض فيه.

(١) قارن برينكر ١٩٨٠،ص ١٣٩.

. مبدأ التوافق

ويركز هذا المبدأ على الشرط القائل إن الموضوع والوظيفة التواصلية للنص يتوقف كل منهما على الآخر حتى درجة معينة (على نحو يمكن أن يقارن بعلاقة الفعل الإنجازى بالفعل القضوى فى نظرية الفعل الكلامى).

إذن يعد موضوعًا رئيسيًا للنص/ الموضوع الذى ينسجم انسجامًا أمثل مع وظيفة النص المكتشفة على أساس تحليل براجماتى للنص(قارن كذلك ما يرد فى الفصل الرابع).

وينبغى الآن أن تُوضح هذه التحديدات التى ما تزال مؤقتة إلى حد ما بمثالين نصيين، وتُقدم من وجهة نظر تحليلية نصية.

(١) حجرة محترقة

آخن ـ (١) فى حوالى الساعة الثالثة عصرًا أُنذِرت أمس فرقة الإطفاء فى آخن. (٢) فانطلقت إلى شارع توماس هوف حيث شبت النار فى مسكن. (٣) أطفأ رجال الإطفاء النار بثلاثة أنابيب ـ C (٤) كان كبير مسؤولى الإطفاء شتاركه فى موقع الخطر. (٥) احترقت حجرتان احتراقًا تامًا. (٦) أصيبت ثلاثة أخريات بالضرر.(٧) سبب الحريق ما يزال غير معروف. (٨) فى أثناء ذلك تدخل البوليس الجنائى. (٩) كان على رجال الإطفاء أن ينقذوا طفلاً صغيرًا من دور علوى.

(١٠) فى أثناء الحريق لم يكن أحد موجودًا فى المسكن المنكوب.

(عن جريدة: أخبار آخن فى ١٧/ ٢/ ١٩٧٣).

يمثل النص ـ من الناحية التواصلية ـ البراجماتية ـ فعلاً معلوماتيًا مركبًا، يحاول الباث أن يعرف المتلقى حالة معينة، وبصورة أدق: أن يُعْلِم المتلقى

واقعة (سلبية) محددة (من الماضي القريب) (قارن حول ذلك ما يرد في الفصل ٤-٤-٢).

ويصلح الآن أن نُحدد موضوع النص.

انطلاقًا من شيوع أوجه الإعادة تشير الوحدات المعجمية: فرقة الإطفاء (مرجع١)، ومسكن (مرجع٢) إلى الموضوعين المحوريين للنص.

مرجع ١: فرقة الإطفاء (٣) ـ كبير مسؤولي الإطفاء شتاركه (٤) ـ رجال الإطفاء(٩) مرجع ٢: في مسكن (٢) ـ حجرتان (٥) ـ ثلاثة أخريات (٦) ـ في المسكن المنكوب (١٠)

وينتج بناءً على أوجه الإعادة هذه تقسيم ثلاثي للنص:

قسم ١: صاحب الإحالة الغالب = إطفاء (رجال الإطفاء/ كبير مسؤولي الإطفاء = أوجه إعادة ضمنية، علاقة تجاور معللة ثقافيًا).

هذا القسم يشتمل على الأجزاء من ١-٤و٩.

قسم ٢: صاحب الإحالة الغالب = مسكن (حجرة = إعادة ضمنية، تجاور معلل ثقافيًا)

هذا القسم يضم الأجزاء ٢و ٥و ٦و ١٠.

/ قسم ٣: الجزءان ٧و ٨

لا يربط جزء ٧ مع الأجزاء الأخرى إلا الوحدة المعجمية حريق (مثال ذلك ٢و ٤و ٥)؛ والربط بين الجزءين ٧و٨ ضمني. فقد أنشأته معرفتنا بالعالم (التي يمكن أن توصف بالجمل: فمن ضمن مهمة البوليس الجنائي بحث أسباب الحريق).

ويراعى عند هذا التحليل أساسًا أن التقسيم الموضوعي لا يعبر عنه في بنية الإعادة إلا إلى درجة معينة، ولا يعبر عنه تعبيرًا كاملاً (بمفهوم علاقة واحد إلى

واحد). فالتحليل الموضوعى ينطلق على الأرجح من فهم كلى للنص، ولا يراعى - طبقًا للتعريف المتقدم أعلاه للموضوع"التيمة" - أصحاب الإحالة الغالبين فى كل فقرات النص فقط، بل ما قيل عنهم فى النص أيضًا. ويُقدم إذن التصوران "حريق المسكن" و"جهد الإطفاء" بوصفهما الموضوعين (الرئيسين) للنص. ويتوافق كلا الموضوعين مع وظيفة النص (الإبلاغ عن واقعة - "س") ونوع النص المطابق "خبر (صحفى)". وفى الواقع يمكن أن تندرج قضايا النص كاملة ضمن موضوع"حريق المسكن" فقط (على العكس من ذلك لا يغطى الموضوع "جهد الإطفاء" إلا قضايا الأجزاء ١-٤ وكذلك عند الضرورة٩). سوف نتناول علاقة الاستنباط هذه فى المبحث القادم تناولاً أكثر دقة.

إن التحديد التحليلى النصى للموضوع مرتبط بمشكلة صياغة الموضوعات ارتباطًا وثيقًا، إذ تطرح مسألة، إلى أى مدة ينبغى أن يُختصر، وهكذا ما المعلومات التى تُستوعب فى صياغة الموضوع[1].

نريد هنا أيضًا أن نحدد الإطار من خلال التحليل التواصلى - البراجماتى، أى أن نجرى صياغة الموضوعات صياغة خاصة بأنواع النصوص.

ويتضح بالنسبة للنص المتقدم أن المعلومات المكانية والزمانية تُراعى عند صياغة الموضوع؛ لأن النص لا يقدم معلومة عامة عن موضوع"المطابق للنمط النصى"خبر") باعتباره واقعة معينة، محددةً مكانيًا وزمنيًا. وسواء أدَّى الموضوع الآن فى صياغة اسمية (حريق المسكن فى ١٦/ ٢/ ٧٣ حوالى الساعة الثالثة ظهرًا فى شارع توماس هوف فى آخن) أو فى صورة ما تسمى الجملة الخبرية(مثل: فى ١٦/ ٢/ ٧٣ وقع فى حوالى الساعة الثالثة ظهرًا/ حريق فى مسكن فى شارع توماس فى آخن) فإنه يبدو على الأقل فى هذه الحال أضعف صلة بالموضوع.

(١) نوقشت هذه المشكلة بإيجاز أيضًا لدى درسلر ١٩٧٣، ص ١٩.

نَبلغ الآن المثال النصي الثاني؛ الجزء اللغوى نصه:

(٢) تراعينى (قراط) أراعيك (قراطين)[١]

(١) اعتنِ بنفسك ، . واترك له أن يعتنى بك (٢) ذلك لا يمتع فحسب، إنه مفيد للبشرة.

(٢) للعناية بالبشرة على الجسد كله لا يوجد أفضل من كريم نيفيا.

(٣) لأنه يحتوى على كل ما يحتاجه الجلد لكى يظل أملس، ولدنًا ونضرًا.

(٥) كريم نيفيا له رائحة هادئة مقبولة منعشة. (٦) يمكن أن ينتشر بسهولة:

يكفى تدليك لطيف. (٧) ويُمْتص بسرعة، دون أن يخلف وراءه لمعة دهنية (٨) اجعل يوم استحمامك القادم يوم عناية. (٩) لا تستحم أنت وأُسرتك بالماء والصابون فقط. (١٠) بل آعتنِ بنفسك عقب ذلك بكريم نيفيا أيضًا.

(عن: من أجلك، يونيو ١٩٧٢)

من الناحية التواصلية ـ البراجماتية يقدم النص فعل طلب معقدًا (بتعبير أدق: فعل توصية) (قارن حول ذلك ما يرد فى الفصل الرابع ٤-٤-٣).

ويتنهج النص على الأقل من البدء نهجًا حجاجيًا (قارن حول ذلك ما ورد فى المبحث ٣-٥-٣)؛ إذ توجد صور للتعليل. فمن الأفضل مع نصوص تنتهج نهجًا حجاجيًا أن تتقدم الموضوع الفكرةُ الرئيسية للمؤلف (فى صورة ما تسمى الجملة الخبرية، التى تحتوى على جزء الإحالة وجزء الحمل).

ويفضى التحليل الموضوعى للنص إلى فكرتين (موضوعين) تتحققان فى النص مباشرة إلى حد ما (قارن حول ذلك أيضًا ما ورد فى المبحث ٣-٤-٤-٢):

---

(١) اضطررت إلى وضع إضافة بين قوسين فى عنوان نص الدعاية، حتى يقترب من مقصده، فلا يناسب نصوص الدعاية تفصيح التعبيرات العامية.

١ـ للعناية بالبشرة لا يوجد شيء أفضل من كريم نيفيا.

٢ـ عناية كريم نيفيا بالبشرة يُمتع.

فكلا الموضوعين قد رُبط بعضهما ببعض برابط (أدوات الربط: الواو وليس فقط ـ بل أيضًا)؛ وقُدِّما فى نواة من خلال شعار وزجاجة خُطَّ فى أسفلها العنوان كريم نيفيا (بشكل واضح: يوصى الباث المتلقى أن يعتنى بكريم نيفيا، ويتيح له أن يعتنى هو به). فالمفهوم المتفاح الموضوعى هو مفهوم العناية الذى يظهر فى أشكال ومركبات لغوية مختلفة.

وبينما يمكن أن يُفرق فى المثال النصى(١) بين موضوع رئيسى وموضوع فرعى بناءً على مبدأ إمكان الاستنباط، يجب أن يستخدم للنص(٢) مبدأ التوافق (فكلا الموضوعين ـ من الناحية المنطقية ـ الدلالية ـ يجاور حقًا كل منهما الآخر).

وينتج عن ذلك أن ينظر إلى الموضوع(١) "للعناية بالبشرة لا يوجد شيء أفضل من كريم نيفيا" على أنه الموضوع الرئيسى،/ ولكن ينظر إلى الموضوع(٢) "عناية نيفيا بالبشرة يمتع" على أنه الموضوع الفرعى (١) يقع فى علاقة تحليل أشد مباشرة من الموضوع (٢) بطلب الشراء أو التوصية به. ويمكننا أن نصف هذا الفهم للنص على النحو الآتى: "خذ كريم نيفيا لأنه لا يوجد للعناية بالبشرة شيء أفضل من كريم نيفيا. فضلاً عن أن العناية بالبشرة مع كريم نيفيا شيء يمتع".

ومن منظور براجماتى نصى (وبخاصة من جهة التأثير المتوقع للنص) يُرى فى الموضوع الفرعى حقيقة مغزى النص الذى يعقد عليه الباث تأثيرًا خاصًا للدعاية. وتشير إلى ذلك صورة كاملة الجوانب، تعرض عناية المرء بنفسه وعناية غيره به أو العناية وتكرير العناية "مثلاً اجتماعيًا مألوفًا ممتعًا".

٣-٤-٤-٢ حول مفهوم البسط الموضوعى

قد وُضِّح بمبدأ إمكانية الاستنباط المعالج فى المبحث الأخير المفهوم الأساسى الثانى للتحليل الموضوعى للنص، مفهوم البسط الموضوعى الذى يعنى الأداء الذهنى للموضوع[.] ولما كان بسط الموضوعات توجهه أساسًا عوامل تواصلية وموقفية (مثل قصد التواصل، والغرض منه، ونوع العلاقة بين شركائه، وطبيعة تقدير الشركاء ... الخ) فقد قُدِّمت مبدئيًا إمكانات مختلفة لبسط موضوع. غير أنه ما يزال لا يعرف عن تلك العلاقات إلا القليل.

ويمكن أن يوصف بسط الموضوع حول المحتوى الكلى للنص بأنه ربط أو ائتلاف بين مقولات عقلية محددة تحديدًا منطقيًا ودلاليًا، تقدم العلاقات الداخلية للمضامين أو الموضوعات الجزئية الـمُعَبَّر عنها فى أجزاء نصية مفصلة (عنوان، وفقرات، وجمل.. الخ)[1]. حوْل النواة الموضوعية للنَّص (موضوع النص) مثل التخصيص فى التعليل.

وهكذا يمكن أن يقع تحليل البسط الموضوعى للنص فى خطوتين: فى الخطوة الأولى نحاول أن نكشف عن الإسهام المضمونى الذى تحققه القضايا المفصلة أو المركبات القضوية حول المضمون الكلى للنص، وأن نصوغه بإيجاز ما أمكن (فى صورة ضمنية اسمية أوفيها تسمى الجملة الخبرية). وتكمن الخطوة الثانية فى تحديد العلاقات المنطقية ـ الدلالية للمضامين أو الموضوعات الجزئية المستخلصة فى الخطوة الأولى حول موضوع النص، وفى وصفه وصفًا مقوليًا.

/ ونريد الآن أن نوضح التحديدات المفهومية والمنهجية المعنية بمثالين نصيين من المبحث الأخير[2].

---

(١) فارن برينكر ١٩٧١، ص ٢٣٣(مع تحليل لأمثلة)؛ برينكر ١٩٧٩، ص١٠ .

(٢) حول تحليل الخبر الصحفى، قارن برينكر ١٩٨٠أ، ص ١٤٠.

يُبَسَط موضوع النص فى الخبر الصحفى (مثال١) تحت جوانب موضوعية ثلاثة، يكن أن نفهم على أنها مكونات موضوعية أو موضوعات جزئية للمفهوم "احتراق مسكن":

١- مكافحة رجال الإطفاء الحريق (الأجزاء ١ـ ٤، التى تعد على أساس صاحب الإحالة "المتواصل" (رجال الإطفاء) تحقيقًا لمركب قضوى؛ وفضلاً عن ذلك فى الجزءين ١ و٢ يثبت الموضوع زمنيًا ومكانيًا).

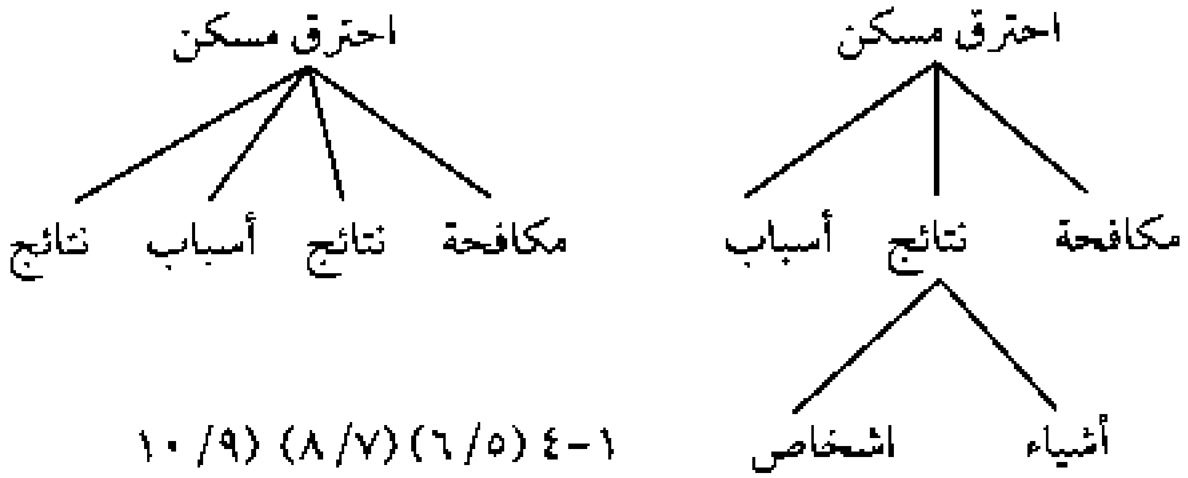
٢- نتائج الحريق(تحديد الأضرار، تختلف حسب الضرر المادى والضرر الشخصى: الجزء ٢ هو جزء الحمل). ويتعلق بالموضوع الجزئى ٢ أيضًا العنوان احتراق حجرة.

٣- أسباب الحريق(الجزءان ٧/ ٨).

وتعد المقولة العامة للربط بين الموضوع الرئيسى والموضوعات الجزئية ـ على وجه التبسط ـ هى مقولة التخصيص Spezifizerung. يبدو ترتيب الموضوعات الجزئية ثابتًا بشكل جزئى فقط. وبينما يجب أن يقع الموضوع الجزئى الأول فى بداية النص فإن تتابع الموضوعين الآخرين عشوائى نسبيًا.

ومن اللافت للنظر أن الموضوع الجزئى الثانى لم يعالج مترابطًا، بل تخلله عرض ثلاث موضوعات جزئية. ونشأ عن ذلك انطباع بأن الموضوعات الجزئيةرتبت فى نظامين (نتائج بالنسبة للأشياء ـ ونتائج بالنسبة للأشخاص) على المستوى الأول لتدرج الموضوعاتـ وبذلك سُوِّى بين الموضوعين الجزئين٣و ١ ـ وهو ما يتعارض مع النظام المنطقى.

وإذا ما أُجْمِل فى صورة مخطط نتج ما يأتى:



("بنية منطقية")   (بنية موضوعية متحققة)

وبذلك لا تطابق البنية "المنطقية" الممكن إعادة بنائها معرفيًا البنية الموضوعية للنص التى تتبين من جانب ترتيب الموضوعات الجزئية. هذا الاختلاف الذى نشأ من خلال العرض المنقطع للموضوع الجزئى الثانى، ربما كان سببه أيضًا إحساس عدد كبير من مساعدى البحث أن الجزء الأخير من النَّص غير منظم، وغير مترابط، بل غير متماسك إلى حد ما.

يجب فى الواقع أن يُختبر بمادة نصية أكبر هل يحقق النص مخططًا موضوعيًا عامًا لنصوص الأخبار التى تحوى واقعة سلبية منقضية حول الموضوع (بمعنى: إجراءات مضادة ـ نتائج ـ أسباب).

ونرغب كذلك أن نتناول فى إيجازٍ بسط الموضوعات فى الإعلان (مثال٢).

عُلِّل الموضوع الرئيسى، التى تعرضه فكرة "للعناية بالبشرة لا يوجد شىء أفضل من كريم نيفيا"، فى قضايا الأجزاء ٤-٧. ويُوجه نوع التعليل كليةً على أساس موقف التوقع الذى يفترضه الباث لدى المتلقى: فقد عيِّنت خواص وتأثيرات بشكل قالبى تُؤمّل بوجه عام من منتج من هذا النوع (لا توجد بيانات عن التركيب الكيميائى لهذا المنتج).

وقد وُضِّح (بُيِّن) الموضوع الثانى خاصة (عناية كريم نيفيا بالبشرة يمتع)، من الناحية اللغوية من خلال الضمنية "التدليك برفق" أو المقابلة بين يوم الاستحمام، ويوم العناية، بل من الناحية اللغوية من خلال الصورة المتكاملة الجوانب المذكورة.

وفى الحقيقة يبدو الموضوعان ـ كما فُصِّل من قبل ـ موضوعين متجاورين، غير مترابطين من الناحية المنطقية بعضهما ببعض. غير أنه فى الجزء ٦ أُنشئت على الأقل علاقة شرطية غير محكمة بين الموضوعين، يشير فيها الباث ضمنيًا إلى أن الكثافة السائلة للمنتج تجعل الممارسة الممتعة "للعناية" و "إعادة العناية" ممكنة بوجه عام(بشكل محدد: ينتشر بسهولة. ولذلك يكفى تدليك برفق).

وتبين التحليلات أن أساس النصين ليس موضوعات مختلفة فحسب، بل إن الموضوعات تُبْسَط بشكل متباين للغاية أيضًا. ويصير ذلك واضحًا بوجه خاص حين نقوم بالتجريد من المضامين النصية المحددة والقضايا المشكلة لها، نقصد المقولات المنطقية ـ الدلالية، التى تعد أساسية لبسط الموضوعات (وهى التخصيص من جانب، والتعليل والتفسير من جانب آخر). وتقدم النصوص فيما يبدو إمكانات بسط مختلفة.

تكونت إذن فى الجماعة اللغوية سلسلة من الصور الأساسية للبسط الموضوعى، ربما يعد من أهمها البسط الوصفى (beschreibende)، والبسط السردى (erzählende)، والبسط التفسيرى (erklärende)، والبسط الحجاجى (begründende) لموضوع ما حول مضمون النص. وتتميز هذه الصور، التى تتبع المعرفة اليومية للشريك اللغوى، بأنها مقولات أو ترابطات من مقولات دلالية ـ موضوعية محددة (بالمعنى الموصوف أعلاه).

إن الصور الأساسية التي يمكن أن تظهر في نصوص معينة في صياغات وائتلافات متنوعة، تحدد البنية الموضوعية للنص. فبحسب الصورة الأساسية التي تسود نتحدث عن بنية نصية وصفية أو سردية أو تفسيرية أو حجاجية أساسًا.

نريد في المبحث التالي أن نصف الصورة الأساسية وصفًا أكثر دقة، تلك التي تعد وثيقة الصلة خاصةً بالبنية الموضوعية لما يسمى بنصوص الاستعمال ـ Gebrauchtexte[1]، أي البسط الوصفي الإيضاحي الحجاجي للموضوعات[2].

٣-٥ أشكال أساسية للبسط الموضوعي

٣-٥-١ البسط الوصفي للموضوعات

في البسط الوصفي للموضوات تُعرض تيمة ما في مكوناتها (الموضوعات الجزئية)، وتُنْظَم في مكان وزمان. ومن ثم فإن المقولات الموضوعية الأهم هي التخصيص (التفريع) والتعيين الموقعي (التنظيم).

ويظهر البسط الوصفي للموضوعات في تشكلات مختلفة، تتوقف على نوع الموضوع[3]. ونريد أن نُفرّق بين البدائل الآتية:

(أ) يصف الموضوع حدثًا مفردًا، واقعة تاريخية.

---

(١) حول تعريف "نص الاستعمال" قارن ما سبق الفصل الثاني، هامش ٢١.

(٢) يُعد البسط السردي للموضوعات على النقيض ـ بغض النظر عن القص الأدبي ـ أكثر خصوصية لنصوص متشكلة شفويًا (مثل الحكايات اليومية).

قارن حول ذلك أيضًا ما يلي ص ٦٨. ـ أُدرج التعيين المتطور في هذا الجزء بصور أساسية من البسط الموضوعي في الطبعة الخامسة لنحو دودن Dudengrammatik (١٩٩٥، ص ٨٠٦ وما بعدها).

(٣) قارن حول ذلك أيضًا شميت وغيره ١٩٨١، ص ٨٩ ومابعدها.

/ مثال ذلك:

١ - شجار في هـ . س. ف

حدث شجار عنيف قبل لعب فريق هامبورج س.ف اليوم في بطولة العالم لكرة القدم في بيلباو. فقد أرسل ارنست هايل عند التدريب حارس مرماه أولي شتاين إلى حجرة تغيير الملابس قبل انتهائه إثر مشادة كلامية.

(عن جريدة: هامبورجر آبندبلَت في ١٢/ ٨/ ٢٨، ص١)

يورد الباث بعض أجزاء جوهرية من الواقعة "شجار في هـ . س. ف"؛ إنه يجيب ـ كما يقال ـ عن الأسئلة حول ماذا وكيف (مجرى الواقعية) ومَنْ (الأشخاص الفاعلين) ومتى وأين (زمان الواقعة ومكانها). ولم تُذكر في هذا الخبر المختصر دوافع الفاعلين (لماذا) وربما توابع الواقعة (ما النتيجة)؛ وتوجد المعلومات المتعلقة بذلك في تقرير أطول يحيل إليه الخبر (مع صفحة ١٦).

ويتحدد البناء الموضوعي للنص تفصيلاً، أي: ترتيب القضايا، في تقارير الوقائع بوجه عام على أساس المجرى الزمني للحادث المخبر عنه.

ومن الناحية النحوية تسود ما تسمى أزمنة الماضي (في نصنا الماضي البسيط) وكذلك التحديدات الزمنية والمكانية (قبل اللعب اليوم، في بيلباو.. إلخ).

ويعد البسط الوصفي للموضوعات في هذا الشكل مميزًا بوجه خاص للأنواع النصية الإعلامية "الخبر" و"التقرير". ومن ضمن ذلك أيضًا الخبر الصحفي المحلل في المبحث ٣-٤-٤.

وينبغي للإصلاح أن يؤتى بمثال نصي آخر؛ يدور حول خبر إذاعي:

مثال:

(٢) (١) لم يرفض الاتحاد المسيحي ـ الديمقراطي إجراءات الترشيد التي

قررها ائتلاف بون كاملة. (٢) وهو بذلك يرفض المسار الذى ايده فرانتس يوسف شتراوس. (٣) وقال رئيس حزب الاتحاد المسيحى ـ الديمقراطى كول بعد اجتماع رئاسى أمام الصحفيين فى بون أن حزبه يرفض بشدة زيادات الضرائب والرسوم.

(٣) وذكر مثالاً على ذلك زيادة الإسهام فى التأمين على العاطلين عن العمل،

وكذلك القيود فيما يسمى انفصال الأزواج والمبلغ الاحتياطى. (٥) وواجهت التغيرات المخطط لها فى التأمين الصحى نقدًا شديدًا من قبل الاتحاد المسيحى الديمقراطى، ولكن قال كول: يظل فى مساره العام. (٦) وترك لحزبه أن يتناقش حول بعض مشروعات أخرى.

(عن: إرسال إخبارى فى ٣٠/٨/ ٨٢ فى قناة NDR III، فى الساعة السابعة مساءً، النشرة الثانية).

/ يتكون الإرسال الإخبارى من أخبار مفردة، يفصل بعضها عن بعض وقفات، ولها خاصية نصوص مفردة، أى لا ترتبط فيما بينها حسب مبدأ التماسك، فلكل نص إخبارى من هذه النصوص الإخبارية حال أو واقعة حول موضوع، يُبسطُ وفق المقولات الموضوعية للتنظيم والتخصيص.

وفى مثالنا الموضوع متضمن فى الأجزاء ١و٢: لا يشارك الاتحاد المسيحى ـ الديمقراطى الرفض العام لإجراءات الترشيد الذى طالب به شتراوس. وقد عُيِّن الموضوع ابتداء فى الجزء ٣ (من خلال بيان مصدر المعلومة ومكانها: قال كول بعد اجتماع رئاسى أمام الصحفيين فى بون) ثم خُصِّص من خلال إيراد الباث بطريق الإحالة: أى أجزاء من قائمة الترشيد لقيت قبولاً من الاتحاد المسيحى ـ الديمقراطى، وأى أجزاء رفضها.

(ب) يصف الموضوع حدثًا عُرِض بوصفه مقننًا(قابلاً للتعميم، وقابلاً للتكرير).

مثال ذلك:

(٤) توليف مقبض لشاكوش

١ - شراء مقبض جديد مجهز، يناسب ثقب رأس الشاكوش وليس قصيرًا جدًا: بالنسبة لشاكوش النجار ٣٥سم تقريبًا.

٢ - تركيب رأس الشاكوش، الضرب عدة مرات بقوة بالمؤخرة الخلفية للمقبض على منضدة الشغل، بحيث تنجذب الرأس بقوة... بعد هذه التجربة إبعادُ رأس الشاكوش مرة أخرى. ثَقْبُ فتحة مائلة للخابور.

٣- صُنْع خابور نحيل.

٤ - تركيبُ الشاكوش، الطرق على الرأس بقوة، دهان الخابور ببعض الغراء التجميع.

٥ - النشرُ بمنشار دقيق للخشب البارز فوق رأس الشاكوش.

٦ - فى النهايةيُغَطَّى المقبض بمادة السليلوز ويُشْحَذ بصوفة معدنية.

(عن: أو. فيرك ما يستر: العدة فى البيت. ميونخ ١٩٥٦، ص١٨٣)

يقسم الباث الحدث الكلى (الموضوع) إلى أحداث جزئية جوهرية، يصفها فى تواليها الزمنى وصفًا عامًا(أشير إليه بعملية الترقيم ومختصرًا).

أما الخواص اللغوية المهمة فهى:

ـ غلبة أفعال الحدث (يُركَّب، يُطْرَق، يُجَمَّع، يصْنَعَ... الخ).

/ ـ استعمال مطلق للمصدر (شراء/ تركيب/ طَرَق/ الخ)، وُضع فى إرشادات شرطية، وتوجيهات الاستعمال، وأوصاف العمل الخ، ولكنه لا يشير

إلى طلب مباشر، بل وضُع فى خدمة وظيفة مفيدة للنص (بديل لوظيفة المناشدة) (انظر حول ذلك بشكل أدق ما يرد تحت المبحث ٤-٤-٣). ولذلك فهو قابل للتبادل أيضًا الفقرة ٦ فى مثالنا النصى). وفى نصوص وصفية أخرى(كما فى البحوث العلميَّة والمراجع والكتب التعليمية) فُضِّلت بنية البناء للمجهول.

مثال من كتاب تعليمى طبى:

(٥) اقتطاع أفقى Dizision

بعد فتح سابق لغطاء العدسة من خلال عملية الفصل، فُتِح فى حال ازدياد سمك العدسة المكان الأمامى فى حافةطبقة القرنية العليا بقطع ضيق للمبضع.

واختبرت مقابيس العدسات المطلوبة التى لها سمك وضبطت بدقة أو نظفت بمنتهى العناية بحقنةFucksscher.

(عن: ف. هولفيش، طب العيون، شتو تجارت ١٩٧٤، ص ١٢٧)

ـ سقوط الأداة، والعطف بين التراكيب (المصدرية) كما فى المثال٣: الفقرة ٢و ٤)، حيث يُتحقق بذلك ـ مع استعمال المصدر المطلق ـ تشكيل لغوى بسيط، مقتضب، مقتصد.

(ج) يصف الموضوع كائنًا حيًا أو موضوعًا

مثال من معجم:

(٥) الأفيال أضخم وأثقل الحيوانات البرية الثديية. لها زلُّومة طويلة سريعة الحركة. أسنانها القواطع معدلة إلى أنياب. على كل جانب من الفكين الأسفل والأعلى لا يوجد إلا ضرس كبير مع انشاءات كثيرة فى الميناء، يجدد ست مرات

بإضافة سن جديدة من الخلف. طرف الزلومة الذى يوجد فيه فتحتا الأنف، شديد الحساسية للتذوق، ويمكن أن تقوم بمساعدة زوائد فى شكل خِرَق أو أصابع بحركات إمساك رائعة. الشعر نحيل للغاية للقوائم التى تأخذ شكل أعمدة. تحت عظام القدم وسادة مرنة قوية، يصير للفيل من خلالها سيرليِّن ومرن بشكل غير متوقع. العينان صغيرتان، ومُرِّن بشكل طيب على الشم والسمع. الأذنان كبيرتان وخفيفتا الحركة. بعد فترة حمل من ٢٠ إلى ٢٢ شهرًا يولد صغير وزنه ١٠٠كجم تقريبًا، يُرضع لمدة عامين. تحيا الأفيال إلى سن الستين، وبحد أقصى سبعين سنة؛ وبالنسبة لعمر أطول لا توجد معلومات مؤكدة.

(عن: موسوعة بروكهاوس، المجلد الخامس، فيسبادن ١٩٦٨، ص٣٩٧).

/ يتم بسط الموضوعات وفق علاقة الجزء ـ بالكل أو المضمون ، التى تظهر فى نصنا ابتداءً بوصفها علاقة جنس بنوع(حيوان ثديى ـ فيل)، ويمضى وصف الفيل وفق سماته الجهورية (زلومة وأسنان وشعر وقوائم وعيون وأذنان ووزن وعمر ... الخ). ووضعت فيها معلومات كمية أيضًا. ويمكن أيضًا حسب نوع الموضوع أن تضاف معلومات أخرى(مثلاً حول التنظيم المكانى، وغرض الاستعمال... الخ).

ومن الناحية اللغوية تتميز تلك الأوصاف ببنية تكرير متصلة. ويمكن أن توصف التشكيلات المدروسة للبسط الوصفي للموضوعات وصفًا أكثر دقة من خلال التفريق المستشهد به فى اللغة اليومية أيضًا بين تقرير Berichten ووصف Beschreiben.

وفى وصف شميت وآخرين"الوصف اللغوى والوظيفى ـ التواصلى (FKS)

توجد بالنسبة لهذه الصور(يطلق شميت عليها "طرق التواصل") التحديدات الآتية[1].

- تقرير:

"العرض اللغوى لحدث مفرد (فردى) واقعى أو حدث يدرك على أنه مقدم بشكل واقعى".

- وصف:

العرض الكائن حى، أو أشياء غير حية أو حدث أو حال يدرك بوصفه فئة من عمليات ذات سمات ثابتة متطابقة".

ومن الواضح أن تشكيلنا(أ) يطابق التقرير، بينما يعرض التشكيلان (ب)، و(ج) صورًا للوصف.

وفى الختام ينبغى أن يفصل البسط الوصفى للموضوعات فصلاً محدودًا عن البسط السردى للموضوعات الذى لا نستطيع أن نعالجه هنا معالجة مفصلة.

/ يتميز البسط السردى للموضوعات ضمن ما يتميز، على نحو ما تختص به الحكايات اليومية، بالسمات الآتية[2]:

---

(١) شميت وآخرون ١٩٨١، ص٩١. - يلاحظ أن طرق التواصل فى الوصف اللغوى الوظيفى تُحدد بأنها أنماط فعل لغوية، تستخدم للوصول إلى هدف للفعل. فهى إذن لا تتساوى أساسًا مع الأشكال الأساسية للبسط الموضوعى المعروضة فى تلك المجلد، التى توصف بأنها نماذج موضوعية معقدة. وبذلك نفرق تفريقًا أكثر حدة بين جوانب تواصلية- وظيفة وجوانب موضوعية لتحليل النص. - حول نقد " المدخل الشمولى" للوصف اللغوى الوظيفيّ، قارن موتش Motsch ١٩٨٦، ص ٢٧٧ وما بعدها.

(٢) حول بنية نصوص القص، قارن مثلاً جوليش ١٩٧٦؛ وجولش/ رابيله ١٩٧٧؛ وفان دايك ١٩٨٠ ، ١٩٨٠أ؛ وكفستهوف ١٩٨٠؛ وبرينكر ١٩٩٦ (مع تحليل للأمثلة).

ـ يُقَدَّم الموضوع من خلال واقعة فردية، تامة، تفى بشروط صغرى محددة لتجاوز المألوف"Ungewöhnlichkeit" (او.م. كفستهرف) أو معيار الجذب "Interessantheitskriterium" (ت. أ. فان دايك)، ويشارك فيه القاص على نحو ما.

ـ وتعد من المقولات الموضوعية المحورية "العقدة" (عرض واقعة غير مألوفة) و"الحل" (حل العقدة على نحو إيجابى أو سلبى)، وكذلك "التقويم" (صور التقويم، والتقدير العاطفى، ومواقف القاص من الوقائع المحكية). ويُضاف إلى ذلك أيضًا "التوجيه" (معلومات عن المكان والزمان، والأشخاص الفاعلين... الخ وإذا اقتضى الأمر "الشفرة" (المغزى الأخلاقى، دروس للمستقبل)[1].

ويختص البسط الوصفى للموضوعات بالنصوص المعلوماتية خاصةً (الخبر، والتقرير، والمادة المعجمية، والمقالة العلمية... الخ)؛ غير أننا نجده أيضًا فى نصوص إرشادية (توجيه لقيد، ووصفة طبخ، وإرشاد إلى الاستعمال... الخ) وفى نصوص معيارية (قانون وعقد واتفاق ووصية... الخ[2]. وفى نصوص استشارية(مثل التعليقات السياسة) يرتبط فى الغالب بالبسط الحجاجى للموضوعات، الذى ينجز فيه أساس المعلومة حسب مبدأ وصفى، يستند إليه الموضوع، أى الفكرة المؤسسة للاحتجاج. (قارن حول ذلك ما يرد تحت المبحث ٣-٥-٣).

(١) ترجع المقولات إلى بحث لا بوف/ ولتسكى (١٩٦٧، بالألمانية ١٩٧٣) الأساسى لتطور تحليل نص القص.

(٢) يتعلق مصطلح "معيارى" بنصوص تظهر قواعد مقيدة بوضوح للسلوك والعمل (حسب جروب GroBe ١٩٧٦، ص ٢٩). حول القيمة الموقعية لهذه السمات لتصنيف وظائف النص قارن ما سيأتى فى الفصل الرابع ٤-٤-١.

٣-٥-٢- البسط الإيضاحى للموضوعات

عند وصف البسط الإيضاحى للموضوعات يمكننا الرجوع إلى النموذج المعروف للشرح العلمى لـ ك. ج. همبل وب. أوبنهايم (باختصار: المعروف بمخطط هـ. أو.) [1].ويشرح العالم حسب حالة (تسمى "المُفَسَّرة". / أى المشروحة). وتتكون المُفَسِّرة من جزئين، ما تسمى شروط البداية أو شروط الإطار(A) من جهة، وأوجه الانتظام العامة(G) من جهة أخرى. وتبعًا لذلك يقدم الموضوع فى نص ينتهج نهجًا توضيحيًا من خلال الحالة "المُفَسَّرة". ومن الأفضل أن نصوغها فى شكل نحوى لما تسمى الجملة الخبرية (فى نصوص معينة تتحقق فى الغالب كجملة استفهام).

وتعرض هذه العلاقات عرضًا تخطيطيًا كما يأتى

	(أقول مفردة A_1, A_2, A_N
	تصف شروط البداية)
مُفَسِّرة	(منطوقات القوانين) G_1, G_2, G_N
	(قول يصف الظاهر E
مُفَسَّرة	المشروحة)

مثال ذلك[2]:

انفجرت أنابيب التدفئة فى البدروم، لأنه كان مساء اليوم صقيع، ولم تتوفر الكسوة (المكونة من ألياف) من زجاج وقطن للتدفئة لأن الصقيع يُجمِّد الماء فى أنابيب التدفئة إذا لم يتم حمايتها بكسوة عازلة ضد تأثيرات حرارة (الطقس).

---

(١) قارن حول ذلك شتيجمولر Stegmuller. ١٩٧٤، الفصل الأول (مفهوم الإيضاح وأنواعه).

(٢) استنادًا إلى لانج ١٩٧٦، ص١٨٧ - ١٨١.

التحليل:

A_1: كان مساء اليوم صقيع.

A_2: لم تتوفر الكسوة "المكونة من ألياف" من زجاج وقطن التدفئة.

G_1: يُجمِّد الصقيع الماء فى أنابيب التدفئة إذا لم يتم حمايتها بكسوة عازلة ضد تأثيرات حرارة (الطقس).

E: انفجرت أنابيب التدفئة فى البدروم

يلاحظ أن المخطط لا يتحقق فى نصوص معينة غالبًا إلا بصورة ضمنية (وغير كاملة) (وبخاصة فى نصوص يومية، بل فى بضع نصوص علمية أيضًا[1]. ولكن يوجد نص الشرح دائمًا حين يتضح التقسيم إلى مُفَسَّر Explanandum (ما ينبغى أن يُشرح) ومفَسِّر Explanans (ما يكون شرحًا، أى الشرح) (أو يمكن أن يعاد بناؤه).

/ ونريد كذلك أن ننعم النظر فى المثالين النصّيَّيْن الآتيين من المجال اليومى:

مثال:

(٢) (حول اختبار بطارية شاحنة)

(١) بداية يمكن أن تَظْهر أوجه تلف فى مسامير (أصابع) التوصيل. (٢) يعرف المرء هذه العملية بأن تتكون بودرة بين البياض والصفرة، تحيط بدعامات الرصاص، تقع بين القياطات أيضًا. (٣) ذلك يخل بانتقال الكهرباء، وتنشأ آثار تحلل فى دعامات الرصاص. (٤) ويمكن للمرء أن يجعل دعامات التوصيل والقياطات لامعةً بفرشة صلب، وفى حال الضرورة بسكين أيضًا. (٥) وإذا دهن المرء المواضع اللامعة بشحم غير حمضى، تكون لديه فترة راحة. (٦) ينبغى أن ينظف سطح البطارية من حين لآخر.

---

(١) حول الشروح اليومية قارن باير Bayer ١٩٨١، ص ٢٥-٤٣.

(٧) من خلال الغبار المترسب والرطوبة يمكن خلاف ذلك أن تنساب تيارات متسربة، وتفرغ البطارية قبل الأوان. (٨) الآن فُك أغطية الفتحات واختبر وضع الحمض. (٩) ينبغى أن يعلو السائل مقدار ١سم فوق الحافة العليا للصفائح. (١٠) وإذا لم تكن الحال كذلك يجب أن يضاف فى الحال ماء مقطر حتى ذلك المستوى. (١١) وإذا لم يحدث ذلك، تسوء حال البطارية بمضىِّ الوقت، إذ لا يشترك فى تخزين الكهرباء سوى الجزء المغطى بالسائل من الصفائح؛ ويتحجر أيضًا الجزء الجاف، وبذلك تستعبد بالنسبة لتمرير لاحق للكهرباء.

(عن: أو. فيرك مايستر، العدة فى البيت، ميونخ ١٩٥٦، ص ٤٥٢).

خُطِّط النص بوصفه إرشادًا يخبر السائق ماذا يجب أن يفعل، حتى لا تظهر أوجه خلل فى البطارية. وفى الواقع تُشرح فى ذلك علاقات محددة أيضًا. ولذا تعد البنية التوضيحية ضمنيًا أساس هذا المقطع النصى، تلك التى تتخللها أجزاء وصفية(يصف الباث فيها ماذا يجب أن يفعل القارئ، مثل الأجزاء ٤ - ٦و٨ - ١٠).

فإذا ما أردنا أن نجعل هذه البنية التوضيحية الأساسية صريحة، يجب أ، نحور شيئًا ما صياغةَ أقوال نصية مفردة.

ويتكون النص من ثلاث علاقات إيضاحية، حيث يصلح (أ)و(ب) لـ E_1 و(جـ) لـ E_2:

(أ) A_1: تظهر أوجه تلف فى مسامير (أصابع) التوصيل، إذ تتكون بودرة بين البياض والصفرة... (١/ ٢).

A_2:لا تنظف دعامات التوصيل والقماطات بانتظام (٤/ ٥).

G: A_1 يخل ذلك بانقال الكهرباء، ويمكن أن تنشأ آثار تحلل فى دعامات الرصاص، حين لا يوجد تنظيف منتظم (٣ وكذلك ٤و٥).

E_1: البطارية لا تعمل

/ (ب) A_1: على سطح ترسب الغبار والرطوبة (٦/ ٧).

A_2: لم ينظف السطح بانتظام (٦)

G: من خلال الغبار المترسب والرطوبة تنساب تيارات متسربة،

تُفْرغ البطارية قبل الأوان إذا لم يوجد تنظيف منتظم للسطح

(٧وكذلك ٦)

E_1: البطارية لا تعمل

(ج) A1: البطارية ليس فيها إلا سائل قليل (٩/ ١٠).

A_2: لم تزود بماء مقطر(١٠/ ١١).

G_1: لا يشترك فى تخزين الكهرباء إلا الجزء المغطى بالسائل

من الصفائح (١١).

G_2: يتحجر الجزء الجاف ويستبعد بالنسبة لاحق للكهرباء (١١)،

إذا لم يعنَ بأن يعلو السائل مقدار ١ سم فوق الحافة العليا للصفائح

(٩/ ١٠)

E_2: تسوء حال البطارية بمضى الوقت

مثال:

(٣) حين ترقد فى السرير عند البرق والرعد...

قارئ آبندبلات هـ . ك. ورانيبك H.K.,Reinbek:

(١) كتب باختصار شيئًا عن الحماية من الصاعقة (٢) سؤالى: ماذا حدث لى

فى السرير الفرنسي، حين وصلتُ فيشة الراديو ووقعت الصاعقة؟ (٣) هل يمكننى أن أتلقى ضربة بالزنابك الحلزونية للمرتبة؟ ـ

(٤) شبكة الكهرباء الخاصة بوسط المدينة محمية بدرجة كافية ضد الصاعقة.

(٥) فى الريف حين يريد المرء أن يستوثق تمامًا، ما تزال القاعدة القديمة سارية، وهى نزع كل الوصلات الكهربائية من البرايز.

(٦) نأمل ألا يحدث لكم شيء حين ترقد فى السرير ، وتستمع إلى الراديو ثم تقع الصاعقة.(٧) إذ لا يمكن أن يحدث اتصال بين الراديو وزنابك المرتبة إلا حين يوجد موُصِّل كهربائى.

(عن هامبورجر آبندبلات فى ٣/ ٩/ ١٩٨٢، عمود (باب): ماذا تريد أن تعرف؟)

يتكون النص من جزئين، لكل منهما باث مختلف عن الآخر. ويتعلق كل جزء بالآخر بعلاقة" السؤال ـ الجواب" ويشير الجزءان إلى مراحل مختلفة فى عملية التواصل الأساسية؛ غير أنهما وضُعا تحت عنوان (معين) مشترك (حين ترقد فى السرير عند البرق والرعد...)، ويظهران فى إطار عمود (باب) ثابت، اقتطع بوضوح من بقية النص من الناحية الطباعية، وهو (ماذا تريد أن تعرف؟)؛ وبذلك لا يتحققان بوصفهما نصوصًا قائمة بذاتها، بل هما نصان ـ جزئيان فى نص جامع.

يصوغ النص الجزئى الزول سؤال القارئ، وينقسم نص الإجابة إلى جزئين (القطعتين ٥و٤ من جهة، والقطعتين ٦و٧ من جهة أخرى). / ولم يُجَب عن سؤال القارئ إلا فى القطعتين ٦و٧). فقط خُطِّطَت هذه الفقرة على أنها نص شارح (باللغة اليومية). ويمكن أن تُوضح البنية الأساسية بمساعدة مخطط الشرح على نحو ما يأتى:

A_1: الشخص س يرقد فى السرير على مرتبة من زنابك حلزونية.

A_2: الشخص س يستمع إلى الراديو.

A_3: لايوجد بين الراديو والزنابك الحلزونية إى موصل كهربى.

A_4: الصاعقة تقع.

G: لايمكن أن يحدث اتصال بين الراديو وزنابك المرتبة إلا حين يوجد مُوَصِّل كهربائى.

E: لم يتلق الشخص س صدمة[1].

لم يوضع الجزءان ٤و٥ ـ كما قيل ـ موضع التساؤل (عن المُفَسَّر) فى علاقة مباشرة. فهما يتضمنان معلومات إضافية عن تأمين شبكة الكهرباء ضد الصاعقة فى المدينة وفى الريف. ولذلك يبدو نص الإجابة غير مترابط بعض الشىء.

ومن الناحية اللغوية تتسم نصوص تنتهج نهجًا توضيحيًا بغلبة معينة بالراوبط والظروف والحروف التى تشير إلى علاقات سببية بالمعنى الأوسع (السبب، والعلة، والشرط، والنتيجة ..الخ) (مثل: لأن وإذ، وحين، ولذلك، ونتيجة لذلك، وبسبب، وبناءً على ذلك).

البسط التوضيحى للموضوعات مميز بوجه خاص لأنواع نصية معينة، تهدف إلى توسيع المعرفة، مثل الكتاب التعليمى، والنص العلمى المبسط والنص العلمى، فهو يرتبط فى ذلك غالبًا بالبسط الوصفى للموضوعات؛ ولكنه يمكن أيضًا أن يدمج فى النهج المعقد للجدل الذى نريد أن نتاوله فى الختام.

(١) تشير الصياغة: نأمل أن فى نصنا إلى حذر محدد للباث، إذ يمكن أن يُجعل شرطًا ثالثًا لا يقدم إلا حال الضرورة، (غير أنه لا يعرف بالتأكيد هل يُوَفَّى حقيقة بهذا الشرط فى حال معينة أيضًا).

٣-٥-٣ البسط الحجاجي للموضوعات

نتوجه لعرض البسط الحجاجي للموضوعات إلى نموذج الحجاج Argumentationsmodell، الذى طوره الفيلسوف الانجليزى س . تولمين.St. Toulmin [(١)] لمجال عملية الجدل العلمي./ فقد عرض تولمين البنية العامة للحجاج بمساعدة ست مقولات علاقية محددة منطقيًا ـ ودلاليًا. يعلل الباث زعمًا أو فكرة (خلافية) ("إدعاء"؛ نتيجة 1) (*) تقدم موضوع النص من خلال حجج ("موضوعات" 2) [(٢)]. وتسوغ قاعدة نها ئية ("مُبَرِّر" 3) أن المواد (المعطيات) الواردة يمكن بوجه عام أن تكون حججاً للفكرة؛ وأن الخطوة من الموضوعات (D) إلى النتيجة (C) إذن يمكن أن تنجز. هذه القاعدة النهائية هى قول افتراضى عام، له الشكل: " إذا وجدت D فإنه سيفترض وجود C" ـ أو بشكل أوضح: "إذا وجدت المواد (المعطيات) س، ص، ى فإنه يمكن أن يفترض وجود C". ويؤكد الباث جواز القاعدة النهائية "بتدعيم 4" (backing).

---

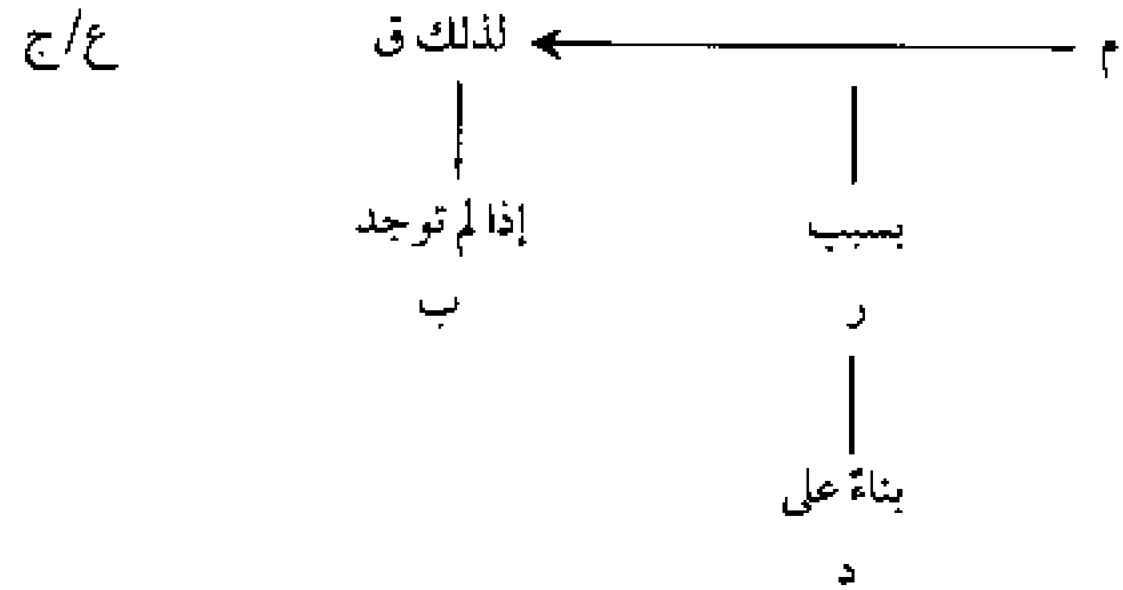
(١) بين الأقواس مصطلحات تولمين. ـ يرجع مصطلح "نتيجة" (فى اللاتينية conclusio) إلى المنطق التقليدى، وتصف هناك الجملة النهائية فى القياس المنطقى Syllogismus (أى النتيجة المنطقية من مقدمتين). ـ ولا يفهم مفهوم "معطى" بمعنى موضوعى؛ إذ يمكن أن تعد الأقوال معطيات، وهى التى يوردها الباث فى نص معين بوصفها تحديدات للمعطيات (علل، دوافع، أسباب ألخ)؛ غير أن المتلقى يمكن أن يرفض تلك المواد أو يجعلها موضع نظر. ومن أجل الوضوح نتحدث عن "حجج" أى أسباب يوردها الباث من أجل فكرته. ويلاحظ أننا نستخدم مصطلح "حجة" بمعنى أشد ضيقًا من المنطق التقليدى الذى يعنى "بالحجة" نتيجة مترتبة عن أقوال (مزاعم)، تسمى إحداها نتيجة، وتسمى الأُخَر مقدمات.

(*) المقولات الستة هى: , (6) rebuttal (1) conclusiun (2), data (3) warrant
(4), backing (5) qualifier

(٢) تشير الصياغة: نأمل أن فى نصنا إلى حذر محدد للباث، إذ يمكن أن يُجعل شرطًا ثالثًا لا يقدم إلا حال الضرورة ، (غير أنه لا يعرف بالتأكيد هل يُوَفى حقيقة بهذا الشرط فى حال معينة أيضًا).

إن الأمر يدور فى ذلك حول أقوال تعبر عن المعايير المضمونية لمجال الحجاج المَعْنى (مجال الفعل) (إشارة إلى قوانين، ومعايير، وقواعد السلوك والتنفيذ وما أشبه). ويمكن أن تقدم درجة الاحتمال (درجة الجواز) للفكرة بما يسمى المعامل الصيغى Modaloperator ("مقيد") 5 (مثل: من المحتمل، وأغلب الظن، وربما الخ)، والظروف التى تقيد سريان القاعدة النهائية، من خلال ما يسمى شرط الاستثناء ("دَفْع ببينة")6(*).

وتبدو العلاقة بين المقولات بصورة تخطيطية على النحو الآتى:



/ نريد أن نوضح المخطط بمثال تولمين مع تغير طفيف[1]:

فكرة/ نتيجة (ج):

هانز مواطن ألمانى

موضوع/ حجة (م):

ولد هانز فى ألمنيا

(١) حسب تولمين ١٩٥٨، ص ١٠٤. ـ المختصرات: C = "ادعاء (ع) أو نتيجة (ج)"؛ وD= "موضوع" (م)" وW= "مبرر"(ر)"، وB = تدعيم" "(د)"، وQ = "مقيد" (ق)، وR = "دفع بينة (ب)". ـ ويرمز السهم إلى العلاقة بين " المعلومات" والنتيجة، التى تقوم لتدعيمها (السابق ص٩٩).

قاعدة نهائية (ر):

إذا ولد شخص ما فى ألمانيا، فإنه يكون فى العادة مواطنًا ألمانيًا.

تدعيم للقاعدة النهائية (د):

بناءً على القوانين الآتية...

معامل صيغى (ق):

أغلب الظن

شرط استثنائى (ب):

مثل: كان كلا الوالدين أجنبيًا.

تشكل الفكرة والحجة (الحجج) أساس النص الحجاجى لأنه دون بيان عن المعطيات "الموضوعات" التى يجب أن يُستند إليها بوصفها شواهد مباشرة على الفكرة المطروحة لا يوجد حجاج. وعلى النقيض من ذلك غالبًا ما لا يعبر عن القاعدة النهائية والتدعيم فى نصوص للحيا ة اليومية منتهجة نهجًا جدليًا؛ غير أنهما يعدان عناصر ضمنية (معتبرة) للحجاج، ولا يجب أن يصرح بها إلا فى تحليل الحجاج.

ونريد الآن أن نعرض ممثلين بتعليقين صحفيين ما حقق مخطط تولمين للحجاج بوصفه أداة تحليل لحجاج واقع فعلاً. ويمكن أن يشار إلى أن بعض التعديلات فى ذلك تصير ضرورية.

لم يطبق تولمين نموذجه على نصوص، بل على جمل مفردة فقط، ولم يقدم قواعد ترجمة ولا تقنيات تحويل غير شكلية. ذلك أمر محتمل بالكاد أيضًا، فإلحاق قضايا مفردة أو مركبات قضوية لنص ما بمقولات مخطط الحجاج لا يمكن أن يقع بشكل آلى.

مثال:

(١) هامبورج والدعاية

ل اجبرت أ. هوفهان

(١) يثقل الأمر منذ القدم على السكان الهنزيين(*) ومؤسسات أهل هامبورج، إذا ما تعلق بما يقولونه للعالم: انظر إلى مدينتنا كم هى جذابة! (٢) فحين يتفاخر سُكان المدن الكبرى الأخرى بملء أفواههم بمزايا مدنهم، / فإن صمتهم هنا يصير معبرًا. (٣) ويوصف ذلك الخجل الذى لا تفسير له من الحديث علانية عن ناصر الجذب لمدنية هامبورج التى لا تقارن، بوجه عام بأنه تعبير أوهى من الحقيقة ـ ولعل المقصود به المجاملة. (٤) ولكن ماذا يجدى؟ فبدون التعبير عن الذات يصعب للأسف أن يُحَمّل الأجانب على تخصيص ساعتين (أو يومين) من إجازتهم (لزيارة) مدينة، يريدون أن يقضوها فى مكان آخر كليةً.

(٦) ويُجبذ لما هو أكثر من ذلك أن تكون المراكز السياحية قد بدأت الآن حملة دعاية بالغة التوفيق، تعرض فيها التوقف العارض فى الشوارع الشمالية الجنوبية فى الإجازة. (٦) وتَعْرِض هامبورج "كأنها سلعة" فى المكان المناسب، حيث يمكن أن يُوجد اليوم زوار محتملون بكل يسر: فى الأماكن الألمانية الشمالية للإجازة. (٧) تؤكد الخبرات الأولى أن الحديث عن المكان الصحيح يجدى ـ على نحو ما قامت عائلة كراوسه من كولن، فى الوقت الحالى فى مخيم فى لوبكر بوخت. ذات يوم فيما يبدو قامت (بزيارة) خاطفة لهامبورج، حيث علمت أن ميزانية الإجازة لن تُرْهَق أكثر مما ينبغى.

(٧) ويستدير آجه يورجنسن من (مدينة) آروس أوتمارشن من الطريق

(*) Hansen: تعني تاريخياً نقابة تجار القرون الوسطى، ولها معنى لغوى جديد هو: العُصْبة الهنزية Hansestadt: مدينة عضو فى العُصْبة الهنزيّة.

السريع ـ الغربى، حين "وُضِّح" له على حدود الدنهارك أن توقفًا فى هامبورج يمكن ألا يكون مكلفًا.

(٨) للشوارع والطرق السريعة، كما نعلم، مساوئ أيضًا ـ على سبيل المثال بالنسبة لهامبورج، يستطيع المرء منذ افتتاح نفق الب أن يمر بسهولة يمينًا أو يسارًا. (١٠) كم هى مهمة للغاية حملة الدعاية الدائرة: فهى تساعد مدينة المنزيين أن يستعيدوا أصدقاء قدامى وأن يظفروا بأصدقاء جدد.

(عن: هامبورجر آبندبلات فى ٢٨/ ٦/ ١٩٧٦)

من الضرورى لبناء التحليل على نحو شمولى أن تصاغ قضايا النص بصورة أكثر اقتضابًا، وأن تجعل الأقوال الضمنية صريحة.

فكرة: الترحيب بجملة الدعاية لمراكز هامبورج السياحية (٥)

حجج:

١ ـ حجة رئيسية: حملة الدعاية ضرورية (متضمنة فى ٤)

حجج ثانوية:

أ) هامبورج مدينة جذابة (١).

ب) حتى الآن لم يُقم إلا بقليل من الدعاية (١ ـ ٣).

ت) من السهل أن تطوف بهامبورج (٩).

د) تساعد مدينة المنزيين أن يستعيدوا أصدقاء قدامى وأن يظفروا بأصدقاء جدد (١٠).

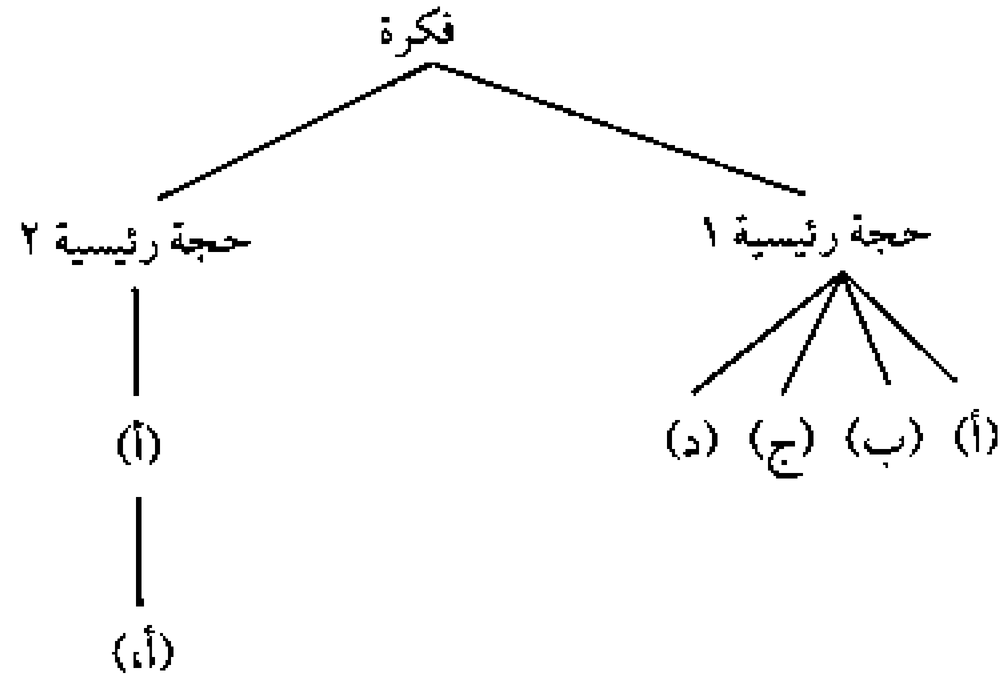
٢ ـ حجة رئيسية: حملة الدعاية موفقة (٥/ ٦)

حجج ثانوية:

أ) الحديث عن المحيط الصحيح للأشخاص (٦/ ٧)

أ،) إشارة إلى تجارب (كراوسه/ يورجنسن) الجزءان ٧/ ٨

ويمكن أن يُعرض تدرج الحجج فى مخطط على النحو الآتى:



(تعنى الخطوط من أعلى إلى أسفل "دُعِّمت بـ"، ومن أسفل إلى أعلى "تدعم" للمفرد أو "تدعم" للجمع).

لا توجد قاعدة نهائية (بمفهوم تولمين) صريحة؛ غير أنها مدرجة، ويمكن أن تصاغ على النحو الآتى: إذا كانت حملة دعاية ما ضرورية وناجحة فإنه يجب أن يرحب بها. ولم يعبر كذلك عن تدعيم.

ويمكن للمرء أن يشير إلى أن القاعدة النهائية تطابق مبدأ التقويم المعترف به فى العالم العادى. (إذا كان فعل ما ضروريًا، وناجحًا فى الوقت نفسه فإنه يُقوَّم أيضًا تقويمًا إيجابيًا). فالباث يظن أنه يمكن أن يُدْرِج ذلك المبدأ تابعًا للأساس القيمي المشترك (مع قرائه).

مثال:

(٢) لِمَ التبرم من الحكومة؟

(١) منذ عشر سنوات على (عاتق) الاشتراكيين الديمقراطيين فى بون

مسئولية الحكومة. (٢) فقد بدأت سنة ١٩٦٦ بالدخول فى التحالف الكبير.(٣) وقد تحقق ما قدره هربرت فينر بأن الديمقراطيين المسيحيين الحاكمين يخرجون من اللعبة ببطء، ولكن بشكل مؤكد، ليس من خلال المواجهة، بل من خلال تكتيك المؤازرة المرن.

(٤) وكان الحدث الثانى سنة ١٩٦٩ هو التحالف الاشتراكى - الليبرالى (الحر) مع مستشار الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى الصدارة. (٥) مَنْ تحدثَ آنذاك عن تجربة ناجحة للنظام الديمقراطى، لأنه للمرة الأولى منذ إنشاء الجمهورية الاتحادية قد سارت آلية التبادل البرلمانية، يَجِبُ اليوم، عند تذكر السنوات العشر المنصرمة، أن ينحاز إلى التحذير المتكرر لرئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى فيلى برانت بأن التبرم من الحكومة يشيع بشكل ظاهر. (٦) وفى الحقيقة لم يوجه التنبيه إلا إلى العنوان الصحيح حين تشعر الأحزاب السياسية ذاتها أنها هى المخاطبة.

(٧) إذن من أين جاء التبرم من الحكومة، فقبل نشوئه لم تعد هناك حاجة للتحذير منه، لأنه موجود فعلاً من قبل؟

/ (٨) فربما لم توضع الديمقراطية البرلمانية موضع شك مؤخرًا إلا لأن كلا الحزبين اللذين ينبغى أن يراقبا الحكومة باعتبارهما معارضين فى بون، وهما الديمقراطى المسيحى والاشتراكى المسيحى قد تعاركا عراكًا عنيفًا، وما يزالان غير قادرين على تولى مهامهما البرلمانية. (٩) ويجب على حزبى الحكومة، الديمقراطى الاشتراكى والديمقراطى الحر، أن ينتبها إلى المقاومة الحازمة للجمهور للحيلولة دون خداع الناخب بسياسة المعاشات.

(١٠) التبرم بالحكومة، الذى حذر منه ويلى برانت لا يمكن أن تسحب أرضيته إلا حين تُولى الأحزاب السياسية ذاتها الدولة، من ثم الديمقراطية البرلمانية، أهميةً أكثر مما هى موجودة حاليًا.

(عن جريد فرانكفورتر روندشاودر تس Frankfurter Rundschau فى ٢٢/ ١٢/ ١٩٧٦، ص٣)

يرجع التعليق إلى تقرير مراسل بعنوان: "برانت يحذر من تبرم مؤخر من الحكومة".

وحين نطبق مخطط تولمين نتتهى إلى التحليل الآتى لبنية الحجاج "Argumentationsstruktur"

فكرة(نتيجة)

الأحزاب هى المتسببة فى تبرم المواطنين من الحكومة (من الجزء ٦/ ٧، قارن أيضا الجزء ١٠).

تعرض الدعوى الإجابة عن السؤال المطروح فى العنوان (Schlagzeile).

حجج (معطيات)

أ) تتكون المعارضة من حزبين متعاركين، وما يزال من النادر أن يتوليا مهامهما البرلمانية (من الجزء٨).

ب) تريد أحزاب الحكومة أن تخدع الناخب بسياسة المعاشات (من الجزء ٩).

وقد أجملنا هاتان الحجتان (الجزءيتان) فى المقطع ١٠ بشكل ضمنى فى حجة "شاملة":

لا تولى الأحزاب السياسية الدولة، ومن ثم الديمقراطية البرلمانية اهتمامًا كافيًا.

قاعدة نهائية

إذا لم تُول الأحزاب الديمقراطية البرلمانية اهتمامًا كافيًا فإنها تسبب التبرم من الحكومة (من الجزء ١٠).

/ لم يصرح بالقاعدة النهائية على هذا النحو، ولكنها افترضت مسبقًا فى الجزء

١٠، فالباث يصوغ كما يقال بشكل عكسى، فى اتجاه يحيل إلى متقدم حيث يتنبأ بتطور إيجابى للمستقبل بشرط أن تغير الأحزاب مسلكها (زعم تنبؤى).

وتشير هذه الصياغة للقاعدة النهائية على مستوى الفعل إلى مطلب غير مباشر من الأحزاب (انظر حول ذلك ما يرد فى الفصل الرابع ٤-٤-٣).

لم تتحقق مقولات أخرى فى مخطط تولمين.

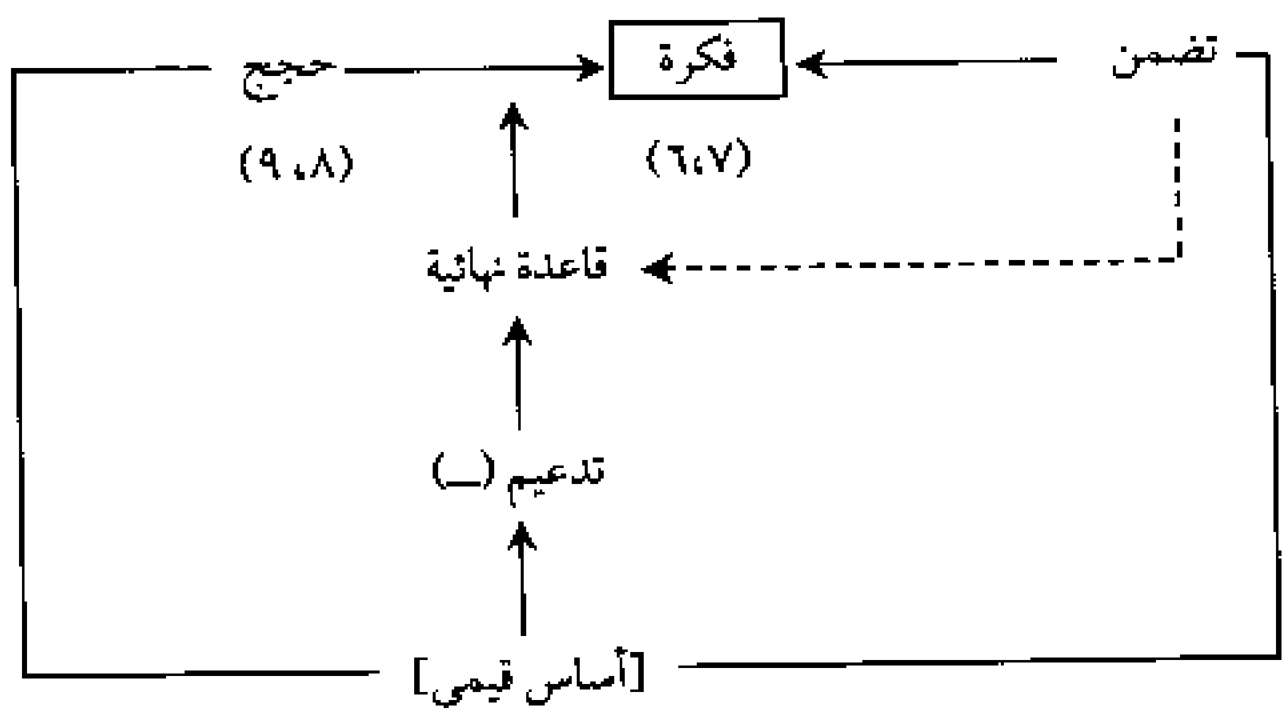
ومن اللافت للنظر فى تحليلنا للحجاج (حسب مخطط تولمين) أنه لم يراع الأجزاء الخمسة الأولى من التعليق. ففى الأجزاء من ١-٤ يقدم الباث نظرة استرجاع مقتضبة لعشر سنوات منصرمة (١٩٦٦ ـ ١٩٧٦)، اضطلع فيها الحزب الاشتراكى الديمقراطى بمسؤولية الحكومة. وشكل بسط الموضوعات فى هذه الفقرة النصية وصفى. وفى الجزء ٥ يصير دافع التعليق واضحًا؛ إذ يؤكد الباث بإشارة إلى تحذير. برانت المعروف للقارىء أو المفترض أنه معروف له من خلال التقرير (فى الصفحة الأولى من الجريدة ذاتها) ـ يؤكد تسيُّد التبرم من الحكومة.

ومن الواضح أن قضايا الأجزاء من ١ـ ٥ تنظم الفكرة فى سياق تاريخى ـ سياسى أكبر، وتُعين دافع التعليق. ولما كانت تلك الأجزاء النصية المتضمنة مميزة لتعليقات (سياسية) فإنه جب علينا أن ندخل مقولة موضوعية أخرى متجاوزين مخطط تولمين، نريد أن نطلق عليها التَضَمُّن Einbettung. ويشغل التضمن موقعًا إلى جانب الفكرة والحجج. ويُقصر فى نصنا مجال الحجاج من البداية على عمل الديمقرطية البرلمانية (على آلية ـ التبادل البرلمانية ـ الجزء ٥)، ويدعم بذلك على نحو ما الحجاج أيضًا (وإن لم يكن بمعنى منطقى صارم أيضًا). وهكذا لا تدخل عوامل أخرى مطلقًا، يمكن جعلها بصورة محتملة مسؤولة عن ظاهرة التبرم من الحكومة فى مجال الرؤية (على سبيل المثال يذكر فى

المناقشات حول موضوع "التبرم من الحكومة" فى الغالب تثاقل (ترهُّل) الجهاز الإدارى).

أخيرًا يرتكز الحجاج الكلى على فهم محدد لجوهر الديمقراطية (يتضمن فيه التقويم السلبى للتبرم من الحكومة). وبذلك يُتحدث عن الأساس القيمى Wertbasis للتعليق، الذي يظن الباث أنه يتقاسمه مع قرائه أو أدرج على أنه موجود لدى قرائه، ولم يعبر عنه فى التعليقات تعبيرًا مباشرًا إلا نادرًا ، وهو موجود فى نصنا أيضًا بصورة ضمنية فائقة.

/ وتنتج إذاً البنية الآتية المعروضة بشكل تخطيطي[1]:



(١) بين الأقواس الأجزاء المطابقة فى النص؛ وتعنى علامة الناقص أن المقولة لم تحقق صراحة ولا ضمنيًا، ووضع "الأساس القيمى" بين أقواس ذات زوايا، لأنها متضمنة فى العادة. وتقتصر هنا على المقولات الجوهرية، ويدعى أنه من الممكن ورود مقولتى "معامل صيغى"، و"شرط استثنائى".

ومن المقرر من الناحية اللغوية أنه فى التعليقات ـ خلافًا للأخبار ـ يسود مبدأ تبعية الجمل. أما أهم أنواع الربط بين الجمل الرئيسية والجمل الفرعية فى تلك فهو الربط الجملى السببى، والشرطى، والتعاقبى، والاستدراكى (قارن مثلاً الأجزاء ٥، ٦، و٧،و٨، ١٠ فى المثال الثانى). وعلى النقيض من ذلك يسود فى الأخبار الربط بالأفعال المساعدة.

وإذا تجردنا الآن من النص المحدد، وأنعمنا النظر آخر الأمر فى مخطط الحجاج المطور أعلاه مرتبطًا بمخطط تولمين، على مستوى أعم فإننا نصل إلى النتائج الآتية:

الأمر الجوهرى بالنسبة للبسط الحجاجى للموضوعات هو العلاقة بين الفكرة والحجج والقاعدة النهائية وتدعيم (القاعدة) كما عرضها تولمين فى مخططه للحجاج دون أن يطبقها فى حقيقة الأمر على نصوص.

وثمة مقولة أخرى مميزة للتعليقات (ليس للتعليقات السياسية فقط)، لم ترد فى نموذج تولمين، وهى التضمن التى لها من وجهة منطقية علاقة غير وطيدة بالفكرة والحجج؛ بيد أنه ليس لها فقط مهمة إقامة أساس للأخبار (وذلك أيضًا فى سياق معين؛ وبذلك تُقيد إمكانات الحجاج، وتظفر من خلال ذلك أيضًا بوظيفة "مدعمة" للحجاج.

وثمة مقولة أخرى هى الأساس القيمى المفترض ضمنيًا بوصفة مُجمعًا عليه، وهو الذى لم يُستنبط منه التدعيم (المحتمل) فحسب، بل يرتكز عليه الحجاج بأكمله آخر الأمر.

ويُعد البسط الحجاجى للموضوعات قبل أى شىء مميزًا لنصوص الاستشارة (الاستجابة) appellative Texte التى يتعلق الأمر فى هذه النصوص

فى الغالب بالنسبة للباث بإقناع المتلقى من خلال ذكر أسباب رؤيته؛ تقويمة لحالة ما، وحفزه إذا اقتضى الأمر إلى فعل مناسب. بيد أننا نجد البسط الحجاجى للموضوعات فى نصوص معيارية أيضًا (مثلاً فى قرارات المحكمة)[1]، وفى نصوص معلوماتية معينة (مثلاً فى المراجعات النقدية وفى المقالات العلمية).

(١) حول مُصطلح "نص معيارى" قارن ما سبق هامش ٧٤أ.

٤. تحليل وظيفة النص

٤.١ مقدمة

/ بعد أن عالجنا فى الفصل الثالث شروطًا عامة للبناء النحوى والموضوعى للنص يدور الأمر الآن حول الوظيفة التواصلية للنصوص، بإيجاز حول وظيفة النص.

ويُفهم تحت "وظيفة" بوجه عام مهمة شخص ما أو عضو ما أو موضوع ما داخل مجموع. وهكذا يُتحدث مثلاً عن وظيفة القلب، ووظيفة الغدة الدرقية، ووظيفة العمدة، ووظيفة شكل الرواية[١].

ويمكن أن يحدد مصطلح "وظيفة النص" بدايةً بشكل مؤقت للغاية، بربطه بالاستخدام اللغوى العام للفظ "وظيفة"، بأنه المعنى الذى يتحصل لنص ما فى عملية تواصل أو بأنه الغرض الذى يحققه نص ما فى إطار موقف تواصلى[٢].

الآن يمكن لنص ما بوجه عام أن يشير إلى أكثر من وظيفة تواصلية. وكذا

---

(١) قارن أيضًا غروب: Grosse ص: ٢٥.

(٢) تبنى عملية التواصل بمتواصلين اثنين على الأقل يدخلان فى احتكاك تواصلى، تُنتج وتتلقى فيه منطوقات أو نصوص وتجرى كل عملية تواصل فى موقف تواصلى يمكن حدُّه بالزمان والمكان.

لوصفات الطبخ مثلاً وظيفة معلوماتية ووظيفة استثارة، غير أن وظيفة الاستثارة هى الغالبة (إذ تفهم وصفات الطبخ على أنها إرشاد من الباث لعمل أكلات)، ويؤشر إلى وظيفة الاستثارة (وبتعبير أدق: الوظيفة الإرشادية) فى الغالب من خلال تراكيب لغوية معينة مباشرة (مثل صيغ الأمر، ومن خلال ما تسمى صيغة التأدب، والمصدر ...الخ. (قارن كذلك بالتفصيل ما سيرد فى هذا الفصل ٤ – ٤ – ٣). ونود أن نورد أخبار الإذاعة مثالاً آخر. والحق أن الغلبة هنا للوظيفة المعلوماتية للنص، وتكمن فى أن الباث يبلغ السامع بوجود/ حالة معينة[١]. غير أنه لما كانت لأشكال إرسال الأخبار درجة عالية من الإيثار فإنه لا يُنكر عليها أيضًا وظيفة متعة معينة إنكارًا تامًا[٢]، فهى ترتكز على أن الأخبار تشكل موضوعات من وقائع، "تصلح للحوار والحديث بين عدة أشخاص"[٣].

وتوضح هذه الأمثلة أنه يمكن أن يتميز نص ما بوجه عام بعدة وظائف، وأن كيفية التواصل للنص لا تُحدد فى العادة إجمالاً إلا بوظيفة واحدة. ونسمى هذه الوظيفة الغالبة للتواصل وظيفة النص Textfunktion .

ويصلح الآن أن يُدرك هذا المفهوم على نحو أكثر دقة؛ فطريقة الكلام التى ما تزال شديدة العمومية عن معنى النص والغرض منه داخل عملية للتواصل لا تكفى هنا بأية حال من الأحوال.

---

(١) فى الواقع تتحقق أخبار الإذاعة شفويا، غير أن الأمر يدور فى الأساس حول نوع نصى مشكل كتابيًا. ولذلك لا تكاد تفترق أخبار الإذاعة فى بنائها اللغوى أيضًا عن أخبار الصحف، فهى تقرأ فقط (غير متكلم) ويلاحظ أن الباحث هو المحرِّر الذى يطالع المعلومات ويختار ويصوغ لغويًا.

(٢) قارن حول ذلك أيضًا فلوك Fluck وآخرين ١٩٧٥ معرفة موافقة ص: ١٣.

(٣) قارن أ. كوتش Kutsch ي. ويستر بركى. D. Westerbarkey حول وظيفة نشر الأخبار فى Strabner ١٩٧٥ ص: ١٧.

ونعد أساسًا نظريًا ـ ومفهوميًا لإيضاح كاف لمفهوم وظيفة النص نظرية الفعل الكلامى Sprechakttheorie (لدى ج.ل. أوستن، وج.ر. سيرل، ود. فوندليش وغيرهم) التى نرغب أن نتناولها بإيجاز. وبذلك يمكن الحصول على تعريف لوظيفة النص قائم على أساس نظرية الفعل. وبعد ذلك نتوجه إلى مشكلة تحديد لوظيفة النص متعلق بالتحليل النصى، ونحاول أن نصف بعض الوظائف النصية الأساسية وصفًا أكثر دقة. ونود أن يشكل الخاتمة عرض مزود بأمثلة للعلاقة بين وظيفة النص وبنيته.

٢.٤ مفهوم الفعل الكلامى بوصفه أساسًا نظريًا

٤ـ٢ـ١ حول مفهوم الفعل اللغوى

يحاول الباث بنصوص ومنطوقات فى عملية التواصل على نحو معين أن يؤثر فى المتلقى. ولما كانت هذه الرغبة فى التأثير تمثل نشاطًا موجهًا إلى هدف، فقد حُدِّدت بشكل أدق بأنها فعل لغوى sprachliches handeln، يمكن أن يُعَرَّف خلافًا للسلوك الذى يجرى بشكل آلى/ (مثل التنفس، التثاؤب) بأنه سلوك مقصود intentionales Verhalten[1].

ويمكن أن ترجع الأفعال إما إلى الفاعلين أنفسهم وإما إلى أشخاص آخرين. ويبدو الفعل المتعلق بالذات (مثل: الإمساك بقلم) مفيدًا من ناحية ذاتية فقط. أما الفعل المتعلق بشركاء(مثل: السماح لسائق آخر بأولية المرور) فهو على العكس مما سبق فعل اجتماعى Soziales Handeln.

وفى داخل الفعل الاجتماعى يعْزى للفعل التواصلى (أى القائم على نظام

---

(١) الشروح الآتية حول مفهوم الفعل نقلاً عن علماء وآخرين ١٩٧٤ ج: ١ ص: ١٥ وكذلك عن جوليش / رايبله ١٩٧٧. ص: ٢٢ وما بعدها.

للعلامات) أهمية خاصة. ويمكن أن يُنجز الفعل التواصلى من خلال وسائل اتصال لغوية(مثلما هى الحال فى أفعال التواصل اللغوية المكتوبة الكثيرة) أو من خلال وسائل اتصال غير لغوية (حركات اليدين وحركات الوجه والعروض المصورة...الخ)، بل من خلال تضافر كلا النوعين من وسائل الاتصال (مثلما فى الاتصال "وجهًا لوجه"، والحكايات المصورة، والمجلات الهزلية وإعلانات الدعاية). وهكذا يمكن أن يُسَب سائق آخر إما بالصياح قائلاً: أنت يا غبى! (لغة)، وإما بحركة طائر(حركات اليدين)، وإما بكليهما فى الوقت نفسه. وكثير من الأفعال لا يمكن أن تُنجز إلا لغويًا، مثل: تقديم بلاغ بسبب القذف.

ومن الجانب الاتصالى ليست الأفعال اللغوية، أى الأفعال التى تقوم على نظام لغوى للعلامات إلا شكلاً واحدًا، وإن كان شكلاً مهمًا للفعل التواصلى وبخاصة داخل مجتمعنا.

إذن تعد نظرية الفعل الكلامى السابق ذكرها أساسية[1] لوصف الفعل اللغوى Sprachliche Handlung (أيضًا Sprechhandlung أو Sprechakt).

ولا نستطيع هنا أن نتناول إلا نقاطًا، لها أهمية خاصة للتحليل اللغوى للنص. أما المعالجة الأكثر دقة لنظرية الفعل الكلامى فيجب أن ترد فى إطار البراجماتية اللغوية[2].

---

(١) أوستين ١٩٦٢ (بالألمانية ١٩٧٢)؛ وسيرل ١٩٦٩(بالألمانية ١٩٧١)؛ وفوندرليش ١٩٧٢و ١٩٧٦، وموتش ١٩٧٨، ص ٢٦ وما بعدها، ومدخل مقتضب إلى نظرية الفعل الكلامى لدى راجه ١٩٧٨، ص ٤٥ وما بعدها، قارن أيضًا هنده لانج ١٩٨٣، وهراس ١٩٨٣، وليفنسون ١٩٨٣، وبخاصة الباب الخامس.

(٢) قارن مدخلاً إلى البراجماتية اللغوية لدى شلين ـ لانجه ١٩٧٩، وتوميعًا لدى لفينسون ١٩٨٣.

وفى سياقنا يعد التحديد بادىء الأمر مهمًا؛ وهو أن الأفعال اللغويّة ليست قصدية فحسب، بل عرفية أيضًا./ ويعني هذا: أن الأفعال اللغوية تُنجز داخل الجماعة اللغوية وفق قواعد قد تعلمها كل شريك لغوى فى عملية تكيفه الاجتماعى تعلمًا تامًا بدرجة أكثر أو أقل. يمتلك شركاء الاتصال إذن معرفة مشتركة عن أى الشروط ووفق أى قواعد يمكن أن تُجرى أفعال لغوية معينة فى مواقف التواصل. ويمكن للمتلقي أن يهتدى بناءً على تلك القواعد والشروط السارية عرفيًا مع منطوق أو نص ما إلى طريقة الفهم التى يطمح إليها الباث، أى يعرف ماذا ينبغى أن يعد المنطوق (أيعد خبرًا أم سؤالاً أم أمرًا ... الخ). التركيز يقع هنا على "ينبغى أن يعد" ، إذ لا يُربط حتمًا أيضًا بتعيين هوية منطوق ما بوصفه فعلاً لغويًا محددًا (مثل المنطوق: أعدك أن أتزوجك فى غضون أسبوعين. بوصفه فعلاً كلاميًا للوعد) أن المخاطب قد عرف "القصد الحقيقى " للمتكلم. يمكن أن يكون المتكلم غير مخلص، ولذا يفعل كما لو وعد بشىء، نصح بشىء، أوصى بشىء، زعم شيئًا، ويرتبط بذلك فى الحقيقة قصود أخرى (مثلما هى الحال عند الوعد المعطى دون إخلاص من نصاب فى الزواج، إذ يتعلق الأمر فى ذلك بالنسبة له بالمال المدخر لصديقته).

وبذلك يجب أن نفرق بين قصد الفعل لدى الباث المقيد بالفعل الكلامى، والمستعمل لذلك بصورة عرفية، والمفهوم على هذا النحو، وبين "القصد الحقيقي"[(١)]، إذا زعم شركاء الاتصال فى العادة الإخلاص بصورة متبادلة أيضًا (أى تطابق المقصد المعبر عنه عرفيًا فى الفعل الكلامى، والقصد الحقيقي "الصحيح") ـ على الأقل طالما لا يوجد دافع لا يفْتَرض لدى الشريك عدم الإخلاص. ويوجد مثل ذلك الدافع على سبيل المثال فى حال المحتال فى الزواج إذا صارت سوابق مماثلة معروفة للشريك.

---

(١) راجه Ramge، ١٩٧٨، ص ٤٨.

وهكذا فَعُرفية Konventionaliät أفعال لغوية هى من جهة شرط لكى يستطيع المتكلم أن يفهم السامع بمنطوق محدد، ماذا يريد منه، غير أنها من جهة أخرى تتيح أيضًا الخداع والكذب والحيلة[1].

ويُقدم المعنى التواصلى المستعمل عرفيًا للفعل اللغوى من خلال ما تسمى القاعدة التأسيسية konstitutive Regel و"تولد" القواعد التأسيسية فى رأى سيرل أشكالاً جديدة للسلوك (مثل قواعد/ لعبة كرة القدم أو لعبة الشطرنج)ـ خلافًا للقواعد القياسية regulative Regeln "القواعد القائمة من قبل أو أشكال السلوك الموجود مستقلة عنها" (مثل قواعد السلوك) [2]. وللقواعد التأسيسة شكل عام: "س يعد مثل ص فى سياق ج". وهذا يعنى: أن المنطوق أو النص س يعد فى سياق محدد للموقف أو الفعل ج مثل محاولة المتكلم/ الكاتب أن ينجز الفعل (اللغوى) ص تجاه السامع/ القارىء[3]. ويمكن أن تصاغ تلك القواعد التأسيسية فى رأى ج. ر. سيرل على النحو الآتى[4]:

ـ بالنسبة للفعل اللغوى للطلب

يعد المنطوق محاولة من المتكلم لحمل المخاطبين على أداء فعل معين.

مثل: "أطلب منك أن تأتى غدًا.

ـ بالنسبة للفعل اللغوى للتصح.

يعد المنطوق تأكيدًا من المتكلم حيال المخاطب بأن فعلاً (مستقبليًا) محددًا سيكون فى صالح المخاطب تمامًا.

---

(١) لا يلتزم بالقواعد بالمعايير التى يستند إليها الفعل الكلامى إلا فى الظاهر.

(٢).سيرل ١٩٦٩، بالألمانية ص٢٤

(٣)قارن سيرل ١٩٦٩، الترجمة الألمانية ص ٥٦.

(٤) قارن سيرل ١٩٦٩، الترجمة الألمانية ص ١٠٠ وما بعدها.

مثال: أنصحك بأن تذهب إلى الطبيب.

ـ بالنسبة للفعل اللغوى للوعد

يعد المنطوق بالنسبة للمتواصلين قبول المتكلم بالالتزام حيال المخاطب بتنفيذ مضمون ما وعد به (فعل معين).

مثال: أعدك بأن آتى غدًا

ـ بالنسبة للأفعال اللغوية للزعم والتقرير والتوكيد ... الخ يعد المنطوق تأكيدًا من المتكلم تجاه المخاطب بأن القول المَعْنى يمثل حالاً حقيقية.

مثال: أزعم أن المنتج س جيد بصفة خاصة.

ـ بالنسبة للفعل اللغوى للاستفهام

يعد المنطوق محاولة من المتكلم لاستخلاص معلومة معينة من المخاطب.

/ مثال: كيف أصل إلى المحطة بأقصى سرعة؟ (بشكل أكثر صراحة: أسألك: كيف أ(صل)...) وتعد ما تسمى الجملة التامة ذات فعل "أدائى"، أى مشير للفعل الكلامى فى حال الشخص الأول (المتكلم)، صورة صريحة لفعل كلامى؛ فالتغيير (بذلك hiermit) يمكن أن يستكمل، مثل[1]:

أعدك (بذلك)، بأن آتى غدًا. أنصحك (بذلك)، بأن تذهب إلى الطبيب. ويتضح فى الصورة الصريحة أن كل فعل لغوى ـ كما عُرِض من قبل (انظر ماسبق المبحث ٣ ـ ٢) يتكون من مكونين؛ من الجزء الإنجازى الذى يَسِم نمط الفعل الكلامى فى (مثل: "الوعد، والنُّصح")، والجزء القضوى الذى يشتمل على مضمون الفعل (مثل: مضمون الوعد، ومضمون النُّصح ... الخ).

(١) قارن فوند رليش ١٩٧٢ أ، ص ١٥ وما بعدها.

وما يزال لا ستكمال ذلك ما يسمى "الفعل النطقى AuBerungsakt الذى يختص بالجانب التعبيرى للمنطوق (نطق الأصوات، والكلمات، والجمل عند إنجاز فعل لغوى). مفهوم الفعل النطقى يضم جوانب من اللغة، تضاهى أساسًا مجال موضوع علم اللغة التقليدى، بل علم اللغة البنيوى أيضًا (قارن الفروع اللغوية "الكلاسيكية" مثل: علم وظائف الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم المعاجم "المفردات")؛ غير أن الوصف فيها غير مؤسس على نظرية الفعل. وعلى النقيض من المفهوم المقيد للغة فى علم اللغة البنيوى والنحو التحويلى التوليدى (انظر ما سبق الفصل الثانى) تعنى "اللغة" فى تصور نظرية الفعل الكلامى النظام اللغوى الكلى للفعل فى مجتمع أو جماعة، متضمن فيها دائمًا النظام القاعدى النحوى.

وهكذا ففى رأى سيرل يتكون الفعل الكلامى (مثل: تقديم زعم، وتوجيه أمر، وطرح سؤال، وإعطاء وعد، والتعبير عن أمنية، وإسداء نصيحة، والإعراب والفعل القضوى، والفعل النطقى، التى ينفذها المتكلم فى تواصل عادى - فى الحقيقة - معًا وفى الوقت نفسه[1].

وما يزال يُبرزَ بوجه خاص من بين هذه المكونات للفعل الكلامى "الفعل التأثيرىder perlokutionäre "؛ فهو يشير إلى التأثيرات التى يمكن أن تكون للفعل الإنجازى فى أفعال المتلقى، وأفكاره، ونظرته... الخ[2]. / ولذا يمكن مثلاً أن يثير إنجاز فعل تقرير (مثل: أُقْتُحم (بيت) عائلة مولر) قلق شخص ما أو يسبب فعل طلب (مثل: نَظِّف لى الحذاء!) مشاعر البُغض.

---

(١) قارن سيرل ١٩٦٩، الترجمة الألمانية ص ٤٠.

(٢) قارن سيرل ١٩٦٩، الترجمة الألمانية ص ٤٢.

وفى رأى أوستن لم تَصِر الأفعال التأثيرية خلافًا للأفعال الإنجازية عرفية.[(١)] ويعنى هذا أن: التأثيرات "عدم التأكد أو البغض" التى يمكن أن تُحدثها المنطوقات السابق إيرادها لدى شخص محدد للغاية فى إطار شروط موقفية واجتماعية محددة للغاية، ليست موجودة مسبقاً فى نظامنا اللغوى للفعل، على الأقل ليس على نحو العلاقة بين الأفعال النطقية المعينة والأفعال الإنجازية "التقرير، أو الأمر"[(٢)].

٤-٢-٢ مؤشرات الإنجاز

لا تَسِم إذن المصطلحات "أمر"، و"نُصح"، و"وعد"، و"زعم" ... الخ أفعالاً لغوية واقعة بشكل ملموس، بل هى أنماط من الأفعال الكلامية. ومن ثم فإن الفعل اللغوى المنفذ بشكل ملموس، أى الفعل الذى ينجزه شخص معين فى موقف محدد تجاه شخص آخر معين، يُفهم ويوصف على أنه تحقيق لنمط معين من الفعل الكلامى (أى "النمط إنجازى" فى اصطلاحات أوستن وسيرل). ولذا يمكن أن يعبر منطوقات مختلفة (مثل: أعدك بأن آتى غدًا؛ اطمئن إلى أنى آتى غدًا؛ سآتى غدًا بالتأكيد؛ إلى الغد إذن ... الخ) بوجه عام عن النمط ذاته للفعل (هنا: نمط الوعد). توجد إذن سلسلة كاملة من الوسائل اللغويه أو النحوية المستعملة عرفيًا، التى ـ وإن لم تكن واضحة دائمًا ـ تستخدم فى الإشارة إلى النمط المحدد لفعل لغوى[(٣)]. (*)

---

(١) قارن أوستن ١٩٦٢، الترجمة الألمانية ص ١١٦.

(٢) قارن أيضًا هنده لانج ١٩٨٣، ص ١٣.

(٣) قارن سيرل ١٩٦٩، الترجمة الألمانية ص ٤٩؛ فوندرليش ١٩٧٢ أ، ص ١٥ وما بعدها؛ وبخاصة سوكه لاند Sokeland ١٩٨٠، الباب الرابع.

(*) لكل أداة من هذه الأدوات استعمالات مختلفة، ومن ثم لها دلالات عدة تختلف باختلاف السياقات التى ترد فيها، ولذلك أرى أن المعنى المحدد بين قوسين غير دقيق، ولكنه تقريبى قائم على اختيار ذاتى.

يدور الأمر فى ذلك قبل أى شىء حول:

ـ ما تسمى الصيغة الأدائية صراحةً، التى عالجناها من قبل.

ـ نمط الجملة (مثل الجملة الاستفهامية، والجملة الطلبية، والجملة الخبرية فى النحو التقليدى) ونموذج الجملة (خطة بناء الجملة التى تتضمن / المعلومات النحوية الأساسية/ مثل: الصيغة والزمن، والعدد والشخص ... الخ). ولذا تشير مثلاً بنية جملة ما، تحتوى على ضمير المتكلم فاعلاً ومحمول فى المستقبل (سوف أزورك قريبًا) إلى إعلام. أو بنية ذات ضمير المخاطب فاعلاً، ومحمول فعل صيغى فى صيغة الاحتمال الثانية sollen: konjunktiv II

Du solltest zum Arzt gehen.

("ينبغى" عليك أن تذهب إلى الطبيب) إلى توصية.

ـ ما تسمى أدوات التلوين النغمى Abtönungspartikel (مثل: aber (لكن)، وdoch(مجرد) وnur (فقط)، وja (حقًا) وmal (مرة)[*]، ومفردات صيغية modalwörter (مثل: bestimmt (بالتأكيد)، وhoffentlich (من المأمول)، möglicherweise (من الممكن)، وzweifellos (بلا شك))[1].

ـ المضمون القضوى، الذى لا يمكن أن يؤشر إلى دور إنجازى محدد مستقلاً عن السياق. ولذا يشير المنطوق: سوف نعود فى الغد مرة أخرى. انطلاقًا من نموذج الجملة إلى إعلام. أما هل هو بناءً على ذلك يمثل تهديدًا أو وعدًا فينتج عن المحتوى القضوى مرتبطًا بالسياق (على سبيل المثال عن علاقة الأدوار بين المتكلم والمخاطب، وكذلك عن معنى القضية بالنظر إلى هذه العلاقة).

---

(١) للتفريق بين الأدوات والمفردات الصيغية، قارن هلبش/ بوشا Helbig / Buscha ، ص ٤٧٥ وما بعدها، وص ٥٠٠ وما بعدها.

ولعله يمكن الإشارة كذلك قبل أى شىء بالنسبة للغة المنطوقة إلى السمات التطريزية (الفومقطعية) (وهى التنغيم والنبر وإذا اقتضى الأمر إيقاع الكلام... الخ(*).

وتسمى هذه الوسائل اللغوية المرشرة إلى الفعل وغيرها "مؤشرات نمط الفعل الكلامى" أو مؤشرات الإنجاز". وتقوم بين المؤشرات اللغوية فى الغالب علاقات غلبة محكمة[1]. ولذا تكون على سبيل المثال أدوات معينة أكثر حسمًا من النمط المتحقق للجملة بالنسبة للوظيفة التواصلية لمنطوق ما (المسماة الدور الإنجازى). ويمكن أن تُوضح هذه العلاقة بالأمثلة الآتية:

(١) أغلق النافذة!

(٢) ألا تذهب إلى الطبب!

(٣) هل ينبغى أن نأخذ السيارة؟

(٤) الا تستطيع أن تغلق النافذة؟

فى المثال الأول (١) يشار إلى نمط الفعل الكلامى "أمر" بصيغة الأمر (ما تسمى جملة الطلب)، وفى المثال الثانى (٢) تخفف الأداتان/ mal و doch (ألا) دلالة الفعل فى صيغة الأمر geh (اذهب) (من الأمر إلى الرجاء)، وفى المثال الثالث (٣) يؤشر موضع الصدارة للفعل المحدود sollen؛ ما يسمى موقع جملة الاستفهام، إلى فعل الاستفهام{هذا ممكن فى الألمانية وغيرها، أما فى العربية فلابد من وضع علامة استفهام "هنا: هل"}. ويبين المثال الرابع (٤) أن الأداتين

(*) يرجع مصطلح Plosodic إلى عالم اللغة الإنجليزى: Jrfirtih (ت: ١٩٦٠) فقد وضع منهجًا فى التحليل الفونولوجى متعدِّد الأنظمة. وتُرجم مصطلح Prosodic Feacupesi إلى ملامح تطريزية ومعالم تطريزية وأنماط التطريز الصوتي وسمات فوقطعية وظواهر تطريزية وسمات نظمية وملامح نظمية.. إلخ. ولكنى أوثر ترجمة أستاذنا تمام حسان لهذا المصطلح المثبتة فى المتْن فقد كان أول من أفاض في استعماله وذلك فى فصل التحليل الفونولوجى من كتابه الرائد: منهج البحث فى اللغة ١٩٨٠ ـ هو ٧٦ وما بعدها.

(١) قارن حول ذلك بالتفصيل سوكه لاند ١٩٨٠، ص ٧٦ وما بعدها.

nicht و denn تكسبان المنطوقين بوضوح خاصية الطلب؛ فهما يغلبان على نمط الجملة (المسمى جملة الاستفهام).

وحسب بحث سوكه لاند تتبين فيها يتعلق بعلاقات الغلبة Dominanzverhältnisse الصورة العامة الآتية: الأدوات، والسمات التطريزية والمحتوى القضوى مؤشرات لغوية أقوى من الصيغة الأدائية بشكل واضح، ونمط الجملة أو نموذج الجملة؛ فالأوليات يظهرن فى حال مطابقة المؤشرات الدور الإنجازى الحقيقى لمنطوق ما[1].

إذن كل فعل لغوى مُتَضمنٌ فى سياق الفعل أو سياق الموقف؛ ولذلك علينا أن نراعى أيضًا مؤشرات السياق Kontextindikatoren (مثل: علاقة الأدوار المعينة، والإطار المؤسسى، والمعرفة الخلفية...الخ). بل فى حالات كثيرة لا يُحسم أى إنجاز محدد قد تم بوجه عام إلا بناءً على معلومات سياقية. فحين يقول مدرس لطالب، ما يزال لم يُسلم بعد بحثه للسيمينار (الحلقة الدراسية): انقطعت أخبارك عنا مُنذ مدة. فإنه لا يصير واضحًا إلا بناءً على السياق أن المنطوق يشير إلى تقرير بدرجة أقل من إشارته بالأحرى إلى تنبيه. ويمكن أن يُقال بوجه عام إن مؤشرات السياق آخر الأمر تغلب على المؤشرات اللغوية.

لقد عالجنا فى هذا المبحث والمبحث المنصرم بعض المفاهيم الأساسية فى نظرية الفعل الكلامى، غير أنها تتعلق ببناء أفعال لغوية بسيطة (أساسية)، اقتصر مؤسسو نظرية الفعل الكلامى فى الحقيقة على وصفها. ومن الناحية النحوية لا تتجاوز أفعال كلامية بسيطة فى العادة محيط ما تسمى الجملة التامة. الآن يُطرح السؤال: بأية صيغة يمكن أن تطبق المعارف المتحصلة من أفعال

(١) قارن سوكه لاند ١٩٨٠، ص ٧٥ وما بعدها.

لغوية بسيطة على نصوص، تشتمل وفق تعريفنا عادةً على أكثر من جملة، أى أنها قد بنيت بشكل أكثر تعقيدًا.

هذه الإشكالية تُعالج فى البحث اللغوى النصى الحالى بطرق متباينة.

ويُذكر هنا بوجه خاص التصور الخاص بوظيفة النص وتحليل بنية الإنجاز الذى نرغب فى أن نتناوله أولاً.

٤-٢-٣ حول تحليل أبنية الإنجاز

يُعَرِّف تحليل بنية الإنجاز Illokutionsstrukturanalyse (لدى ف. موتش، ود. فيهجر، وا. روزنجرن وغيرهم) [(١)] النص بأنه تتابع من أفعال لغوية أساسية، بُنِي بصورة متدرجة (تسمى "أفعالاً إنجازية")[(٢)]. ويعد الفعل الإنجازى وحدة أساسية لتكوين النص. وتعنى عبارة: "بُنِى بصورة متدرجة" فى هذا السياق أنه تقوم بين الأفعال الإنجازية علاقات دُنيا وعليا متنوعة، حيث يُهيمن فعل إنجازى محدد فى العادة على الأفعال الأخرى[(٣)]. هذا الفعل يُعَيِّن الهدف الكلى للنص.

---

(١) قارن مثلاً موتش/ فيهجر ١٩٨١؛ وبرانت وآخرين ١٩٨٣، وروزنجرن ١٩٨٣، وموتش ١٩٨٦، وموتش ١٩٨٧؛ وروزنجرن ١٩٨٧، وموتش/ فيهجر ١٩٩١؛ هاينه مان/ فيهجر ١٩٩١، ص ٥٤ وما بعدها.

(٢) يفهم موتش (١٩٨٧، ص ٤٥) تحت "فعل إنجازى فى إبناة رباعيًا له الخواص الآتية: "IH = (a, int kond, kons)"، حيث a =Äusserung (منطوق)؛ و int = قصد المتكلم، يتوصل مع a إلى هدف معين؛ kond = كم من الشروط التى يجب أن تكون مستوفاة فى الموقف النطقى، وبذلك يصير من الممكن الوصول إلى الهدف؛ kons = كم من النتائج التى يمكن أن تكون مرتبطة بإتمام الفعل الإنجازى IH. ـ قارن أيضًا موتش/ باش ١٩٨٧

(٣) من الممكن بداهة أيضًا الربط العطفى بين أفعال إنجازية، حيث تتجاور فيه أفعال نص ما بصورة متكافئة (قارن برانت وآخرين؛ وموتش ١٩٨٧، ٥٨). غير أن الاهتمام المحورى ينصب على الربط التبعى، إذ يعد أساسيًا لتدرج إنجاز النصوص.

وتستخدم الأفعال الإنجازية الأخرى فى دعم هذا الفعل الإنجازى المهيمن، أى فى تأكيد نجاحه[1]، وتسمى أوجه إنجاز"مساعدة". فالمتكلم يجب ... أن يبنى فعلَه الكلى على نحو تُتَجنب فيه أشكال سوء الفهم والرفض وردود الفعل غير المرغوب فيها من جانب السامع تبعًا لإمكانية ... توجد الإمكانية من خلال دعمه فعلاً إنجازيًا مهيمنًا بفعل إنجازى مساعد ... ويحدث ذلك على أساس معارف نظام أنماط أفعال إنجازية..."[2].

نريد أن نوضح هذا النهج بالمثالين النصيين (البسيطين) الآتيين[3]:

١ـ هناك توجد شنطتى. هل تستطيع أن تراها؟ فلتحضرها إلى!

٢ـ أُصبت ببرد شديد. اذهب من فضلك إلى الطبيب. فله عيادة قريبة جدًا.

حسب تصور بنية الإنجاز ينشأ التحليل الآتى (بشكل مبسط):

فى المثال (١) تتابع الأفعال الكلامية للتقرير ثم الاستفهام ثم الطلب، حيث يتبع التقريرُ والاستفهامُ الطلبَ؛ فهى تمهد كما يقال للطلب الذى يكسب تتابع الفعل الكلامى أولاً وظيفته التواصلية، التى يصور فيها القصد الممتد للفعل لدى الباث.

---

(١)شروط التوفيق العامة للأفعال الإنجازية هى على سبيل المثال شرط الفهم، وشرط المقبولية، وشرط إمكانية التنفيذ (قارن موتش ١٩٧٨، ص ٥٨).

(٢) يفترض أن تدرجات الهدف تعد أساس أبنية إنجاز النصوص (قارن مثلا برانت وآخرين ١٩٨٣، ص ١١٢ ومابعدها). ويشير موتش (١٩٨٧، ص ٥٨) فى هذا السياق إلى وصف أفعال معقدة فى نظريات نفسية للفعل، " تعد خطط الفعل أبنية، تنظم فيها أفعال جزئية بحيث يمكن أن يتوصل إلى الهدف الكلى عبر أهداف جزئية".

(٣) لم يقدم إلى الآن فى إطار هذا النهج إلا بعض تحليلات عددة حول نصوص مركبة؛ إذ توجد مثلاً تحليلات لنصوص مفردة من مجال نصوص التقرير (موتش ١٩٨٧)، ونصوص الأوامر "التعليمات" (فيهفجر / شيس ١٩٨٧) ونصوص مصاحبة للمنتج (هنزل ١٩٨٩) والخطاب التجارى (برانت وآخرون ١٩٨٣).

وفى المثال (٢) يوجد تتابع الفعل الكلامى "تقرير ـ رجاء تقرير". ونمط الفعل الكلامى المهيمن هنا هو الرجاء" فقد عُلِّل بالتقرير الأول وخُصِّص بالتقرير الثانى، أى حُدِّد بالنظر إلى إمكانية استجابة المخاطب له تحديدًا أكثر دقة.

وهكذا ينصب تحليل أبنية الإنجاز فى تجزيء الأفعال الإنجازية، والكشف عن العلاقات بين هذه الأفعال، على سبيل المثال عن أنواع محددة من علاقات التدعيم[1]. ثم يفضى ذلك إلى تدرج للإنجاز يمكن تقديمه فى صورة تخطيطية أيضًا، تتجلى فيه بنية الفعل فى النص.

إن تصور بنية الإنجاز، الذى يمكن أن يعرض فى إطار هذا المدخل فى مبادئه فحسب، يطرح سلسلة من الأسئلة. نرغب هنا أن نتناول بإيجاز ثلاثة مجالات للمشكلة، لها أهمية خاصة بالنسبة للتصور الخاص بتحليل النص الممثل فى هذا الجزء.

يدور الأمر فى ذلك:

ـ حول العلاقة بين بنية الإنجاز والبنية النحوية للنص.

ينطلق تحليل بنية الإنجاز من شرط أن لأنماط أفعال إنجازية "مطابقةً مباشرة فى النحو" / أى "أنه توجد مقولات نحوية، لها علاقة مباشرة بإنماط أفعال إنجازية"، أى ما تسمى صيغ/ أشكال الجملة (الجملة الخبرية، والجملة الاستفهامية، وجملة الأمر)[2]. وبغض النظر عن أنه قد اقترحت هنا علاقة واحد إلى واحد بين بنية الجملة والدور الإنجازى، وهذه (أى العلاقة) غير قائمة

(١) قارن موتش ١٩٨٧، ص ٦٠.

(٢) موتش ١٩٨٧، ص ٤٦ وما بعدها؛ ـ ما تسمى أشكال الجملة تتميز بمواقف أو أوضاع موقفية (مواقف يتخذها المتكلم من المحتوى القضوى لمنطوق جملة ما). ولذا فإنه يرتبط مثلاً بالصيغة الإخبارية موقف المتكلم بأن يُقتنع بوجود حال / أمر ما ... (السياق ص ٤٧).

أساسًا[1] فإنه يلاحظ بشكل نقدى أنه لا يمكن أن يلحق دور إنجازى بجمل أساسًا إلا حال نظرة منعزلة. فإذا كانت مدمجة فى الكل "النص"، فإنها لا تمتلك فى الغالب أية خاصية مباشرة للفعل؛ إنها تقوم الأرجح بوظائف محددة داخل النص، ولا سيما بالنظر إلى البناء الموضوعى للنص (وظيفة التعليل، ووظيفة التخصيص ... الخ). فخاصية الفعل تُعزى للنص ككل، وتسمى بوظيفة النص (انظر كذلك ما يأتى، المبحث ٤ ـ ٣).

ـ حول العلاقة بين بنية الإنجاز والبنية الموضوعية

يحاول تحليل بنية الإنجاز أن يعرض بنية النص بوصفها بنية فى صورة تدرجات لأنماط الفعل الكلامى. ومع ذلك فثمة أمور كثيرة بناء على استفاضتنا فى المبحث ٣ ـ ٥ تدعم وصف بنية النص أساسًا على أنها بنية موضوعية استنادًا إلى خلفيّة صور أساسية محددة لبسط الموضوعات. وفى الواقع ما تزال إيضاحات أخرى ضرورية هنا.

ـ حول العلاقة بين بنية الإنجاز أساسًا للرأى القائل بأن الفعل الإنجازى المهيمن يشير إلى الهدف العام للنص، أى إلى وظيفة الكلية التواصلية. غير أنه لا يجوز أن يُدرج فى تلك العلاقة كيف يمكن أن توضح بسهولة فى نصوص للدعاية[2]. بل تعد معايير متباينة ذات طبيعة خاصة بداخل النص، وخارج النص أيضًا (سياقة) أساسية للوظيفة الكلية المهيمنة لنص ما / (قارن حول

---

(١) قارن أيضًا سوكه لاند ١٩٨٠، ص ١٢، الذى انتقد ـ على أساس مشكلة لا مباشرة (تضمن) الأفعال الكلامية ـ بحوثًا حول نظرية الفعل الكلامى بأنها "انطلقت أحيانًا من تكفل بين الجملة والدور الإنجازى").

(٢) كما فى المثال (٧) فى المبحث ٤ ـ ٤ تقريبًا. ـ قارن حول ذلك أيضًا برينكر١٩٨٢، ص ١٤١ وما بعدها .

ذلك بالتفصيل ما سيرد فى المبحث ٤ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٢). وبذلك نصل إلى النقطة الخاصة بوظيفة النص، إذ إن مفهوم وظيفة النص مهم لها، ذلك الذى يجب فى الحقيقة أن يقام على أساس نظرية الفعل الكلامى، حتى تحق معالجة النص على أنه فعل لغوى معقد. ونرغب فى المباحث اللاحقة أن نشرح ذلك التصور بصورة مجملة.

٤.٣ مفهوم وظيفة النص

٤ ـ ٣ ـ ١ وظيفة النص ـ القصد الحقيقي ـ تأثير النص

ربما قدم إ. أ جروسه E.U.Grosse حتى الآن النهج الأشد تميزًا لوصف وظائف النص[(١)]. وفى إثر افكاره نصل إلى التعريف الآتى: يصف مصطلح "وظيفة النص" قصدَ التواصل لدى الباث المُعَبَّر عنه بوسائل محددة، وسارية عرفيًا، أى مقررة بشكل ملزم فى جماعة التواصل. وهكذا فالأمر يدور حول قصد الباث الذى ينبغى أن يعرفه المتلقى، وكما يقال حول توجيه (إرشاد) من الباث إلى المتلقى، على أى نحو ينبغى أن يفهم ذلك الأخير النص إجمالاً، مثلاً بوصفه نصًا إبلاغيًا أو بوصفه نصًا استشاريًا[(٢)].

ويطابق هذا المفهوم لوظيفة النص إلى حد بعيد المفهوم الخاص بنظرية الفعل الكلامى للفعل الإنجازى، إذ تربط فيه الجانب المقصدى بالجانب العرفى لأفعال لغوية بعضها ببعض على نحو مماثل. وكما يقرر الفعل الإنجازى خاصية الفعل

(١) جروسه ١٩٧٦؛ قارن حول هذا النهج بالتفصيل برينكر ١٩٨٣.

(٢) يعرف جروسه "وظيفة النص" بالمقصد المُشَفَّر فى نص ما، والبادى فى النص كأنه أداة تواصل، وهو ـ وذلك مهم للغاية ـ على أى نحو ينبغى أن يفهمه المستقبل (١٩٧٦، ص ٦٨)؛ وربما تعد وظيفة النص "توجيهًا للمستقبل حول صيغة الفهم التى أرادها المرسل للنص المعين" (ص ٢٦).

لمنطوق ما فإن وظيفة النص تحدد كيفية التواصل فى النص، أى نوع الاحتكاك التواصلى الذى عبر عنه الباث تجاه المتلقى بالنص.

وبذلك يجب أيضًا فى ضوء الفعل الإنجازى (مع أفعال كلامية بسيطة) أن يُفَرق بين وظيفة النص، و"القصد الحقيقى" للباث. وفى الواقع يمكن أن يماثل القصد الحقيقي، "المقصد المضمر" ـ كما يسميه إ. أو. جروسه[1] ـ وظيفة النص، غير أنه لا يجب أن / يتطابق معها. ولذا فإن الوظيفة الإبلاغية مثلاً مميزة للخبر الصحفى، وإن توخى الباث خفية قصدًا إقناعيًا أيضًا persuasive Absicht. أما الفيصل الوحيد فى تحديد وظيفة النص فهو ما يريد الباث إفهامه بأن يستند إلى قواعد (أعراف) معينة ذات طبيعة لغوية وتواصلية[2]. ويعنى هذا فى حال الخبر الصحفى أن الأمر يتعلق "بنقل وصفى للمعلومة". فالسؤال: هل يهتدى المتلقى أيضًا إلى "المقصد المضمر" للباث (الذى يمكن أن يكون فى رأى جروسه دون قصد أيضًا) يتوقف مثلاً على: هل توجد فى النص نفسه مؤشرات معينة لذلك القصد، أو هل تقُدم مقارنات مع نصوص ذات قرابة مواقف فى ذلك الاتجاه، أوْ هل تتوفر للملتقى معلومات إضافية أخرى عن الباث (أو عن الحال المعروضة)[3].

وتنفصل وظيفة النص فضلاً عن ذلك عن التأثير الذى يمارسه النص على المتلقى[4]. كيف يكون الفعل التأثيرى إذن قد قُصِد مع أفعال لغوية بسيطة أو لم يُقْصَد؛ ذلك أن تأثير النص أيضًا خلافًا لوظيفة لم يصر عرفيًا.

---

(١) قارن جروسه ١٩٧٦،ص ٦٨.

(٢) قارن أيضًا موتش ١٩٧٨، ص ٣٠ "لا يعد قصدًا للمتكلم إلا ما يريد المتكلم إفهامه، حيث يستند إلى قواعد، إلى معايير اجتماعية للفعل اللغوى".

(٣) قارن جروسه ١٩٧٦، ص ٦٨.

(٤) قارن جروسه ١٩٧٦، ص ٦٩ وما بعدها.

ونريد الآن أن نسأل أنفسنا: كيف يُكشف عن وظيفة النص فى حال معينة من جهة تحليل النص؟ هل يجوز أن تنشأ ـ قياسًا على مؤشرات الإنجاز ـ مؤشرات لوظيفة النص أيضًا؟

٤ ـ ٣ ـ ٢ حول تحديد التحليل النصى لوظيفة النص

٤ ـ ٣ ـ ٢ ـ ١ قائمة معايير ا. أو جروسه

لم يطور قائمة معايير، عساها تُمكن من الكشف عن وظيفة النص فى حال معينة، إلا ا. أو. جروسه. وينص معيار جروسه الأول على أنه يمكن معرفة وظيفة النص فى "النمط الغالب فى النص لجمل دلالية"[(١)].

وتتكون " الجملة الدلالية" فى رأى جروسه من "أساس ما وراء قضوى" و"قضية"[(٢)]. ويوجه الباث المتلقى بتعبير أساس ما وراء قضوى إلى: كيف ينبغى عليه أن يفهم القضية.

/ ويورد جروسه ستة أنماط ينظر إليها على أنها "قسم متكامل"[(٣)]:

(١) "حقًا (ICH ASS)، و(٢) "قابل للتحقق" (ICH APT)، و(٣) "ربما يكون ممكنًا" (ICH POSS)، و(٤) "من الضرورى"(ICH NEC)، و"مُراد (من المرسل)" (ICH VOL)، و"مُقَوَّم (من المرسل) إيجابًا... أو سلبًا" (ICH AEST). ويصنف القضايا تبعًا لفاعل جملة أن، ولذا يحصل على ثلاثة أنماط من القضايا: قضية ـ أنا وقضية ـ أنت، وقضية ـ س[(٤)].

---

(١) جروسه ١٩٧٦، ص ٧٢ وص ١١٦.

(٢) قارن جروسه ١٩٧٦، ص ١٤ وما بعدها.

(٣) قارن جروسه ١٩٧٦، ص ٤٥ وما بعدها.

(٤) قارن جروسه ١٩٧٦، ص ١٧. ـ يختار جروسه لذلك مجموعات من الرموز: أنا = = =، وأنت = = =، وس = = =، حيث تشير رموز البداية إلى الفاعلين (الأشخاص الأول " المتكلم" والثانى "المخاطب" والثالث "الغائب")، والرموز اللاحقة بها إلى بقية القضية. .

ومن خلال توفيق بين أنماط القضايا والأسس الماوراء قضوية يحصل على أنماط لجمل دلالية تُسند إليها الوظائف النصية.

ولذا يبين مثلاً ورود شائع للنمط ICH ASS : X = = = (صياغة موضحة ممكنة: ـ Es ist der fall, dass "الحال (الأمر) هو أن ...) أن الوظيفة النصية " نقل معلومة" هى الغالبة؛ غير أنه إذا غلب النمط Du ICH Vol===: (يوضح مثلاً بالصياغة ...ICH will, ...dass du/ Ihr/ Sie" أريد أن (ك/ كم/ هم)") فإنه تسود الوظيفة النصية "الطلب"[1]. وفى الواقع يرى جروسه أن شيوع نمط معين فى جمل دلالية ليس مؤشرًا واضحًا بشكل دائم لوظيفة نصية معينة. ولذا يمكن مثلاً فى نصوص، نقر لها بصورة حدسية بخاصية الاستشارة (الجذب) (مثلها فى نصوص الدعاية)، أن يغلب نمط ICH ASS X = = = بوجه عام. ولذلك يدخل جروسه "عامل الجذب" و"الإشارة المسبقة" و"قواعد الفعل" معايير أخرى للغلبة. ويمكن أن يُعَبَّر لغويًا عن " عامل الجذب Appellfaktor" فى "شيوع خاص لمفردات واستعمالات مقيمة" ، وكذلك فى "شيوع صور بلاغية"[2]. ويضفى ـ كما قال جروسه على الجمل " دلالة إقناعية" (وظيفة النص: "الطلب"). ومن خلال إدخال عامل الجذب فقط من الممكن أن يُفَرَّق بين نصوص (إقناعية) مُقَيِّمة بشكل غالب ونصوص الغالب فيها الإبلاغ الموضوعى"[3]. وتقوم بوظيفة "الإشارات المسبقة Präsignale" عناوين متقدمة أو تحديدات لأجناس الأشياء مثل: "قانون" و"لائحة" وكتاب فى الطبخ"... إلخ. و"ليس للإشارات المسبقة معنى يُستهان به، لأنها توجه المستقبل فى الحال إلى وظيفة... النص"[4]. وأخيرًا يذكر جروسه كذلك "قواعد الفعل"[5]؛ وتحدد

(١)قارن جروسه ١٩٧٦، ص٥٧.

(٢) جروسه ١٩٧٦، ص ١٨.

(٣)جروسه ١٩٧٦، ص ١٨.

(٤)جروسه ١٩٧٦، ص٢١.

(٥)جروسه ١٩٧٦، ص ٢٢ وما بعدها (الاقتباس اللاحق ص ٢٤)

بأنها "قواعد اجتماعية" تسرى بين الأشخاص؛ بين الذوات فى جماعة و/ أو فى مجتمع ما". / " وفى حالة الشك لا تُحدد وظيفة النص تحديدًا تامًا ولا تُفهم إلا من خلال قواعد الفعل ... التى لا تستوعبها إلا البراجماتية". بيد أن • جروسه لم يواصل تناول هذه القواعد، إذ يظن أنه يمكن أن يجرد منها عند تحديد وظيفة النص لنص مكتوب محدد "فى الحال العادية".

وتعد المعايير المذكورة مكونات وظيفة النص؛ ويمكن أن تُجمل فى صيغة المكونات الآتية[1]: وظيفة النص = (+ قواعد الفعل) (+ الإشارة المسبقة) (+ عامل الجذب) + أساس ما وراء القضية + نمط القضية (ينبغى أن يعنى التقديم فى كلٍّ التصاعد). ومن المشكل فى نهج جروسه حول تحديد مفاهيم وظيفة النص قبل أى شىء الصياغة الكمية ـ الإحصائية لمفهوم الغلبة؛ ويتضح ذلك فى أن شيوع الورود لأنماط معينة من جمل دلالية أو عناصر نصية مُقوِّمة، ينظر إليه على أنه مؤشر أساسى لوظائف نصية مهيمنة. غير أن هذا النهج قد أفضى بسهولة إلى نظرة مستقلة لتعبيرات مفردة دون مراعاة لسياقها النصى. ويسرى ذلك بوجه خاص على تصور عامل الجذب. وليس الورود الشائع لأشكال لغوية مُقَوِّمة (إيجابًا أوسلبًا) قرينة للوظيفة الاستشارية (الإقناعية) للنص دائمًا. ففى نصوص ذات وظيفة إبلاغية أو مختصة بالاحتكاك (مثلاً فى المراجعات النقدية أو صور تقديم الشكر) أيضًا ليست صور التقويم اللغوية والصور البلاغية نادرة بأية حال[2]. ذلك مذكور مثلاً فى محادثة نقدية لليلة حفلة موسيقية:

من فى عُمْر ريجرز البالغ تسعة عشر عاما يؤدى بصورة منفردة لحنًا أوركستراليًا مؤلفًا من ثلاثة أجزاء ـ d ـ Moll- Cello شديد الصعوبة مثل

(١) قارن جروسه ١٩٧٦، ص ٢٨، وص ١١٦.

(٢) قارن برينكر ١٩٨٣، ص ١٣٥ديمتر ١٩١٨، ص ٢٥ .

كريستيان بيترز فى الحفلة الموسيقية الخاصة لمؤسسة أوسكار وفيرا ـ ريتر، يمكنه وهو مفعم بالأمل أن يتشرف المستقبل. تقنية يدوية بلا مجهود فى الظاهر، إنتاج نغمى شديد ـ التألق وسلامة فى التنغيم ـ سُرعان ما أثمر ذلك مع تلميذة جرينجاس الصغيرة.

وكُرّس الجزء الثانى من الليلة للأختين اردموته ودوناته دورفل البالغتين ١٧ و ١٨ عامًا. عزفت دوناته موسيقى ناى خشبى قديمة وحديثة عزفًا بالغ التعبير والنقاء فى إخراجه، وليس آخر الأمر بتلك المهارة الرائعة للأصابع بحيث أنه ربما كان عليها أن تستميل إلى آلتها قلوب "مزدرين" للعزف على الناى الخشبى.

(عن جريدة: هامبورجر أبندبلَت فى ١٥/ ١٢/ ١٩٨٢)

برغم الشيوع المميز لمفردات واستعمالات مُقوِّمه (إيجابيًا) وكذلك لصور بلاغية (مثل: التكرار الاستهلالى، والمقابلة، وبلوغ الذروة ... الخ) / فإننا لا نقر للنص بوظيفة استثارة (جذب)، بل وظيفة إبلاغية: فالباث (الناقد) يبلغنا تقييمه لواقعة (ما تسمى معلومة عن موقف)[1].

وبذلك ليس مجرد شيوع وحدات وتراكيب لغوية معيارًا مناسبًا لتحديد وظائف النص؛ فتلك النظرة تُجْرَى "تعمل" كثيرًا فى ظاهر النص.

٤-٣-٢-٢ مؤشرات وظيفة النص

خلافًا لجروسه نحن نتعلق بتصور مؤشرات الإنجاز الخاص بنظرية الفعل الكلامى، ولكننا لا نسلك مسلكها بأن نعزو للجمل أو القضايا المفردة للنص أدوارًا إنجازية معينة، ثم نحاول بناء وظيفة النص انطلاقًا

(١) يريد المتكلم أن يبلغ ما هى أحاسيسه ومواقفه تجاه موضوع التقويم (زليج Zillig ١٩٨٢، ص ٢٠٤)

من الأنماط الإنجازية المفردة. فمثل ذلك الإجراء إشكالى للأسباب التى عرضت فى المبحث ٤-٢-٣.

نحن نطلق من أن الوظيفة النصية يُشار إليها بوسائل داخل النص محددة (لغوية أساسًا) ووسائل خارج النص معينة (سياقية)، نطلق عليها ـ قياسًا على مؤشرات الإنجاز مع أفعال كلامية بسيطة ـ "مؤشرات وظيفة النص".

ونفرق بين ثلاثة أنماط أساسية من تلك المؤشرات:

١- صيغ وأبنية لغوية يعبر بها الباث بشكل صريح عن نوع الاحتكاك التواصلى المقصود حيال المتلقى (على سبيل المثال من خلال صياغات أدئية صراحة ونماذج متكافئة للجملة). فإذا أُشّر إلى وظيفة النص على هذا النحو فإننا نتحدث عن تأشير واضح Signalisierung إلى وظيفة النص.

٢- صيغ وأبنية لغوية يعبر بها الباث ـ بشكل صريح أو ضمنى ـ عن موقفه من مضمون النص، وبخاصة من موضوع النص.

فالباث يمكنه مثلاً أن يعبر عن صدق مضمون النص أو احتماليته (يعرف، يظن، يشك)، وأن يُبدى درجة يقين معرفته (حقًا، بالتأكيد، الظاهر أن، من المحتمل، مطلقًا)، ويمكنه أن يشير إلى تقويمه (الإيجابى والسلبى) (يستحسن ويَستقبح)، أو إلى درجة اهتمامه (يتَمنى، ويقصد، ويَرغب فى، ويُؤثر)، أو إلى موقفه النفسى (يَحزن، يَسعد) تجاه مضمون النص (أو موضوعه).

ويمكننا أن نتحدث عن "مواقف موضوعية" اتصالاً بمفهوم/ الموقف القضوى فى نظرية الفعل الكلامى[1].

---

(١) حول أنماط موقف قضوى قارن فوندرليش ١٩٧٦، ص ٧٣، وص ٣٠٦ وما بعدها؛ وقارن أيضًا "الأسس ما وراء القضوية" لجروسه (انظر كذلك ما سبق فى المبحث ٤-٣-٢-١).

للموقف المُقَوِّم (evaluative) أهمية خاصة لتحليل النص، إذ إنه يعرض المقولة المحورية لتحليل أوجه تقويم نصية. وفى مواقف موضوعية أخرى أيضًا يكون الموقف المُقَوِّم متضمنًا (مثلما فى الأشكال المختلفة للموقف المتعلق بالاهتمام أو فى الموقف العاطفى، أى المعبر عن حالة الحس).

أما فيما يخص العلاقة بين وظيفة النص والموقف الموضوعى فإننا نفترض أن الوظائف النصية والمواقف الموضوعية تتعلق بعضها ببعض من حيث إنه يمكن أن تترابط مواقف معينة بوظائف نصية محددة بصورة أسهل (أو أصعب) من وظائف أخرى. وفى الواقع ما تزال هذه العلاقات لم تُبحث بحثًا مفصلاً، إلى حد أننا لا نستطيع أن نقول المزيد عنها، غير أنه لا يجوز للمرء أن ينطلق من أنه بين وظائف النص والمواقف الموضوعية تنشأ علاقة واحد إلى واحد أساسًا (انظر حول ذلك الفصل الآتى). ولذلك فإننا لا نعد أيضًا المواقف الموضوعية مؤشرات واضحة إلى وظيفة محدّدة للنص إلا وهى مرتبطة بمؤشرات معنية للسياق. وفى هذه الحالات نتحدث عن تأشير"غير مباشر" لوظيفة النص(١).

٣ـ المؤشرات السياقية مثل الإطار الموقفى، وبخاصة المؤسسى للنص أو المجال الاجتماعى للفعل(٢)، الذى يلحق به النص، والمعرفة الخلفية المفترضة (عن مضمون النص مثلاً).

ويُعزى إلى السياق أهمية جوهرية فى التفسير التواصلى ـ الوظيفى للنصوص.

---

(١) حين لا يكون الموقف الموضوعى مؤشرًا واضحًا أيضًا لوظيفة النص فإنه يؤثر مع ذلك فى الغالب فى صياغة وظيفة النص (يمكن أن يُطلق المرء عليها مؤشرًا محددًا للوظيفة أو معدلاً لها). قارن حول ذلك بالتفصيل برينكر ١٩٩٤ (مع تحليل للأمثلة).

(٢) ارمرت Ermert (١٩٧٩، ص ٥٧ وما بعدها) يفرق مثلاً حسب نوع علاقة الأدوار بين مجال خاص للفعل ومجال للفعل ومجال رسمى للفعل، تعد درجات مختلفة من الالتزام أساسية لكل منها. ـ قارن حول ذلك أيضًا ما سيأتى فى المبحث ٥-٤-٢.

فإذا لم تظهر فى النص أية مؤشرات لغوية صريحة تحديدًا أو تضمن مؤشرات لغوية منافسة، أى مؤشرات تدل على وظائف تواصلية مختلفة، / فإنه يمكن آخر الأمر أن تُحدَّد على أساس مؤشرات السياق فقط، أية وظيفة نصية موجوده فعلاً. إن إمكانية تنافس المؤشرات خاصةً تبين بوضوح أن الكشف عن وظيفة النص لا يمكن أن يحدث على أساس معايير لغوية ليس غير (على نحو ما قُدِّمت فى ١و٢)، بل إن التحليل السياقى يقدم فى الأساس الكلمة الفصل.

ونريد أن نوضح ذلك بالخطاب التجارى الآتى:

السيد ب. المحترم

نشكركم على المهمة التى عهدتم بها إلينا، ونعدكم بالتزام إنجاز الأعمال فى ٣٠مارس.

مع خالص تحياتى

مصنع أ.

يحتوى النص على صيغتين أدائيتين بشكل صريح (هما: نشكركم - نعدكم بالتزام)، تشيران إلى وظيفتين تواصليتين مختلفتين؛ إلى وظيفة الاتصال Kontaktfunktion من جهة، ووظيفة الالتزام Obligationsfunktion من جهة أخرى (انظر حول ذلك بالتفصيل المبحث ٤-٤-٥ والمبحث ٤-٤-٤).

ويمكن بناءً على السياق، ولاسيما تبعية النص لمجال الفعل "أى حركة التجارة"، أن توصف خاصية الفعل فى النص بأنها "إثبات مهمة مع ضمان للموعد". وتقوم بوظيفة مؤشر النص فى المقام الأول صيغة: نعدكم بالتزام، التى يُفْهِم بها الباث المتلقى أنه يتعهد تجاهه بالتزام معين محدد بدقة باللغة داخل مجال الفعل. وهكذا فإن وظيفة النص، أى الوظيفة التواصلية المهيمنة لهذا النص، هى وظيفة الالتزام. وعلى النقيض من ذلك ليست الصيغة: نشكركم،

مؤشرًا إلى وظيفة النص، إذ إن وظيفة الاتصال فى سياق هذا الفعل لها أهمية جد ثانوية؛ فهى تقوم على الأرجح بوظيفة إضافية مقوية لعلاقة المرسل[1].

ويجدر الآن أن يُعالج بالتفصيل بعض وظائف نصية أساسية، حيث يمكننا أن نتناول بصورة متباعدة فقط الصياغات المتنوعة (البدائل) لهذه الوظائف الأساسية فى نصوص معينة أو أنواع محددة من النصوص فى إطار هذا الجزء.

٤.٤ وظائف نصية أساسية

٤ـ٤ـ١ طرائق حالية للتصنيف

/ تتصل كل الطرائق المقدمة حتى الآن تقريبًا للتفريق بين وظائف النص بشكل ما بنموذج ـ الأورجانون لـ ك. بولر k.Bühler[2].

فبولر يعد اللغة "أداة Werkzeug" بواسطتها يتواصل الباث مع المتلقى عبر أشياء فى العالم. وبذلك تقوم العلامات اللغوية فى الوقت نفسه بوظيفة "رمز" للموضوعات والأحوال فى الواقع (= وظيفة التعبير)، و"إشارة" تستحث من خلالها المتلقى (= وظيفة استثارة)[*].

---

(١) لا يتعلق الأمر فى هذا الجزء إلا بتحديد وظيفة النص. ولا يمكننا أن نتناول بالتفصيل العلاقات بين وظيفة النص والوظائف الثانوية (نرغب فى أن نطلق عليها "الوظائف الإضافية")، قارن مون Möhn ١٩٩١، الذى تحدث فى سياق نصوص الإرشاد عن "وظيفة مجاملة" احتكاكية / اتصالية Kontaktiv.

(٢) بولر ١٩٣٤، ص ٢٨ وما بعدها.

(*) يلاحظ القارىء أنى استخدم مقابلات عدة لهذه الوظيفة فتارة استخدم مصطلح وظيفة المناشدة، وتارة الاستدعاء، وتارة الاستشارة، وأحيانًا الجذب، وهو مصطلح محير، ولكن معناه اضح وهو حث أو دفع أو حمل المخاطب / المتلقى / السامع على فعل شىء معين، ولذلك يرى برينكر كما سيأتى أنه يطابق مصطلح توجيه لدى سيرل أى توجيه المخاطب إلى فعل شىء ما، كما سيأتى بعدقليل.

ويفرق على سبيل المثال كل من ا. جوليش وف. رايبله محتذين بشدة هذا التقسيم بين "وظيفة التعبير"، و"وظيفة العرض"، و "وظيفة الاستشارة"[١].

وبُنِي نهج التصنيف لدى جروسه أيضًا على نموذج بولر، غير أنه عُدِّل تعديلاً كبيرًا. فجروسه يفرق بداية بين وظائف نصية "مِعْيارِيَّة"، تشير إلى أوجه تنظيم ملزمة للتفاعل، ووظائف نصية "غير معيارية"[٢]. ويعلل هذا التقسيم بالأهمية الفائقة للقواعد بالنسبة للفعل الإنسانى غير اللغوى واللغوى. وتتفرع الوظائف المعيارية (المميزة للقوانين، واللوائح، والاتفاقيات، والتوكيلات... الخ) إلى وظيفة تشريعية، ووظيفة دعائية، ووظيفة تصديق، ووظيفة توكيل، ووظيفة التزام ذاتى، ووظيفة اتفاق، ووظيفة إعلامية[٣]. وتحدد الوظائف غير المعيارية استنادًا إلى نموذج بولر للتواصل "حسب علاقتها الإحالية بين الأشخاص" علاقة ـ أنا، و ـ أنت، و ـ س) [٤]. وهكذا يستخلص جروسه الوظائف الشخصية المفردة "العرض الذّاتى" التعبير عن الذات Selbstdarstellung (وهو مميز على سبيل المثال للمذكورات اليومية والسير الذاتية)، و"الطلب" (مميز لنصوص الإعلانات، والتعليقات الصحفية، ونصوص الدعاية... الخ)، و"نقل المعلومة" (أساسى للأخبار، والتقارير، وأشكال الوصف، والنصوص العلمية والعلمية المبسطة)، وكذلك الوظائف بين عدة أشخاص "وظيفة الاتصال" (غالبة فى خطابات التهنئة والتعزية)، و "وظيفة مؤشرة إلى مجموعة" (على سبيل المثال فى الأغانى الجماعية، مثل النشيد الوطنى).

---

(١) قارن جولش/ رايبله ١٩٧٥، ص ١٩٥٢، حول طرائق أخرى (مثلاً ارمرت ١٩٧٩، ص ٦٨ وما بعدها، وديمتر ١٩٨١، ص٥٢ وما بعدها)، قارن برينكر ١٩٨٣، ص ١٣١، هامش٥.

(٢) جروسه ١٩٧٦، ص ٢٨.

(٣) قارن جروسه ١٩٧٦، ص ٥٨ وما بعدها.

(٤) قارن جروسه ١٩٧٦، ص ٣٠ وما بعدها، وص ٥٧.

ويطلق جروسه على وظائف النص "أشكالاً معممة لأفعال إنجازية"(1)، دون أن يوضح بشكل أكثر دقة ماذا يعنى بذلك. غير أن الوصف يشير إلى تصنيفات لأنماط إنجازية، على نحو ما طُوِّرت داخل نظرية الفعل الكلامى؛ إذ توجد هنا طرائق مختلفة؛ لا يعد من بينها تصنيف سيرل(2) هو التصنيف الأشهر فحسب، بل إنه يعد أيضًا من بين التصنيفات المتاحة حاليًا "التصنيف الأفضل"، وإن كان حوله خلاف أيضًا، ولم يف بالشروط العامة للتصنيفات (الشمول والتخيير والتجانس ... الخ) إلا بصورة غير كافية(3). يفرق سيرل بين خمسة أقسام للإنجاز:

- الإخباريات": (مثل: التقرير، الزعم، والتنبؤ، والإيضاح، والتشخيص، والوصف)(*).

- التوجيهات" : (مثل: الطلب، والأمر، والرجاء، والإرشاد، والدعاء، والعرض والالتماس، والنصح، والتوصية، والاقتراح ...الخ).

---

(1) جروسه ١٩٧٦، ص ٧٠.

(2) قارن سيرل ١٩٧٥، والترجمة الألمانية ص ١٧ـ ٥٠.

(3) قارن بلمر Ballmer ١٩٧٩، ص ٢٤٧ ـ ٢٧٤ (الاقتباس ص ٢٧٣).

(*) تظهر الاصطلاحات الألمانية عند مقارنتها بالمصطلحات التى استخدمها د. محمود نحلة فى مقالته: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية ص ١٧٧، ١٧٨ بعض اختلافات. ولكنه رجع إلى كتاب سيرل فى أصله الانجليزى وليس فى الترجمة الألمانية كما فعل برينكر وهو:

SearleJ.R: Expression and Meaning. Studies in the Theory of Speech Acts p.12ff.

ولذلك ترجمته من الأصل أفضل من أن أترجمها عن الترجمة الألمانية. واكتفى هنا بالمقابلة بين المصطلحات فى اللغتين. وإذا أراد القارئ معرفة التفاصيل فليرجع إلى مقالة د. نحلة. تستخدم الترجمة الألمانية المصطلحات:

Reprasntative – Direktive – Kommissive – Expressive – Deklarative.

فى مقابل:

Assertives – Directives – Commissives - – Expressive – Declarations.

الالتزاميات : (مثل : الوعد، والنذر، والعهد، والتهديد، والرهان، والعقد، والضمان ... الخ).

ـ التعبيريات : (مثل الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والتعزية، والشكوى، وحرارة الترحيب، والتحية... الخ).

ـ الإعلانات: (مثل: التعيين، وإعلان الحرب، والحزن، والإهداء، والإنذار، والفصل، والوصية، والتواصل السابق... الخ).

ويقوم تصنيف سيرل على معايير متباينة، يعد من بينها ماالمعياران الآتيان هما أهم معيارين[1]:

(أ) الغرض الإنجازى ("illocutionary point") لفعل الكلامى، القصد التواصلى، الذى يبتغيه متكلم ما بمنطوقه ("ما يريد المتكلم أن ينجزه بمنطوقه"). وفى إطار هذا المعيار يتوصل سيرل إلى الأوصاف المميزة الآتية لكل مقولة من المقولات[2]:

(١)قارن سيرل ١٩٧٥، والترجمة الألمانية ص وما بعدها. ويورد سيرل كذلك بوصفه معيارًا ثالثًا جوهريًا الأحوال النفسية (psychological states) للمتكلم، التى يعبر عنها فى كل فعل كلامى (مثل : الظن، والرغبة والأسف... الخ). هذا المعيار يماثل تقريبًا مفهوم الموقف القضوى أو الموضوعى المعالج فى المبحث ٤-٣-٢-٢. ـ ولا نحتاج فى هذا السياق أن نواصل تناول المعايير التسعة الباقية التى عرضها سيرل كذلك. ـ حول نقد تصنيف سيرل. قارن بلمر Ballmer ١٩٧٩ وهرس Harras ١٩٨٣، ص ٢٠٨ وما بعدها.

(٢)قارن حول ذلك سيرل ١٩٧٣، ص ١١٦ وما بعدها (الاقتباس المقدم ص ١١٦)؛ وسيرل ١٩٧٥، الترجمة الألمانية ص ٣١ وما بعدها.

(*) يتضمن هذا الصنف عند أوستن معظم أفعال الإيضاح expositives وكثيرًا من أفعال الأحكام verdictives.

(**) يجعل أوستن التحدى فى أفعال السلوك behabitives، وكثير من أفعال القرارات exercitives عند أوستن تدخل فى هذا الصنف. راجع د. نحلة فى المقال السابق ص ١٧٧.

/ - الإخباريات: تعرض حالة (صادقة أو كاذبة، صحيحة أو غير صحيحة(*)

- التوجيهات : ينبغى أن يُحَمَل السامع على فعل (عمل) شيء(**).

- الالتزامات : يُلْزِم المتكلم نفسه بفعل فى المستقبل؛ يلتزم بسلوك معين.

- التعبيرات : تعبير عن موقف نفسى للمتكلم من الحالة التى توصف فى القضية.

- الإعلانيات: يؤدى الإنجاز الموفق إلى توافق بين المضمون القضوى والواقع. والإعلانات " تحدث وحدها بمقتضى حال أن تُنْجَز بنجاح، تغييرًا فى وضع أو حالة ذلك الموضوع (أو تلك الموضوعات) الذى يُتحدث عنه (أو التى يتحدث عنها). هذه السمة للإعلانيات تفرقها عن المقولات الأخرى(١)". فهى تشغل أيضًا مكانة خاصة محددة باعتبار أنها تنجز فى العادة فى استعمالات محكمة، صارت لها قدسية فى إطار المؤسسات. مثال: بُرّئت بذلك من الاتهام. فقد أُحدثت واقعة مؤسسة معينة (البراءة من الاتهام) بأن صرح ممثل للمؤسسة المناسبة (قاضٍ) بأن هذه الواقعة "وقوع البراءة" لها وجود(٢).

(ب) اتجاه المطابقة (" direction of fit") بين مضمون المنطوق (المفردات)، والوقائع (فى العالم). فبينما ينبغى مع الإخباريات أن تطابق الكلمات العالم، (from words - to - world) فإن العالم مع التوجيهات والالتزاميات يُغَيَّر

(١)سيرل ١٩٧٥، والترجمة الألمانية ص ٣٦.

(٢)قارن هنده لانج ١٩٨٣، ص ٤٨.

(*) فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجى، ولا العالم الخارجى يطابق الكلمات، وكل ما هو مطلوب الإخلاص فى التعبير عن القضية.

(**) يقول د. نحلة فى المقال السابق ص ١٨٧ أيضًا: وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال الأخرى أنها تحدث تغييرًا فى الوضع القائم، فضلاً عن أنها تقتضى عرفًا غير لغوى.

بحيث يناسب العالم المفردات (from world- to- words) . ومع التعبيريات لا يوجد في رأى سيرل أى اتجاه إلحاق بين العلم والكلمة؛ إذ يُشترط أن صدق القضية أمر بدهي (كما هي الحال مع المنطوق: أهنئك بعيد الميلاد، والواقعة هي أن للمخاطب عيد ميلاد. ومع التوجيهات تتطابق ـ كما قيل من قبل ـ الكلمات والواقع (المؤسسة)(**)؛ والاتجاه فيها يكون من الكلمة إلى العالم wort- auf- welt، ومن العالم إلى الكلمة welt- auf- wort أيضًا . و"لا يتحقق أداء إعلان من خلال شيء آخر سوى من خلال نجاحه بأن تتناسب الكلمات بعضها مع بعض[1]".

ومن الواضح أن الوظائف الأساسية لدى بولر قد نُقلت (استعيرت) إلى تنميط سيرل للإنجاز أيضًا؛ فأقسام الإخباريات، / وأقسام التعبيريات، وأقسام التوجيهيات تتوافق تقريبًا مع الوظائف اللغوية: "وظيفة العرض، ووظيفة التعبير، ووظيفة الاستشارة".

ويُعْتَرض على كل التصنيفات القائمة على تصنيفات بولر بأنها ليست متجانسة تمامًا من حيث أن التقسيم ـ من ناحية النظرية اللغويةـ يرتكز على معايير متباينة[2]. فبينما تُعرف وظيفة الاستشارة ووظيفة الاتصال مثلاً على المستوى التواصلي ـ الوظيفي (نوع العلاقة التواصلية للباث بالمتلقي)، يُحَدَّد

---

(١)سيرل ١٩٧٥، الترجمة الألمانية ص ٣٧.

(٢)قارن أيضًا فرير Frier ١٩٧٩، ص ١٢ الذى يشير إلى أنه "مع توجيه صارم إلى نموذج الأورجانون ينشأ تعليلان مختلفان للتصنيف" (أنواع الإحالة مع وظيفة التعبير ووظيفة العرض في مقابل جهة العلاقة مع وظيفة الاستشارة). ويتوجه أيضًا إلى هذا الاتجاه الاعتراض الأول (عشوائية صياغة أغراض إنجازية) الذى يوجهه هرس Harras (١٩٨٣، ص ٢٠٨) ضد تصنيف سيرل (متابعًا بلمر Ballmer ١٩٧٩، ص ٢٤٩).

(*)لم يتناول المؤلف في مناقشته لأصناف الأفعال الإنجازية شرط الإخلاص وهو البعد الثالث إلى جانب الغرض الإنجازى واتجاه المطابقة، وهو شرط مهم لا يمكن تجاهله

وظيفة العرض ووظيفة التعبير أو التعبير عن الذات على المستوى الموضوعى بناءً على أنواع مختلفة للإحالة؛ فمع وظيفة "التعبير عن الذات" يدور الأمر حول جعل شخص الباث ذاته موضوعًا، ومع وظيفة العرض يتعلق الأمر بجعل الأحوال موضوعًا. غير أنه فى هذه الحالات تعد ـ من ناحية تواصلية ـ وظيفة ـ وظيفة الإبلاغ أو الاستشارة للنص أساسًا(*).

ومع الوظيفة المؤشرة إلى جماعة يدخل كذلك معيار آخر فى الأمر.

ويصفها جروسه بأنها "حالة خاصة"، إذ إنها تعرض "فى الوقت نفسه وظيفة الشفرة (بصورة أدق: وظيفة الشفرة الفرعية) ذاتها"[1]، غير أن وَسْم التبعية للجماعة ليس أساسًا ضمن وظائف النص (بمعنى محدد)؛ وفى الواقع هى موجودة فى نصوص كثيرة (كما لاحظ جروسه نفسه)؛ ولكن هذه النصوص لها فى العادة خاصية استشارة غالبة.

وتُعَرَّف الوظيفة المعيارية مرة أخرى على نحو مغاير، إذ تُظْهِر فى رأى جروسه "قواعد مقيدة صراحة للسلوك والعمل"[2]. غير أنه يُعزى إلى السمة الأساسية لحد وظيفة النص المعيارية "مُقَيِّدة" وضع نظرى آخر غير المقولات الوظيفيّة المتعلقة بقصود التواصل لدى الباث (مثل الإبلاغ أو الاستشارة). ويستند معيار "مقيدة" أساسًا إلى الاعتبار القانونى (أو التأثير) لنص ما فى السياق الاجتماعى، ويمكن أن يرتبط بوظائف تواصلية مختلفة (وبوظيفة الاستشارة أيضًا إلى جانب وظيفة الالتزام/ ووظيفة الإعلان بمفهوم سيرل). وسواء أكان نص ما (بمفهوم قانونى) "مقيدة" أم لا فإنه يُحدد بشكل جوهرى بالموقف الاجتماعى (علاقة الأدوار؛ المجال الرسمى أو الخاص للفعل وما أشبه). ولذا فإن الأمر يتعلق مع المنطوق: اقرأ من فضلك الرسالة! حول طلب

---

(1) جروسه ١٩٧٦، ص ٣٧.

(2) جروسه ١٩٧٦، ص٢٩.

مقيد (توجيه)، حين يرد فى سياق قانونى ـ موقفى (مع علاقات متدرجة للأدوار بين الباث والمتلقى). بينما يمكن أن يعبر المنطوق ذاته فى سياق آخر بوجه عام عن رجاء (متناسق)(١).

وينبغى خلافًا لطرئق التصنيف المتحدث عنها أن يرتكز تحديدنا لوظائف النص على معيار موحد، أى على نوع الاحتكاك التواصلى الذى يعبر به الباث بالنّص نحو المتلقى. ويمكن من خلال ذلك التوصل إلى تصنيف أكثر تجانسًا.

ونختار أساسًا لتقسيمنا تنميط سيرل للإنجاز، غير أننا نُعَدِّ له فيما يتعلق بالمقولتين: "إخباريات" و "تعبيريات" اللتين ـ كما قيل من قبل ـ عُرِّفتا لدى سيرل أساسًا بناءً على أنواع مختلفة للإحالة، وبذلك لا يرتبطان بوضوح كاف بالجانب التفاعلى. نحن نُدْخِل بدلاً منهما وظيفة الإبلاغ Informationsfunktion ووظيفة الاتصال Kontaktfunktion(٢) (اللتين تردان بصورة مشابهة فى تصنيف جروسه أيضًا).

وفى إطار الجانب التواصلى ـ الوظيفى للعلاقة التبادلية بين عدة أشخاص تنتهى إلى القائمة الآتية لوظائف نصية أساسية(٣):

---

(١) قارن حول ذلك هنده لانج ١٩٨٧، ص ١٨٨، ١٩٨٣، ص ٥٣ وما بعدها؛ ويفرق هنده لانج بين أشكال طلب مقيدة، وغير مقيدة (قارن مثلاً التوجيه، والأمر، والتكليف، والقانون فى مقابل الرجاء، والنصح، والتلميح، والاقتراح، والإرشاد).

(٢) وبذلك من البدهى ألا يقال إن كل الأفعال الكلامية الإخبارية بمفهوم سيرل لها وظيفة الإبلاغ، وإن كل الأفعال الكلامية التعبيرية لها وظيفة الاتصال؛ إذ يمكن أن تحقق وظائف تواصلية أخرى أيضًا. ـ قارن حول وظيفة الإبلاغ للإخباريات وندرليش ١٩٧٦، ص ١٩٧٣ وما بعدها. ـ ويمكن أيضًا أن يكون لأفعال كلام تعبيرية وظيفة استشارة أو وظيفة إبلاغ. ويجب أن ننظر إلى الإعلانيات بصفة خاصة فى إطار جهة العلاقة بين الأشخاص على أنها حالة خاصة باعتبار أنها موجهة أساسًا إلى تغيير العالم. (قارن هرِّمس ١٩٨٣، ص ٢٠٩).

(٣) قارن أيضًا برينكر ١٩٨٣، ص ١٣٩. ـ وجد التقسيم المقترح لوظائف النص فى هذه الأثناء مدخلاً إلى الطبعة الخامسة من كتاب دودن فى النحو Duden - Grammatik. (١٩٩٥ـ ص ٨١٠).

ـ وظيفة الإبلاغ(*).

ـ وظيفة الاستشارة.

/ ـ وظيفة الالتزام.

ـ وظيفة الاتصال.

ـ وظيفة الإعلان.

ونرغب فى المباحث الآتية أن نصف هذه الوظائف النصية وصفًا أكثر دقة[1].

٤-٤-٢ وظيفة الإبلاغ

يُفهِّم الباث المتلقى أنه يوفر له معرفة، وأنه يريد أن يبلغهُ شيئًا ما[2].

ويمكن أن تُوضح وظيفة الإبلاغ بالعبارة المفسرة الآتية:

أنا (الباث) أبلغك (المتلقى) الحالة/ الواقعة س (مضمون النص).

ومن منظور مباشرٍ يمكن أن يؤشر إلى الوظيفة الإبلاغية للنص من خلال صياغات أدائية صراحةً بالإفعال: أبلغ، أخبر، بلّغ، افتتح، كتب تقريرًا، أعلم، أطلع، أحاط (علمًا) بـ ... الخ.

وترتبط وظيفة الإبلاغ كثيرًا بمواقف موضوعية، تستند إلى درجة التأكيد والقيمة الاحتمالية للمعرفة، التى يمتلكها (يتوقع أن يمتكلها) الباث عن صدق مضمون النص. ولذا يمكن أن يعرض الباث الحالة المتخذة موضوعًا على أنها

(*) لا يعنى اختيار هذا المصطلح لترجمة Informationsfunktion أنه أقل دلالة من الترجمات الأخرى: وظيفة الإخبار، أو الإعلام، أوالإنباء وغيرها. ولكنه لا يزيد عن كونه اختيارًا لا أكثر ولا أقل.

(١) يمكن أن تستكمل كذلك بما تسمى الوظيفة الشعرية (الجمالية)، التى تسود فى نصوص أدبية، وهى أساسًا موضوع بحوث علم الأدب (قارن حول ذلك جروسه ١٩٧٦، ٤٠ وما بعدها).

(٢) قارن حول ذلك أيضًا ديمتر Dimter، ١٩٨١، ص ٦٣.

موجودة حقًا أو أنها محتملة بدرجة أكثر أو أقل او أنها غير موجودة. ونريد أن نوضح هذه المواقف الموضوعية بالعبارات المفسرة الآتية[1]:

أنا (الباث) أعرف / معروف لى أن ...

الحال هى (الحق/ تأكد ... الخ) أن ...

من المحتمل (من الممكن/ من غير المحتمل ... الخ) أ...

لم يصح أن ...

إلى آخره

ويمكن أن يحصر الباث تأكيد معرفته بطرق متنوعة، مثلاً ببيان المصادر أو باستخدام / أفعال الصيغة (ينبغى، يريد / ... الخ) ومفردات الصيغة (فيما يبدو، من المفترض، من المحتمل، من المؤكد... الخ) ووسائل لغوية أخرى.

أمثلة من أخبار الصحف:

(١) تريد المبادرة "لا نفاية ذرية فى مورجسِّن" أن يكشف وفق معلومات خاصة عن أنه فى حادث أثناء العمل فى محطة التوليد النووى فى فورجَسِّن (يسر) قد تعرض أربعة عشر عاملاً للنشاط الإشعاعى.

(عن جريدة: هامبورجر آنبد بلَت فى ٣٠/ ٨/ ١٩٨٢)

(٢) فى مستشفى برمر "شمال يسر" وضعت ربة بيت من هامبورج خمسة توائم ـ ثلاث بنات وولدين. توفيت واحدة من البنات. أما الإطفال الآخرون الذين عسى أن يزن كل منهم ٧٥٠ جرامًا تقريبًا، يرقدون فى حضانات.

(عن جريدة: هابمرودر آيند بلَت فى ٩/ ٦/ ١٩٨٠)

---

(١) قارن أيضًا جروسه ١٩٧٦، ص٧٦ وما بعدها ("إشارات الإخبار Assertionssignale")، وص ٧٩ وما بعدها ("إشارات الظن / التخمين Vermntungsignale").

(٣) تنظر حكومة الولايات المتحدة فيما يبدو فى إمكانية أن تخفف حدة نقاشها مع حلفائها الأوربيين حول الحظر على أنابيب الغاز الطبيعى.

(عن جريدة: هامبورجر آبند بلَت فى ٣٠/ ٨/ ١٩٨٢)

(٤) من المفترض أن يستقر كريستوف دونانى وعائلته فى ضاحية بارزة فى كليفلاند "مرتفعات شَكِر"(١)...

(عن جريدة: هامبورجر آبند بلَت فى ١٢/ ٨/ ١٩٨٢)

فى هذه الصياغة تعد وظيفة الإبلاغ مميزة للأنواع النصية: "خبر" (فى الصحافة، فى الراديو، فى التليفزيون)، و "تقرير" و "وصف مع أقسامها الفرعية المختلفة" نتيجة البحث، و "كتاب متخصص" ... الخ.

غير أنه يمكن أن تمتزج الوظيفة الإبلاغية للنص "بموقف تقويمى" أيضًا (شىء ما حسنًا / سيئًا). يُعلم الباث المتلقى إذن بتقويمه (الإيجابى أو السلبى) لحالة ما (دون رغبة منه فى أن يؤثر فى موقفه!)(٢). هذا الموقف الموضوعى مميز للأنواع النصية "تقرير خبير"، و"مراجعة نقدية"، و"رسالة قارىء" .. الخ.

ويمكننا أن نورد عبارات موضحة مثل:

أنا (الباث) أقوم / أحس إيجابًا / سلبًا، أن ...

إنه أمر إيجابى / سلبى أن ...

مثال من نقد / عرض لكتاب:

(٥) لا يقدم هذا الكتاب (المؤلف بإهمال) نثرًا متميزًا لغويا؛ ومع ذلك فهو يقدم بعض معلومات عن قارة غير معروفة لنا تقريبًا.

(*) ربما يسكنها طائفة معينة Shaker تعنى الهزّاز: أحد أفراد طائفة دينية أمريكية اشتراكية تعرف بطائفة الهزازين لأن حركات الجسد تشكل جزءًا من العبادة عندها.

(٢) قارن حول ذلك ما سبق هامش ٥١، وقارن أيضًا ديمتر Dimter ١٩٨١، ص ٦٣.

(من جريدة: دى تسايت فى ٢١/ ١١/ ١٩٨٠)

فى صورة موضحة:

[أنا (الناقد) أبلغك (القارىء) أنى:]

أُقوِّم سلبًا أن هذا الكتاب لا يقدم بعض معلومات...

ويوجد عدد كبير من إمكانات لغوية للتعبير عن أشكال تقويم)موقف مُقَوِّمة)[١]. ولذلك يمكن للمرء أن يجد شيئًا ما حسنًا ، سيئًا، صعبًا، مبالغًا فيه، مهمًا... الخ. ويمكن أن يرحب بشىء، ويحكم بشىء، ويفخر بشىء، ويرضى عن شىء ... الخ.

وهكذا فالوظيفة الإبلاغية للنص منسجمة مع عرض لغوى بالغ الموضوعية وعرض لغوى مبرز لرأى ما. بيد أن الأمر لا يدور فى ذلك غالبًا حول تخيير Entweder- oder واضح، بل حول غلبة مبدأ أو آخر. ونستطيع أن نوضح ذلك بالخبر الإذاعى، الذى عالجناه فى المبحث ٣-٥-١ (نص٢).

فعرض الأخبار الإذاعية بالغ الموضوعية، أى أن الباث يتجنب أية تقويمات لغوية صريحة واستشارات للمشاعر؛ فهو يبلغ الواقعة فقط، ولا يعبر عن موقف، ولا يعبر عن موقف تقويمى، ولا يحاول أن ينظم الموضوع فى سياق سياسى ـ اجتماعى أكبر. وتتجلى هذه الطريقة "المحايدة" للعرض فى نصنا بوجه خاص فى أن الأجزاء المميزة قد عرضت فى الصيغة النحوية للكلام غير المباشر. ومن خلال اختيار صيغة الاحتمال يشير الباث إلى أنه لا يكفل الصدق، بل لعله يدع (ما تسمى صيغة احتمال إحالية) [٢] المسؤولية عما قيل للمتكلم صراحة (هنا: كول).

---

(١)قارن أيضًا جروسه ١٩٧٦، ص ٨٢ وما بعدها، الذى قدم أهم مقولات الموقف المُقوِّم وصورها اللغوية.

(٢)يرجع المصطلح إلى جلتس ١٩٧٥، ص ١١٠.

وفى الواقع لا يعنى مبدأ العرض البالغ الموضوعية الملزم للأخبار أن نصوص الأخبار خالية تمامًا من التقويمات. ولذا فإن اختيار الأخبار من المادة الإخبارية المتوفرة، وكذلك ترتيبها فى الإرسال الإخبارى (بالضرورة) يمثل تقويمًا[1].

ويمكن أيضًا أن يتضمن نوع الصياغة / ـ سوء أكان ذلك بوعى أو بدون وعى ـ تقويمًا معينًا أو يوحى به.

وفى هذا السياق يعد الجزء ٢ من نصنا مهمًا:

يرفض (أى الاتحاد المسيحى الديمقراطى) ذلك المسار الذى أيده فرانتس يوسف شتراوس. هذا الجانب الموضوعى يُصاغ فى الإرسال التليفزيونى فى اليوم نفسه (Tagesschau الساعة الثامنة مساء) على النحو التالى: **لا يريد** الاتحاد المسيحى ـ الديمقراطى أن يساند الرفض العام الذى طالب به رئيس الاتحاد المسيحى ـ الاشتراكى : مجموعة من صور الترشيد للحكومة الاتحادية.وفى جريدة هامبورجر آبند بلَت فى ٣١/ ٨ جاء ما يشبه ذلك : **الرفض العام الذى طالب به رئيس الاتحاد المسيحى ـ الاشتراكى؛ مجموعة من صور الترشيد للحكومة الاتحادية، لم يسانده فيه الاتحاد المسيحى الديمقراطى فى هذه الدورة.** وحين نقارن هذه الصياغات، يظهر فى الخبر الإذاعى الخلاف بين الاتحاد المسيحى الديمقراطى وشتراوس فى هذه المسألة مؤكدًا بصورة أقوى (يرفض) مما فى الخبر التليفزيونى والصحفى (لم يساند). ويربط كثير من أصحاب اللغة بالوحدة اللغوية للمعنى: "يتأبى على شخص ما"، موقف نزاع / تعارض.

وإلى هذا الاتجاه تشير أيضًا الشواهد الواردة فى معجم ـ دودن الكبير للغة الألمانية (المجلد السادس، ١٩٨١):

---

(١) قارن حول ذلك دوفيفت / فيلكه Dovifat /Wilke. ١٩٧٦، ص ٨١ وما بعدها، حيث تعالج بالتفصيل أوجه التأثير الذاتية التى يخضع لها تقديم التقرير.

يتأبى النشء، لا يريدون أن يضطلعوا بأى دور فى عالم الكبار

ـ تتأبى على زوجها.

لا نستطيع هنا أن نستمر فى تناول مشكلة موضوعية الأخبار التى نوقشت كثيرًا، ولكننا نريد أن نسجل أن التأكيد على الموضوع لا يساوى الموضوعية. فما يسمى التقديم الموضوعى للتقرير، على نحو ما يطالب به فى قوانين الإذاعة، تصور مثالى صعب المنال[1].

أما هل الخبر مقوم إلى جانب وظيفته الإبلاغية وظيفة إستثارة أيضًا (أو أساسًا) فإنه ينشأ عن السياق أو نوع النص الذى يتبعه النص المناسب. وجملة مثل: مما يسر أن ... تعد فى مقابلة أو رسالة إخبارية خاصة إبداء لرأى قبل أى شىء (= وظيفة إبلاغية)؛ غير أنه فى إعلان يمتلك الاستعمال ذاته فى المقام الأول خاصية استثارة (جذب) (انظر حول ذلك المبحث ٤–٤–٣).

٤–٤–٣ وظيفة الاستثارة

يُفْهِم الباث المتلقى أنه يحثه على أن يتخذ موقفًا محددًا تجاه شىء ما (التأثير فى الرأى) / و/ أو أن ينجز فعلاً معينًا (التأثير فى السلوك).

ويمكن أن تُوَضَّح الوظيفة الاستثارية بالعبارة المفسرة الآتية:

أنا (الباث) أطلب منك (المتلقى) أن تتخذ موقفًا (رأيا) س / أن تنجز الفعل س

مثال ذلك:

(١) من تعليق صحفى:

فى هذه المرحلة الانتقالية يعد التسليف للمزارعين المعرضين فى وجودهم

---

(١)قارن أيضًا فلوك وآخرين Fluck. ١٩٧٥، الملزمة المرافقة ص ١١، م. هوينM. Heun ذاتية الأخبار العامة ـ القانونية، فى كتاب شتراسنر Strassner ١٩٧٥، ص٦٦ ـ

حقيقة للمخطر الحل الأكثر عقلانية. ومع ذلك ينبغى عليهم أن يصيروا قريبًا جدًا فاعلين. إذ إنه يصح هنا أيضًا: من أسرع فى العطاء كان عطاؤه مضاعفًا.

(عن جريدة: هامبورجر آبند بلت فى ٢٨/ ٧/ ١٩٧٦)

ويلاحظ مع إجراء العبارة الموازية الموضحة أن ثمة تعليقات سياسية قد وجهت مرات عدة فى الغالب. فالمرسل إليهم Adressaten تارة القراء الذين لا يعملون هم أنفسهم فى المجال السياسى، ولكنهم تارة أخرى الفاعلون السياسيون أيضًا الذين يستند إليهم أو إلى أفعالهم التعليق(١).

ومن ثم تنتج كلتا الإمكانتين الآتيتين للصياغة الموضحة:

(أ) أنا (المؤلف) أريد أن أقنعكم (المسؤولين سياسيًا) بأن س هو الحل الأكثر عقلانية، وأطالبكم بإشارة إلى امثل القائل : **"أسرع فى العطاء كان عطاوه مضاعفًا"**.بجعل التسليف فعالاً قريبًا.

والأنواع النصية التى لها وظيفة استثارة أساسية هو: الإعلان، ونص الدعاية، والتعليق (الصحفى، والتليفزيونى، والإذاعى) (٢)، والإرشاد إلى العمل، والإرشاد إلى الاستعمال، والوصفة، ونص القانون، والعريضة، والطلب، والالتماس والخُطبة ... الخ.

---

(١)قارن ساندج ١٩٨٧، ص ١٥٧ ـ وحيث يعبِّر المعلق بالنظر إلى هذه المجموعة من المرسل إليهم عن مقترحات، توصيات، مطالب الخ، فإنه ينقل للمرسل إليهم فى هذه المجموعة تقويمات مميزة (قارن ساندج، السابق).

(٢)لا يتعلق الأمر بالنسبة للباث عادة فى التعليقات (السياسية) بالإعلان عن رأيه (=وظيفة الإبلاغ) فحسب، بل إنه يقصد فى الوقت نفسه أن يقوم المتلقى بتقويمه للحالة، وتتضمن التعليقات كثيرًا أيضًا استثارة (غير مباشرة فى الغالب) للمسؤولين (للفاعلين السياسيين مثلاً، انظر ما سبق هامش ٨٢) لفعل شىء معين أو تركه (قارن حول ذلك أيضًا التعليق المحلل فى المبحث ٣-٥-٣ "لَمِ التبرم من الحكومة؟").

ويمكن أن تؤشر إلى الوظيفة الاستشارية للنص مباشرة بصياغات أدائية صراحةً بالأفعال : دعا إلى، أصدر أمرًا ،أمر، رجا، نصح، وصىَّ، سأل، اقترح طالب بـ كلف... ألخ. غير أن تلك الأبنية الصريحة نادرة فى نصوص. أما أكثر المؤشرات النحوية شيوعًا لوظيفة الاستشارة فهى على الأرجح[1].

(أ) جملة الأمر

على سبيل المثال فى شعارات الإعلانات مثل:

خذ فيم! ـ استمتع بلورد اكستر! ـ اكتشف العالم الحر المنعش لرينو![2] قارن أيضًا الأجزاء من ٨ ـ ١٠ للإعلان المحلل فى المبحث ٣-٤-٤ تراعينى (قراط) أراعيك (قراطين).

(ب) التركيب المصدرى

على سبيل المثال: أن تعتنى بنفسك وأن تدع غيرك يعتنى بك (كريم نيفيا)

ـ بداية التلطيف بداية استعمال بيكون ـ متعة القلب المبتهج (هـ ب).

فالمصدر لاختصاره وبساطته (بدون فاعل، وبدون زمن وبيان علامة للصيغة) مميز بصفة خاصة للتشكيل اللغوى لإرشادات الاستعمال وتوجيهات الاستخدام ووصفات الطبخ ... الخ.

(١) قارن أيضًا جروسه ١٩٧٦، ص وما بعدها. ـ أهم "إشارات الإدارة وإشارات التمنى" لأنواع النصوص المكتوبة فى رأى جروسه هى (جملة) الأمر، وجملة الاستفهام والمصدر. .

(٢) فى المثالين الأخيرين يتعلق الأمر بما يسمى صيغة التأدب (المضارع فى صيغة الاحتمال مسند إلى ضمير الغائبين مع وضع الضمير بعد الفعل = Entdecken Geniessen Sie، التى يمكن أن تعد صيغة بديلة للأمر. وهى تستخدم تجاه أشخاص يخاطبهم المرء بصيغة احترام ـ قارن حول ذلك كتاب دودن فى النحو Grammatik–Duden ١٩٧٣، ص ٩٩.

أمثلة على ذلك:

(٢) من إرشاد الاهتمام بأشكال التطريز:

معاملة أشكال التطريز الملونة معاملة خاصة دائمًا. إزالة النشا أو الصلابة الموجودة فى المادة أحيانًا. استخدام وسيلة غسل خفيفة غير قلوية فقط.

(٣) من وصفة طبخ:

تقشير ٣ـ ٤ بصلات متوسطة الحجم، وتقطيعها حلقات. قدح ١٥ جرام من الزبد أو السمن، وتحمير البصل فيها تحميرًا خفيفًا.

ثمة بديل خاص لوظيفة الاستثارة مميز للأنواع النصية "إرشاد الاستعمال، وتوجيه الاستخدام، ووصفة الطبخ، نريد أن نتناوله بإيجاز. ففى نصوص هذا النوع لا يريد الباث أن / يحمل المتلقى أساسًا على فعل مباشر، بل أن يبلغه بخطوات وإمكانات معينة للفعل (مثل استعمال آلات أو إعداد أكْلٍ) . ويمكن أن توضح الوظيفة التواصلية لهذه النصوص بالعلاقة إذا ـ فـ : إذا أراد شخص ما أن يلعب سكات (لعبة ورق) فإنه يتبع القواعد أ، ب، ج؛ إذا أريد أن يُستخدم الجهاز س فعلى المرء أن يراعى التنبيهات المرافقة. وفى البحث يُحاول أن يصف هذه الصياغة المميزة لوظيفة الاستثارة فى إرشادات العمل والفعل والاستخدام من خلال مفهوم **تعليمات** Instruktion. "الفيصل فى إنجاز إرشاد ما هو اهتمام قائم من المرشد والمرسل إليه بتبادل للمعلومة، وبذلك يمكن أن ينجز إرشاد بوجه عام"[1]. أما مع الطلب المباشر فالأمر على النقيض مما سبق

(١)قارن حول ذلك بالتفصيل فيبر Weber ١٩٨٢، ص ١ وما بعدها (الاقتباس ص ٢). ـ حول الوظيفة الإرشادية للنصوص المتخصصة قارن مون Möhn / بلكه Pelka ١٩٨٤(ص ٦ وص ٥٨ وما بعدها) ومون ١٩٩١.

بقدر ما يدور حول نقل معارف ويتيح للمتلقى توسيع كفاءة الفعل لديه؛ بل يتصدر اهتمام الباث بإتمام الفعل المعبر عنه فى القضية.

(جـ) جملة الاستفهام

يطالب الباث المتلقى بالتبليغ اللغوى لمعلومة ما. ونجد هذا المؤشر بوجه خاص فى الأنواع النصية الآتية:

منحنى الاستفهام، والمقالبة الصحفية (المكتوبة)، والكتاب التعليمى (فى صورة سؤال وجواب)... الخ.

مثال على ذلك:

(٤) من منحنى استفهامى إدارى:

هل طلبْت (سيادتك) أو زوجك معاشًا لدى تأمين قانونى على المعاشات؟

(د) نموذج للجملة مع ينبغى أو يجب + مصدر، وعليك (عليكم) أن + فعل (مصدر)، والأوجب (الأدعى) + أن + فعل (مصدر) ... وغير ذلك[١].

أمثلة على ذلك:

(٥) من قانون التوظيف الاتحادى

مادة ٢٤ على الموظف أن يكرس نفسه لوظيفته بإخلاص تام.

عليه أن يدير إدارته مجردًا من كل غرض بضمير حى. ويجب على سلوكه داخل الخدمة/ وخارجها أن يستحق الاحترام والثقة التى تتطلبها وظيفته.

مادة ٥٥ على الموظف أن يقدم لرؤسائه المشورة وأن يدعمهم. وهو ملزم بأن ينفذ الأوامر التى يصدرونها.

---

(١)حول وظيفة المركب sein +zu + Infinitiv(من الممكن/ من الأوجب + أن + فعل (مصدر) قارن برينكر ١٩٧١ أ، ص ١٢١ وما بعدها.

(٦) من قانون التحقيق الجنائى (STPO):

مادة ١١٨ أ يجب أن يُعلم الادعاء العام والجانى والمحامى بمكان جلسة الاستماع وزمانها. وعلى الجانى أن يُقَدِّم للمحاكمة...

ترتبط الوظيفة الاستجابية هنا بموقف "معيارى" للباث؛ وهى تعنى أن المتلقى ملزم بتحقيق الحال التى جعلت موضوعًا. وبذلك نصل إلى مواقف موضوعية، مرتبطة بالوظيفة الاستجابية. ومن الواجب أن يفرق فى ذلك بين مواقف تشير عادة إلى الوظيفة الاستجابية، ومواقف متعلقة بهذه الوظيفة غالبًا، ولكن ليس دائمًا.

ومن المجموعة الأولى إلى جانب الموقف المعيارى، مواقف بوجه خاص تسم اهتمامات (حاجات، وأمنيات، وأولويات الباث ذاته، مثل: **أود أن يتحقق الأمر س ؛ وددت لو ...؛ أتمنى أن ...؛ أحتاج إلى الشىء س ... الخ.**

ويعد الموقف التقويمى من المجموعة الثانية، ولكن الأمر هنا لا يتعلق بالنسبة للباث ـ كما هى الحال مرتبطة بالوظيفة الإبلاغية ـ بالإبلاغ عن موقفه فحسب، أى مجرد إبداء رأيه، بل إنه يقصد فى الوقت ذاته أن يتبنى المتلقى وجهة نظره، تقويمه (الإيجابى أو السلبى) للحالة (وأن يسلك سلوكًا مطابقًا). نريد الآن أن نوضح الصلة بين الوظيفة الاستجابية والموقف التقويمى بنص الدعاية الآتى. الجزء اللغوى نصه:

(٧) (١) بالإمان مستبعد لكل ما هو محتمل.

(٢) ما يزال يوجد قائدو مركبات يُعِدون الشارع ساحة قتال.

(٣) العواقب معروفة.

(٤) لذلك تسلك فولفو دائمًا طريق السلامة.

(٥) فإذا ما بلغت الشدة ذات مرة مبلغًا عظيمًا[١] حقيقةً فإن الأمان هو الفرصة الأعظم.

(٦) فولفو.

(٧) مادة المعلومات ترسلها إليكم شركة مبيعات فولفو فى ألمانيا ١١٣ ٦٠٥١ ديتسنباخ ـ شتاينبرج.

(٨) القيادة فى أمان ـ قيادة فولفو.

(عن: ADAC عالم السيارات فى اكتوبر ١٩٧٣)

يعد النوع النصى "الإعلان" قسمًا من النصوص الاستثارية. يحاول الباث أن يحمل المتلقى على شراء منتج معين. وفى الواقع لا يشار إلى طلب الشراء فى إعلانات الدعاية بشكل مباشر إلا نادرًا، وذلك من خلال جمل أدائية صراحةً، مثل: أنا (الباث) أطلب منك (المتلقى) أن تشترى المنتج س، أو اشتر المنتج س. وكذلك فى إعلانات يُوردُ فيها المسؤول قائمًا بالدعاية (مثل الطبيب بوصفه "خبيرًا"، أو الممثل بوصفه شخصية رئيسية)، يؤثر الباث التوصية بالمنتج، حيث ينجز هذا الفعل فى الغالب بصورة غير مباشرة، أى فى صورة أشكال للإفصاح عن الموقف. وهكذا تتحدث المرجعية المقدمة عن نفسها: آخذ (أستعمل، أستمتع بـ، لا أضن على نفسى بـ)المنتج س[٢].

(*)يقصد هنا إذا وقعت حادثة، ولكنه لم يعبر عن ذلك صراحة، ولكن أشار إلى ذلك تلميحًا، من باب عدم إثارة التشاؤم لدى القارئ.

(٢)يؤثر الباث الصورة غير المباشرة، لأن أفعال الطلب تكلف كل مطالب بأن يُقَوِّم نفسه على مستوى العلاقة تقويمًا ذاتيًا، بحيث يكون هو الشخص الذى يتلقى أوامر، ويلبى طلبات، ويمتثل لمطالب؛ بإيجاز الشخص الذى يمكن أن يحدد فعله بقدر حاسم من آخر" (بايسبارت Beisbart وآخرون ١٩٧٦، ص ١٥٤، قارن أيضًا سوينكى ١٩٧٩، ص ٦٥). ولكن يمكن أن يكون تأثير كهذا عائقًا لمقصد الدعائية.

وفى نصنا المثال أيضًا لا توجد إشارات مباشرة للطلب، غير أننا نفهم بوضوح على أنه استثارة (غير مباشرة) من الباث إلى المتلقى ليقدر المنتج المعنى تقديرًا إيجابيًا (وأن يشترية). كيف يُنْجزَ هذا الفهم للنص؟ علام ترتكز فى الواقع خاصية الاستثارة التى نعزوها للنص بشكل حدسى؟

لإيضاح هذه الأسئلة لا يمكن للمرء أن يورد "عامل الاستجابة"

" Appellfaktor" بمفهوم جروسه الذى حُدِّد من خلال الشيوع المحض لورود تعبيرات مُقَوّمة وصور بلاغية. فهو ـ كما وضّح من قبل ـ ليس مؤشرًا واضحًا للوظيفة الاستجابية للنص.

إن دراسة الموقف التقويمى للباث وأشكاله التعبيرية اللغوية بالنظر إلى وثاقة صلتها بالتأشير إلى وظيفة الاستجابة لا تجيز انتقاء تعبيرات مفردة من سياق النص وإخضاعها لنظرة مستقلة؛ بل إن الأمر يتعلق بإبراز الصورة الأساسية لبسط الموضوعات (البنية الموضوعية الأساسية)، وطريقة تحقيقها/ (البنية المتحقِّقة ـ قارن حول ذلك ما سبق ص ٦١ فى الأصل)، وربط الوسائل اللغوية والبلاغية المفردة بذلك.

تتحدد البنية الموضوعية لنصنا من خلال البسط الحجاجى للموضوعات. وبالاستعانة بمقولات تولمين (انظر ما سبق المبحث ٣ ـ ٥ ـ ٣) نحصل على الوصف الآتى:

فكرة: مع فولفو المرء مستعد لكل ما هو محتمل. (١) **حجة: فولفو دائمًا** طريق السلامة. (٤) **قاعدة ختامية** (متضمنة): إذا سلكت سيارة أو شركة سيارات دائمًا طريق السلامة فالمرء مستعد لكل ما هو محتمل (حتى الأسوأ).

تدعيم: الأمان عامل حاسم (الفرصة الأعظم) فى حركة المرور (٥) ـ مع الإشارة إلى الأخطار المحدقة (٢و٣).

ومن المميز للتحقيق أن الباث لا يستخدم النموذج الحجاجي إلا على نحو شديد السطحية والظاهرية. فالنص يهدف بدرجة أقل إلى إقناع المتلقى بطريقة الحجة، أي بنهج عقلانى بصحة الفكرة. (ليست الأقوال أيضًا حَرِيةً بذلك مطلقًا، إذ إنها غير محددة من جهة المضمون إلى حد بعيد، وتظل شديدة الغموض)؛ بل إن الأمر بالنسبة للباث يتعلق بمخاطبة المتلقى عاطفيًا، وبالتأثير فى موقفه (النفسى). يتجلى ذلك الهدف ى مسلك الباث، فى "استراتيجيته فى الدعاية"، التى تتكون من ملمحين:

فى الملمح الأول يبنى الباث باقتضاب شديد موقفًا لعدم الأمان، التهديد، يدرج فيه فى الجزء (٢) أنه توجد مجموعتان من قائدى المركبات: المجموعة الأولى التى ما تزال تعد الشارع دائمًا ساحة قتال، وتسبب بذلك تهددًا، قد ذُكرت صراحةً، والمجموعة الثانية المُهَدَّدة، والتى منها المتلقى أيضًا، متضمنة. ويختار الباث تعبيرات تبدو مناسبة بناءً على معناها الضمنى (الإيجابى) [١]، تسبب لدى المتلقى إحساس الخوف، بل على الأقل إحساس عدم الأمان.

ويتعلق التعبير "يكون مستعدًا لشىء" وفق استعمال لغوى عام، بالأحرى بوقائع سلبية أكثر من وقائع إيجابية. ويثير الاسم ساحة قتال مرتبطًا بكلمة شارع تصور أشكالاً من العدوانية والأخطار، لا يستطيع المرء أن يهرب منها (ساحة بوصفها مكانًا محددًا)، ويمكن أن يصير ضحية فيها / (يستدعى المرء معارك المقاتلين، ومصارعة الثيران وما أشبه). ويشير الجزء ٣ إلى العواقب المعروفة للحادث من الخبرة اليومية. ويجيز التعبير اللغوى الشائع "تبلغ الشدة مبلغًا عظيمًا" التفكير فى المواجهات والمصادمات والحوادث.

---

(١) يُفهم تحت "المعنى الضمنى / الإيجابى" لكلمة ما فى علم الدلالة اللغوى مركب من تصورات مصاحبة، وفرعية ذات طبيعة تقويمية وعاطفية، يشكل مع المضمون المفهومى (ما يسمى المعنى الحقيقى / الذاتى) المعنى الكلى لكلمة ما .

وفى الملمح الثانى يقدم الباث مخرجًا لوضع التهديد هذا. إنه طريق السلامة التى تسلكه فوفلو. ويوظف المنتج فولفو لتجسيد تصور الأمان، ويمكن أن يقوم من خلال ذلك بوظيفة "المنقذ فى الشدة".

ويُؤدى اللفظان "آمان ، وآمنًا" دورًا محوريًا فى الإعلان، فهما يربطان المنتج ربطًا معنويًا بتصورات القيمة والهدف التى تشغل فى مجتمعنا مرتبة عليا. وبغض النظر عن أن تلك الوحدات المعجمية تصف أمرًا إيجابيًا بشكل مطلق بعض الشىء، فإنها لا تحدد قيمتها الدلالية فى واقع الأمر تحديدًا دقيقًا؛ فتظل غامضة ومتغيرة.

ويمكن أن يفهم تحت "أمان" الأمان العام (السلامة من الضرر والخطر)، والأمان التقنى أيضًا بمفهوم أضيق؛ فالكلمة يمكن أن تعنى فى الوقت نفسه اليقين والاطمئنان النفسى، وكذلك الوثوق فى الشىء[1]. ومثال التكافؤ المتعدد لمفهوم الأمان فى إعلاننا هو الضمنية الحرفية "بالأمان" (فى سطر العنوان)؛ وهى يمكن أن تفسيرًا ذاتيًا (بشكل صريح: على أساس الأمان الذى تجسده فولفو المرء مستعد لكل ما هو محتمل)، أو تفسيرًا صيغيًا (بشكل صريح: من المؤكد/ من المحقق أن المرء يكون مستعدًا لكل ما هو محتمل، حين يختار فولفو). وقد مُهِّد لمساواة قيمة الأمان بالمنتج "فولفو" فى الجزء ٤ (يشترط هذا أنه لا يوجد إلا طريق واحدة للأمان، هى الطريق التى تسلكها فولفو)، وتعثر على تعبيرها اللغوى الكامل فى الشعار الختامى: القيادة فى أمان ـ قيادة فولفو، الذى يوحى انطلاقًا من بنيته إمكانية التبادل بين: "آمنا" و "فولفو".

ويمكن أن تُلْحَق الصورة أيضًا، التى تعرض بدلاً من السيارة وحيد القرن، بالاستراتيجية الموصوفة للدعاية.

---

(١)قارن أيضًا معجم دودن للأساليب ١٩٧١، ص ٦٢٣، وكذلك المعجمات الأخرى الواردة فى الفصل الثانى، هامش ٣ للغة الألمانية المعاصرة.



وتكمن بادىء الأمر الوظيفة التواصلية للصورة بوجه عام للغاية فى إثارة انتباه المتلقى، ولما كان كل قارىء للمجلة يعرف أن "فولفو" تشير إلى ماركة سيارة فإن الصورة لا تطابق توقعه لأنه فى العادة يُصور فى إعلانات الدعاية للسيارات المنتجُ نفسه.

فإذا ما أُلحِقت الصورة بالملمح الأول لاستراتيجية الدعاية، وتعلق وحيد القرن الذى يواجه الملاحظ بقرنٍ مدبب، بالتعبيرات "**ما هو محتمل**" و"**ساحة قتال**"، فإن الصورة تفهم على أنها تجسيد للتهديد الموصوف فى النص الذى جُعِل فى صورة مزاح أو فكاهة[1].

---

(١) قارن أيضًا جروسه ١٩٧٦، ص وما بعدها. ـ أهم "إشارات الإدارة وإشارات التمنى" لأنواع النصوص المكتوبة فى رأى جروسه هى (جملة) الأمر، وجملة الاستفهام والمصدر.

/ بيد أنه يمكن أن تتعلق الصورة بالملمح الثانى لاستراتيجية الإعلان؛ فترمز إذن بصورة طريفة إلى ما هو صعب المنال، وقوة المنتج المانحة للأمان، اللذين يجعلان أيضًا قائدى المركبات الذين يعدون الشارع ساحة قتال يتنحون عن الطريق ما أمكن ذلك. ويؤيد هذا التفسير أيضًا أن اسم المنتج ألحق بوحيد القرن المعروض على نحو ما ألحق بالمنتج المصور فى إعلانات أخرى.

ويصير واضحًا بشكل إجمالى أن العرض المصور يترك مساحة محددة للتفسير، أريدت بالتأكيد، لأن كلا التفسيرين متساوق مع استراتيجية الدعاية دون شك. ونريد أن نسمى ذلك التحقيق لنموذج البسط الحجاجى - كما يظهر فى نصنا المثال - "تحقيقًا إقناعيًا"؛ فهو يميز النص بأنه طلب مباشر من الباث إلى المتلقى بقبول المنتج بوصفه مخرجًا ملائمًا من وضع خَطِر واستخلاص النتائج المناسبة للفعل من ذلك التقدير الإيجابى للمنتج. إن الدعوة إلى الشراء لا تحتاج إلى أن يعبر عنها صراحة، إذ إن المتلقى يدرك النص بناءً على طريقة العرض الخارجية، أى تشكيل النص والصورة (لما يسمى التصميم)، على أنه إعلان بشكل واضح، ويعلم من خبرته اليومية أن الإعلانات ترمى إلى هدف وهو بيع البضاعة التى عملت لها الدعاية أيضًا[(١)].

٤ - ٤ - ٤ وظيفة الالتزام

يُفْهِم الباث المتلقى أنه ملزم بإنجاوز فعل معين[(٢)]. أما الأنواع النصية التى لها وظيفة التزام فهى العقد والاتفاقية (المكتوبة)، وشهادة الضمان، والنذر والعهد، والعرض ... الخ.

---

(١)تضمين مُلَح ومواقف مؤثرة تأثيرًا فكاهيًا هو تكتيك للدعاية مألوف بوجه عام (قارن أيضًا سوبنكى١٩٧٩، ص ٦٧+).

(٢)لدى جروسه (١٩٧٦ ص ٦٥) تظهر هذه الوظيفة تحت الوظائف "المعيارية" (انظر ما سبق المبحث ٤ - ٤ - ١).

ويمكننا بوجه عام أن نضع العبارة الموضحة الآتية:

أنا (الباث) ملزم (تجاه المتلقى) بعمل الفعل س.

/ أمثلة على ذلك:

(١) من اعتراف بالأبوة:

بناءً على ذلك فأنا ملزم بدفع مائة مارك نفقة شهرية للطفل بدءًا من ١٥/ ٦/ ١٩٦٢ حتى إشعار آخر.

(٢) من قانون الموظفين فى هامبروج لـ ١٣/ ٣/ ١٩٦١

قَسَم وظيفى

"أقسم بالولاء للقانون الأساسى لألمانيا الاتحادية، ودستور هامبورج الحرة والمدينة الهنزية، والطاعة للقوانين، والأداء الدقيق لواجباتى الوظيفة، وليُعنى الله على ذلك".

(٣) من عرض لشركة:

نشكر لكم استفساركم الودى، ونعرض عليكم ما يأتى:

... العرض محدد حتى ٣٠/ ٤/ ٧٨

(٤) من بيان لضمان:

لذا نضمن لكم أنه من المستطاع فى أى وقت تسليم بضاعة طازجة فقط ذات جودة عالية ومن أفضل مواد أولية ... ونستبدل لكم هذه العلبة عند الاعتراضات الحقة، ونعوضكم بالإضافة إلى ذلك عن تكاليفكم الأصلية.

(٥) من نص عقد:

مادة ١٢ يتحمل المشترى وحده كل التكاليف المرتبطة بهذا العقد وتنفيذه.

ولكن يتحمل البائع تكاليف سداد أعباء موجودة لا يتحملها المشترى.

إعادة صياغة: نحن (المشترى والبائع بوصفنا موقعين على...) نتفق على أن المشترى ملزم بعمل س، وأن البائع ملزم بعمل ص .

(فى العقود ينظر إلى كل الموقعين على أنهم باثون).

وتعد نصوص التعهد فى العادة ذات صيغة مؤسسية قوية؛ ولذلك تتسم بتأشير مباشر إلى وظيفة النص، وذلك من خلال صياغات أدائية صراحةً مع الأفعال: وعد، التزم، أقسم، تحمل، أظهر الاستعداد لـ كفل ضمن، راهن، عرض ...الخ).

وترتبط وظيفة الالتزام ارتباطًا وثيقًا بمواقف موضوعية ذات طبيعة إرادية ومقصدية (مثل أقصد، أنوى، أخطط، أصير، أعتزم ... الخ). ويمكن للباث أن يعبر عن درجة الاستعداد من خلال تحقيق الحال التى صارت موضوعًا.

وإذا لم توجد إشارات التزام لغوية ـ نحوية (كما فى المثال النصى ٥) فإن وظيفة الالتزام تنتج عن العلاقة الموضوعية، وعن سمات نصية داخلية أخرى (على سبيل المثال عن/ عناوين معينة للنص، مثل: شهادة ضمان، قَسَم وظيفى، عقد) و/ أو سياق الفعل وسياق الموقف.

٤ ـ ٤ ـ ٥ وظيفة الاتصال

يفُهم الباث المتلقى أن الأمر يتعلق بالنسبة له بالعلاقة الشخصية (وبخاصة بإقامة اتصال شخصى والحفاظ عليه)[١].

ويُؤشر إلى الوظيفة الخاصة بالاتصال من منظور مباشر من خلال صياغات

(١) قارن أيضًا جروسه ١٩٧٦، ص ٣٢ وما بعدها.

أدائية صراحة مع أفعال أو مركبات فعلية: شكر، رجا الاعتذار، تمنى التوفيق، هنّأ، شكا، رحب، واسى، لعن ...الخ.

وترتبط نصوص الاتصال كثيرًا بدوافع اجتماعية راسخة، تتطلب التعبير عن الموقف النفسي للباث. ولذلك فإن وظيفة الاتصال مقرونة في الغالب بتلك المواقف الموضوعية (مثل: حزن، أسف، سُرَّ، سَعد ... الخ). الفيصل في ذلك ليس التعبير عن الإحساس في حد ذاته، بل وفاء الباث بتوقع اجتماعي. وترتكز على ذلك الأهمية الخاصة بالاتصال لمثل تلك الصور للإعلان عن الموقف.

أمثلة على ذلك:

(١) (بطاقة تهنئة)

أسعدنا كثيرًا تمنياتكم لنا بالتوفيق واهتمامكم بخطوبتنا، ونشكركم على ذلك جزيل الشكر.

يُشار إلى وظيفة الاتصال في النص ("الشكر") في الجزء الثاني من الجملة مباشرة من خلال صياغة أدائية صراحةً. وفي الجزء الأول يعبر الباث عن موقفه النفسي ـ العاطفي؛ وهو سعادته تجاه الحالة المتخذة موضوعًا. ولهذا الإعلان عن موقف متساوق أيضًا مع الوظيفة الإبلاغية، وظيفةٌ مكثَّفة للاتصال المعبر عنه في هذا السياق (يفترض فيها مسبقًا أن فعل المرسل إليه التقدم على الشكر كان موفقًا).

إن وظيفة الاتصال مميزة بوجه خاص بما يسمى نصوص المشاركة[١] التي يفصح فيها الباث عن مشاركته (مشاركته في الفرح، ومواساته في الحزن ... الخ) للمتلقي. أما أنواع النصوص النمطية / للمشاركة فهي رسالة (أو بطاقة)

---

(١)يعد جروسه على النقيض من ذلك وظيفة المشاركة "حالة خاصة لوظيفة الاتصال" (١٩٧٦، ص٣٣).

التهنئة ورسالة (أو بطاقة) التعزية. ولما كانت الوقائع الأساسية تتكرر على نحو مماثل أو مشابه تكونت من وجهة نظر لغوية أشكال معينة (فيما يختص ببناء الجملة واختيار الكلمة)، لها إلى حد ما خاصية قابليّة.

مثال من منشىء رسائل:

(٢) إن خبر **وفاة** زوجتكم العزيزة قد أحدث هنا فى المكتب **ذهولاً عظيمًا**، وأريد أن **أنقل** لكم بإسم كل الزملاء **مشاطرتنا الصادقة** لكم فى هذه **الخسارة الأليمة**.

(عن: ا. روجه E.Ruge كلمات ورسائل المشاركة. نيدر هاوزن ١٩٧٩، ص ١٢).

الكلمات والتعبيرات التى أُبرزت ذات خصوصية كبيرة بالنوع النصى "رسالة تعزية". وكذلك البطاقات المصورة وأشكال أخرى من رسالة الاتصال (على سبيل المثال الخطاب الغرامى) تظهر أساسًا وظيفة النص الخاصة بالاتصال[١].

٤ ـ ٤ ـ ٦ وظيفة الإعلان

يُفْهِم الباث المتلقى أن النص يُوجِد واقعًا جديدًا، وأن المنطوق (الناجح) للنص يعنى إدخال عامل معين[٢].

ونستطيع أن نوضح وظيفة الإعلان من خلال العبارة المفسرة الآتية[٣]:

أنا (الباث) أجعل بذلك "س ينظر إليه على أنه ص"[١].

(١) فى التواصل الحوارى الثنائى تؤدى هذه الوظيفة بوجه خاص أنواع المحادثات "الحديث" و"المسامرة" و"اللغو" (مثال جيد على ذلك الحديث المشهور حول الطقس بين جيران).

(٢) تعد وظيفة الإعلان فى إطار العلاقة التبادلية بين عدة أشخاص حالة خاصة (انظر حول ذلك ما سبق هامش ٧٢).

(٣) هذه الوظيفة أيضًا متضمنة فى وظائف جروسه المعيارية (فى الحقيقة فى تقسيم آخر) (١٩٧٦، ص ٥٨ وما بعدها)، انظر أيضًا ما سبق البحث ٤-٤-١.

ومن أنواع النصوص التى لها وظيفة إعلان أساسية على سبيل المثال مستند التعيين، والوصية، والحكم بالإدانة، والتوكيل، والشهادة. ويتعلق الأمر عمومًا بأنواع نصوص مرتبطة بمؤسسات اجتماعية معينة.

ويعُبَّر عن وظيفة الإعلان دائمًا تقريبًا بشكل مباشر (من خلال صياغات ثابتة، وصريحة ولها قداسة).

/ أمثلة ذلك:

(١) من وصية:

أُنصِّب أخى فرانتس س. وريثًا وحيدًا لى.

إعادة صياغة: أجعل بذلك س (= أخى فرانتس س . يعد ص (=وريثى الوحيد).

(٢) من مستند تعيين:

يُعَيَّن السيد فرانتس س المستشار العلمى.

إعادة صياغة: أنا(= الوزير) أجعل بذلك س (= السيد فرانتس س.) ص (= مستشارًا علميًا).

(٣) من شهادة:

يشهد بأن السيد فرانتس س. اشترك بصفة منتظمة فى الأنشطة التعليمية.

إعادة صياغة: أنا (= المحاضر) أجعل (من خلال فعلى هذا للشهادة) أمرًا صحيحًا (= ص) هو س (= قضية "اشتراك فرانتس س. بصفة منتظمة فى الأنشطة التعليميَّه).

(*)يتميز الفعل الأدائى بأنه يستخدم معه كلمة hierby ويستخدم المؤلف هنا الترجمة الألمانية لها hiermit. (انظر: تفصيل ذلك فى مقالة د. نحلة السابق ذكرها ص ١٦٥).

(٤) من توكيل:

أوكل بذلك السيد د/ س. فى بيع منزلى.

إعادة صياغة: أجعل بذلك (من خلال هذا النص) أن يحق لـ س . (د/ س) أن يفعل ص (= بيع المنزل).

وتوجد إلى جانب الصيغ اللغوية الصريحة عناوين معينة للنصوص بوجه خاص أيضًا (مثل: وصية، مستند، شهادة، توكيل... الخ)، تشير إلى وظيفة الإعلان.

٤-٥ حول العلاقة بين وظيفة النص وبنيته

تحليل مزود بمثال

لقد درسنا فى الفصلين الثالث والرابع النص فى إطار وجهات نظر تركيبية وتواصلية - وظيفة. وفى الواقع يمكن أن يُفرق بوضوح بين سمات وظيفيَّة وتركيبية للنص فى التحليل اللغوى، ولكن - كما وضُحَّ فى مواضع مختلفة فيما سبق - لا يُفرق بينها بعزل بعضها عن بعض كليةً. فبين وظيفة النص وبنيته على الأرجح علاقات وثيقة. ويمكن أن يقال بوجه عام إن وظيفة النص تُحدِّد بانتظام - مع معطيات موقفية ووسيطة محددة - بنيتَه، أى تشكيل النص من وجهة نحوية وموضوعية (قارن أيضًا ما سبق المبحث ٢-٣). وفى الحقيقة ما تزال العلاقات المستلزمة القائمة هنا لم تبحث بحثًا مفصلاً إلا بقدر محدود حتى يمكن أن نضع قواعد لها. ومن ثم يجب أن نقتصر، من خلال مثال نصى محدد، / على إيضاح بعض علاقات أساسية بين البنية والوظيفة.

المثال:

لنبدأ بداية جديدة!

للدكتور اريش هوبفنر

(١) سماء زرقاء، أشعة شمس مشرقة، لم يبق شيء إلا يتمشى المرء ـ على البحر أو فى الهواء الطلق!

(٢) هذه هى الفكرة الأولى دائمًا تقريبًا، حين يعرض الحديث لعيد العَنْصَرة (الخمسين). (٣) من يستطيع أن يؤاخذنا على ذلك أيضًا نحن أهل المدينة الكبرى المجهدون فى أيامنا هذه؟

II(٤) ما تزال قلة فقط تفكر فى عيد العنصرة المسيحى، ميلاد الكنيسة.

(٥) أو ما نزال نتذكر ماذا حُكي عن ذلك فى العهد الجديد؟ (٦) كيف غشيت فى القدس بعد خمسين يومًا من عيد الفصح (القيامة) روح الاثنى عشر حواريًا، وكيف خاطبوا الآلاف، وكيف فهم كثير من مستمعيهم فى الحال أيضًا، الذين جاءوا من شعوب وثقافات وأوساط لغوية شديدة الاختلاف، ما قالوا، وما أرادوا.

(٧) يمكن أن يُتحدث عن مثال تاريخ (خالد) لتواصل ناجح بين السواد الأعظم.

III (٨) التواصل يعد اليوم شعارًا أثيرًا بوجه خاص. (٩) ولكن كلما كثر الحديث عن ذلك، قل التوفيق بذلك فيما يبدو. (١٠) وسواء فى المحيط الصغير للعائلة أو بين كبير وصغير فى السن، وسواء بين مشاهدى المسرح من هامبورج أو العظماء من الشرق والغرب ـ هنالك وجد حديث، ولا يتفاهم بعضهم مع بعض، يسيء بعضهم فهم بعض أو لم يعد يتحدثون مطلقًا، إذ لا يمكن أن يشك فى العقل الإنسانى إلا قليلاً.

IV (١١) لنبدأ فى هذه الأيام، على الأقل بشكل جزئى بداية جديدة:

(١٢) لنتحدث بعضنا مع بعض، بحيث نتفاهم أيضا. (١٣) ببساطة وإخلاص وفهم كامل للآخر. (١٤) فى كل مكان حيث يحدث ذلك، ستصير قطعة صغيرة من عالمنا جزءًا صغيرًا ألطفَ وأجمل.

(عن: هامبورجر آبند بلَت عن العنصرة ١٩٨٠، ص ٢، تحت عنوان "تعليقات").

من الناحية االتواصلية ـ الوظيفة يحقق النص الوظيفة الاستثارية للنص؛ فهى يؤشر إليها بشكل مباشر (بمفهوم معيارنا الأول فى المبحث ٤ـ ٣ـ ٢ـ ٢)، وذلك من خلال ما تسمى أبنية الطلب (مع المضارع الاحتمالى والضمير الشخصى المتأخر، ضمير المتكلمين ـ عنوان، الجزء ١١ (Machen wir) والجزء ١٢ Reden wir). ويمكن أن تُوضح وظيفة الاستثارة من خلال العبارة المفسرة الآتية: يُفْهِم الباث المتلقى أنه يريد أن يحمله على أن يبدأ بداية جديدة حول تواصل مبنى على تفاهم.

ومن الناحية التركيبية تتشكل الصورة الآتية: يُثْبِت بحث بنية الإعادة أن موضوعى النص "عيدة العَنْصرَة" و"التواصل" هما حاملا الإحالة المهيمنان.

/ (٢) **عيد الخمسين (العَنْصرة)** (التعبير المرجعى١)

(٤) **عيد العنصرة المسيحى** (تكرر جزئى للتعبير المرجعى؛ علاقة دلالية: ترادف ـ لغوى داخلى).

(٤) **ميلاد الكنيسة** (وصف مطابق فى الإحالة لعيد العنصرة ـ متجاوز اللغة "خارجى").

(٥) عن ذلك (إعادة صريحة بظرف ضميرى)

(٦) **خمسون يومًا بعد الفصح (القيامة)** (تحديد زمنى لعيد العنصرة، التعبير

المكرر يتعلق بجانب جزئى للتعبير المرجعى؛ العلاقة: متجاوزة اللغة "خارجية"؛ والشكل: إعادة ضمنية)

(١١) فى **هذه الأيام** (لا تُنقل العلاقة بعيد العنصرة من خلال مبدأ الإعادة داخل النص، بل خارج النص من خلال الإحالة إلى السياق الموقفىّ، أى إلى أيام العَنْصرة؛ العلاقة: متجاورة اللغة "خارجية").

(٧) **تواصل السواد الأعظم** (التعبير المرجعى٢)

لم يستخدم المفهوم فى المعنى المألوف (نشر معلومات من خلال وسائل إعلام فنية مثل الصحافة والإاعة والتليفزيون)، بل حُوِّل المعنى تقريبًا بمعنى "تواصل العوام"، أى التواصل على أساس واسع. ويوفق الباث من خلال ذلك فى إقامة علاقة بين حاملى الإحالة "عيد العنصرة"، و"التواصل".

(٨) التواصل (مفهوم علوى لتواصل السواد الأعظم)؛ العلاقة: داخل اللغة، والشكل: إعادة صريحة)

(٩) **عن ذلك، وبذلك** (إعادة بظروف ضميرية)

(١٠) ـ (١٣) تحدث ـ لم يتفاهم ـ أساء الفهم ـ لم يعد يتحدث مطلقًا، تحدث، فَهِم، فَهْم.

لايوجد بين هذه الألفاظ والتعبيرات، ولفظ "تواصل" أية علاقة إعادة صريحة، بل تجاور دلالى محدد، أى نوع من الإعادة الضمنية (يشتمل مفهوم التواصل على المفاهيم المتماثلة للكلمة).

وكما قيل فى المبحث ٣-٤-٤-١ لا يجب أن يساوى بين حاملى الإحالة المهيمنين وموضوع أو موضوعات النص. ويراعى أيضًا لصياغة موضوع أو موضوعات نص ما ، ماذا يقال فى النص عن حاملى الإحالة. إذن نحصل على موضوعين (= فكرتين).

١ـ واقعة العَنْصرة فى الكتاب المقدس مثال على تواصل موفق على أساس واسع (الجزء ١ـ ٧)[1].

٢ـ بداية جديدة لتواصل مبنى على تفاهم أمر ضرورى (مشتمل عليه ١٢٤ ضمنيًا فى العنوان كما فى الأجزاء ١١ـ ١٣).

الموضوع الثانى هو الموضوع الرئيسى، إذ يقع فى علاقة تعليل مباشرة بوظيفة النص (مناشدة إلى بداية جديدة) (حسب مبدأ التوافق Kompatibilitätsprinzip المطروح فى المبحث ٣-٤-٤-١)؛ أما الموضوع الأول فهو موضوع فرعى؛ إذ إن له وظيفة إطار متحدث عنها (تحديد وضع الفكرة الرئيسية).

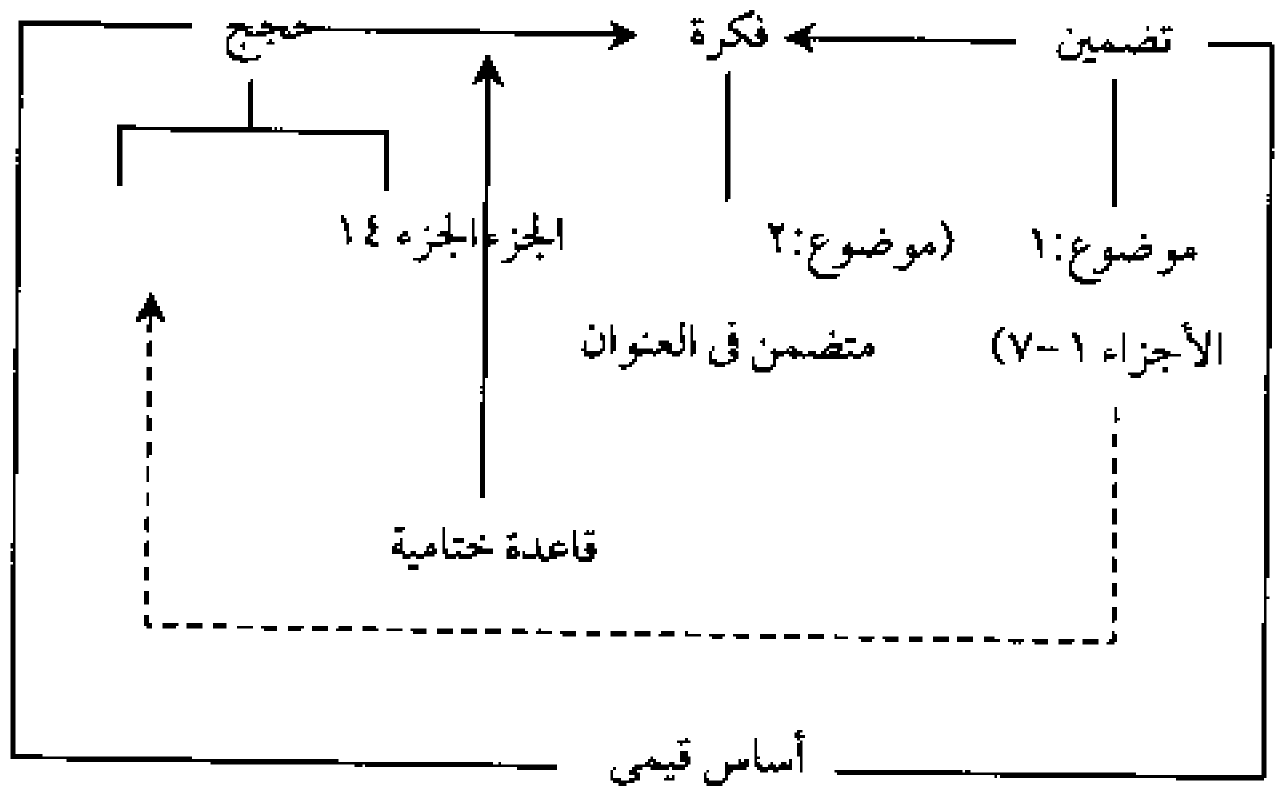
ويقع تعليل الفكرة الرئيسية (بداية جديدة أمر ضرورى) فى اتجاهين، أحدهما من خلال إشارة إلى مساوئ الموقف المعاصر (صراحة: **لأن عالمنا يتسم باختلال التواصل** ـ الجزء ٩/ ١٠)، والثانى من خلال بيان هدف الفعل (صراحةً: **وبذلك يصير عالمنا ألطف وأجمل**). هذه الحجة يدعمها على نحو محدد الموضوع الأول، إذ تقوم فيه واقعة عيد العنصرة فى الكتاب المقدس بوظيفة "شاهد" على صحة الاستبشار المتحدث عنه فى الجزء ١٤.

القاعدة الختامية متضمنة فقط، ولم يعبر عن تدعيم مطلقًا.

ويتبع الأساس القيمى بوجه خاص الاقتناعُ المدرج فى صورة إجماع بالأهمية الأساسية للفعل التواصلى المبنى على تفاهم للعلاقات التبادلية بين الأشخاص.

ويمكن أن يعرض السياق الكلى للحجاج فى شكل تخطيطى كما يأتى؛ ونرجع فى ذلك إلى نموذج الحجاج المطور فى المبحث ٣-٥-٣.

(١) فى الأجزاء من ١-٣ يمكن أن يُلاحظ موضوع آخر ("علاقتنا بعيد الخمسين "العنصرية")، ولكنه فرعى باعتبار أنه يقدم الموضوع الأول على نحو تقابلى.



/ تنشأ بين الخواص التواصلية ـ البراجماتية والتركيبية للنص علاقات حتمية جد معقدة. ونريد أن نوضح ذلك بسمتين محوريتين للنص:

ـ يحقق الباث وظيفة الاستثارة بوصفها منبهةً، أى أنه يضمنها ذاتها فى المطالب التى يطرحها معًا (= وظيفة النص).

ـ يختار الباث البسط الحجاجى للموضوعات (=بنية النص).

وتطابق هذه السمات النصية من جهة الموقف الاجتماعى بين الباث والمتلقى، الذى يمكن أن يتسم بعلاقة متناسقة. (لا يستطيع الباث ببساطة أن يطالب بمسلك معين)، وهى من جهة أخرى مقيدة بنوع الموضوع. ويحيل الموضوع (بداية جديدة لتواصل مبنى على تفاهم) إلى فعل، لا يمكن أن يحقق بنجاح إلا بتعاون تضامنى بين كل المشاركين فى التواصل (بمن فيهم الباث)[1]، ويتطلب كذلك رؤية بوصفها جهدًا شخصيًا. ويتناسب ذلك مع بسط حجاجى،

(١)يسعى الباث إلى إقامة علاقة تضامنية بالمتلقى. ويتجلى ذلك لغويًا فى أنه يضمنها سواء فى المطالب التى يطرحها أو فى النقد الذى يبديه (قارن العنوان، وكذلك الجزءين ١١و١٢ من جهة، والجزء٣و٥من جهة أخرى).

تُستخدم عند تحقيقه اللغوى وسائل إقناع أيضا (على سبيل المثال، الأسئلة البلاغية فى الجزءين ٣و٥، والصور البلاغية: بلوغ الذروة، والتوازى فى الفقرات IV و III). ويكتسب النص بذلك خاصية توكيد متزايد.

وبعد... نريد أن نناقش العلاقات الموضحة بالنص المثال على نحو مبدئى بين سمات نصية تواصلية- براجماتية وتركيبية فى الختام على مستوى أعم، حيث نوجه فى ذلك العلاقات القائمة هنا إلى الوصف اللغوى لأنواع النصوص.

٥. تحليل أنواع النصوص

٥ ـ ١ إيضاح التساؤل

/ لقد انطلقنا فى الفصل الثانى من السؤال الآتى: ما الشروط العامة التى يجب أن توجد، حتى نقدر تكوينًا لغويًا ما بأنه "نص". لقد اتضح أنه توجد إلى جانب شروط تماسك نحوية وموضوعية وظيفةٌ تواصلية بوجه خاص (وظيفة النص)، تجعل تتابعًا من علامات لغوية نصًا.

وفى علم لغة النص تُجْمَل هذه الشروط العامة ـ كما قيل من قبل ـ تحت مفهوم النصية Textualität[1]. وهكذا يجب أن تظهر فى تكوين لغوىّ سمات محددة للنصية حتى يعد نصًا.

إذن لا يعد نص ما محدد تحقيقًا لقيمة عامة "نص"، بل إنه يمثل فى الوقت نفسه نوعًا نصيًا معينًا أيضًا، أى أنه تعليق تليفزيوني أو خبر صحفيى أ و وصفة طبخ أو إعلان ـ ذلك حتى تطلق بعض أسماء لغوية يومية فقط على أنواع النصوص.

وينبغى أن تُفْهَم أنواع النصوص (نتحدث ـ هنا ـ بمعنى مماثل عن أقسام نصية أو أنماط نصية أيضًا) ابتداء بوجه عام على أنها نماذج مركبة لتواصل لغوى،

---

(١) قارن ما سبق الفصل الثانى، هامش ١٩ .

تنشأ داخل الجماعة اللغوية فى أثناء التطور التاريخى - الاجتماعى على أساس احتياجات تواصلية. ويظهر النص المعين دائمًا مثالاً لنوع نصى محدد. ويمكننا أن نقول إن إنتاجنا للنَّص وتلقِّينا النص أيضًا يقع فى إطار أنواع نصّية وبذلك تُعزى لأنواع النصوص أهمية جوهرية للواقع التواصلى.

وبذلك تطرح بالنسبة لعلم لغة النص مهمة أخرى متجاوزة إلى حد بعيد بحثًا للقيمة "النص" بوجه عام، إذ عليه ان يكشف عن أنواع النصوص الوثيقة الصلة اجتماعيًا وأن يصفها من خلال سماتها الأساسية[1]. / وفى الحقيقة يتعلق الأمر فى ذلك بمهمة بحثية لم يُشتغل بها إلا بصورة مبدئية. فحتى الآن لا توجد إلا سلسلة من مداخل جد متنوعة إلى حد ما إلى مشكلة أنواع النصوص[2]. وما يزال علم لغة النص بعيدًا للغاية عن إقامة تنميط نصى متكامل ومتوائم.

يعد علم الأجناس الأدبية الذى يرجع إلى القرن الثامن عشر (فى ألمانيا) للمجال الفرعى لما يسمى التواصل الأدبى خاصة تصنيفًا للنصوص؛ ينطلق من ثلاثة أنواع من الشعر (ما تسمى الأجناس الكبرى): الشعر الوجدانى والملحمى والدرامى، ويفرق داخل هذه المجالات على أساس سمات شكلية ومضمونية بين سلسلة من الأجناس بمفهوم أضيق "الأنواع الأدبية"، مثل: الرواية والحكاية والقصة، والحكاية الخرافية ... الخ فى مجال الملحمى؛ وأغنية،

(١) يرتبط كلا المركبين من الاستفهام بعضهما إلى بعض ارتباطًا وثيقًا، ويمكن أن يقال إن وصفا دقيقًا لنصية النصوص يشترط تنميطًا للنصوص، يمكن أن تتحد معه بوضوح تبعية أنواع نصية لنصوص معينة، إذ لا يمكن آخر الأمر أن يفرق بين سمات مميزة لأنواع النصوص من خصائص عامة، أى مشتركة بين كل أنواع النصوص إلا على ذلك الأساس (قارن جوليش/ رايله ١٩٧٥ ، ص ١٤٧؛ وامرت ١٩٧٩، ص ٢٧، وديمتر ١٩٨١، ص ٢).

(٢) مثلاً جلتس ١٩٧١؛ جوليش / رايله ١٩٧٢، وشتيجر وآخرون ١٩٧٤، جوليش / رايله ١٩٧٥، فرليش ١٩٧٥، ساندج ١٩٧٨، تسيمرمان ١٩٧٨، فرير ١٩٧٩، مرفورت ١٩٨٠، مشيجر ١٩٨٣، ايزنبرج ١٩٨٤، فرانكه ١٩٨٧، فرانكه ١٩٩١. .

وقصيدة، وأنشودة، وقصيدة غنائية وقصيدة درامية ... الخ فى مجال الوجدانى؛ ومأساة، وملهاة، وتمثيلية تعليمية، ومسرحية هزلية ... الخ فى مجال الدرامى. وفى الواقع إن علم الأجناس داخل علم الأدب موضع خلاف؛ فالتعريفات المعطاة فى الغالب ليست مقبولة عمومًا، وفى الغالب أيضًا غير صارمة، وتفتقر إلى حد بعيد إلى معايير تحديد واضحة وكذلك إلحاق نصوص معينة بالأجناس فى الغالب جد إشكالى. ولا نستطيع فى إطار هذا المدخل أن نتابع تناول ذلك(١). غير أنه من الواضح أن تنميطًا عامًا للنصوص يجب أن يضم الأجناس الأدبية. وفى الوضع الحالى للبحث لا يمكن حقًا أن يُقال شىء شديد الدقة عن ذلك. وهنا أيضًا نقتصر على النصوص غير الأدبية، ما تسمى نصوص الاستعمال(٢).

ويطرح الآن السؤال الآتى، ما السمات التى يمكن أن تعد بوجه عام محورية لتصنيف أنواع النصوص؟

فى رأى هـ. ايزنبرج إيجاد "أساس تنميط" موحد يعد شرطًا جوهريًا لبناء تنميط كاف للنص، وانتقد ايزنبرج الطرائق المقدمة حتى الآن للتفريق بين أنواع النصوص، / بأن مقولات التحليل الموضوعة أساسًا لها ما تزال غير متجانسة؛ فلم يظهر أى معيار "يمكن وفقًا له أن يؤسس الاختيار السديد للسمات فى مقابل ائتلافات أخرى عشوائية للسمات، وبرغم ذلك فهى مطبقة أيضًا"(٣).

لا يمكن بلا شك أن يُوافق على هذا النقد، غير أننا يجب أن نضيف أن أساس التنميط لا يجب أن يكون متجانسًا فقط، بل يجب فضلاً عن ذلك أن يكون مقبولاً أيضًا، أى ينبغى أن يفضى إلى تفريقات تؤيدها المعرفة الحدسية لصاحب

(١)قارن حول ذلك كِنَب Knapp ١٩٧٣، ص ٢٥٨ وما بعدها، وساندرس ١٩٧٧، ص ١٠٩ وما بعدها.

(٢)قارن ما سبق الفصل الثانى، هامش ٢١ .

(٣)ايزنبرج ١٩٨٧، ص ٥٦٥ وما بعدها (الاقتباس ص ٥٧١).

اللغة بأنواع النصوص، بل على الأقل لا تخالفها (هذه المعرفة). وإذا ابتعدت الأنواع النصية "النظرية" للعلم كثيرًا عن الأنواع النصية "الحدسية" للعالم اليومى، ينشأ خطر أن يصير البحث اللغوى فى هذا المجال غير كاف من الناحية التطبيقية.

ولذلك يجدر أن تبحث اللغة اليومية ذاتها، ما الأنواع النصية التى ترد فيها، وما المعايير التى تعد أساس أوجه التفريق اللغوية اليومية لأنواع النصوص؟ باختصار: ما السمات التى تُحدد من خلالها التصورات اللغوية اليومية لأنواع النصوص، التى تسمى المفاهيم اليومية[١]؟

هذه المفاهيم اليومية تعد منطلقًا وأساسًا مرجعيًا لعلم أنواع النصوص اللغوى. وفى الواقع يجب أن تُوَضِّح أولاً التصورات اللغوية اليومية حول أنواع النصوص - حتى يمكن بناء أساس سليم بوجه عام للتصنيف العلمى للنص - وأن تُفَسَّر المعايير الأساسية من ناحية النظرية اللغوية، أى أن يُستند على نحو منظم إلى نموذج لغوى نصىّ للوصف[٢].

ونتج عن هذه الأفكار بناء هذا الفصل. ونريد ابتداءً أن نُعْنَى بمفهوم نوع النص، وذلك من ناحية اللغة اليومية، واللسانية أيضًا. ينبغى إذن - على أساس تفريقنا اللغوى النظرى بين وظيفة النص وبنيته - أن تُطَوَّر معايير أساسية للحد بين أنواع النصوص وأن تُوَضَّح ببعض أمثلة.

٢.٥ أنواع النصوص فى اللغة اليومية

تتجلى الأهمية الأساسية لأنواع النصوص بالنسبة لواقعنا التواصلى فى أن العالم اليومى يتضمن تسميات كثيرة لأنواع النصوص.

---

(١) قارن حول ذلك ديمتر ١٩٨١؛ وجوليش ١٩٨٦ .

(٢) قارن أيضًا ديمتر ١٩٨١، ص ٣١ .

وقدأحصى م. ديمتر M.Dimter فى (كتاب) دودن للكتابة الصحيحة لسنة ١٩٧٣ أكثر من ١٦٠٠ اسم لأنواع النصوص؛ غير أنه يمكن أن يعد منها حوالى ٥٠٠ اسم "فقط" أساسية. أما الأسماء الباقية فيمكن أن تُوَصَف بأنها "مشتقة"؛ فالأمر يتعلق فى ذلك غالبًا بألفاظ مركبة Komposita. فعلى سبيل المثال ينظر إلى الاسم "تقرير" على أنه أساسى بينما تعد المركبات: تقرير عن رحلة، وتقرير عن بحث، وتقرير عن نتيجة ... الخ اشتقاقات[1].

إن تصنيف اللغة اليومية للنص - كما ذكر ديمتر - ليس واسعًا للغاية فحسب، بل متعدد الجوانب إلى حد ما أيضًا؛ فهو يجيز أوجه فرق شديد الدقة (قارن مثلاً: تقرير عن الطقس ، تقرير عن طقس مناسب للسفر، تقرير عن طقس مناسب للطيران الشرعى) [*]، ويمكن أن يُوَسَّع باستمرار حين تتطلب احتياجات تواصلية ذلك (مثل: نص فيديو (يعرض بجهاز الفيديو)، ونص تليفزيونى (يُعرَض على شاشة التليفزيون)[3].

وفيما يتعلق بالسمات الجوهرية التى تعد أساس مفاهيم أنواع النصوص فى اللغة اليومية، يصل ديمتر إلى النتيجة الآتية وهى أن المعايير الحاسمة تتبع فى الأساس ثلاث مقولات: موقف التواصل، ووظيفة النص ومضمون النص[4]. ونريد أن نوضح هذه المقولات ببعض أمثلة:

- حين ننعم النظر فى مفاهيم لأنواع نصية مثل: إرشاد، وطلب، وتعليق، وخبر وعهد ... الخ فإننا ندرك أنها لا تُعَرَّف بشكل حاسم إلا من خلال الوظيفة التواصلية للنص؛ وظيفة النص.

---

(١)قارن ديمتر ١٩٨١، ص ٣٣.

(*)فى الأصل Wetterbericht، وReisewetterricht، وSegelflugwetterbericht على التوالى، وتعامل هذ المركبات المترجمة إلى تركيب ممتد فى العربية معاملة كلمة واحدة مركبة فى اللغة الألمانية.

(٣)قارن ديمتر ١٩٨١، ص ٣٠ .

(٤)قارن ديمتر ١٩٨١، ص ٣٠ .

فالباث يريد إما أن يحمل المتلقى على أن يعمل فعلاً معينًا (إرشاد طلب) أو أن يحرز موقفًا معينًا (تعليق)، وإما أن يبلغ المتلقى بحال معينة، واقعة محددة (خبر) أو يؤشر إلى قبول التزام (عهد).

ـ تعدُّسمات مقبولة "مضمون النص" مميزة لأسماء أنواع النصوص الآتية:

خبر عن طقس، وخبر عن رحلة، وخبر رياضى، ووثيقة زواج، وإعلان عن زواج، ووصفة طبخ، وروشتة الطبيب ... الخ. هذه الأسماء تجعل فى جزئها الأول مجالاً معينًا للحياة أو مضمون العالم موضوعًا؛ ثم يقدم الجزء الثانى وظيفة النص [لاحظ هذا فى الألمانية، ولكن الأمر فى العربية عكس ذلك]. ويبين تحليل أكثر دقة للمفاهيم أن الجزء الثانى يهيمن على الجزء الأول، أى الموضوع (طقس، طبيب، رياضة، زواج، رحلة... الخ) يستخدم فقط لتخصيص أو لتقسيم فرعى لنوع النص المحدد لوظيفة النص ("خبر، وثيقة، إعلان ... الخ). ولذا للنوعين النصيين مثلاً: "إعلان عن زواج" و"إعلان عن ميلاد" موضوعات مختلفة، غير أن الفيصل هو أن كليهما يتبع فئة الإعلانات / التى تكمن وظيفتها التواصلية فى جعل واقعة معينة معروفة لمحيط أكبر من الأشخاص.

وعلى النقيض من ذلك يتبع النوعان النصيان "إعلان عن ميلاد وشهادة ميلاد" برغم اشتراكهما فى الموضوع "ميلاد"، فئات "أقسامًا" مختلفة، لأن الشهادة بوصفها مستندًا رسميًا للميلاد لها دلالة فعل مغايرة تمامًا، ومن ثم قيمة وظيفيّة اجتماعية مغايرة تمامًا للإعلان أيضًا.

ـ أخيرًا توجد كذلك سلسلة كاملة من الأسماء التى تستند أساسًا إلى موقف التواصل. ويسرى ذلك على سبيل المثال على الحديث وجهًا لوجه، رسالة، محادثة تليفزيونية، إرسال إذاعى، إرسال تليفزيونى، برقية، مقال صحفى، كتاب ... الخ.

ولذا فإن السمة الموقفية، على سبيل المثال، مناسبة للاتصال الزمانى والمكانى بين شركاء التواصل لكى يفرق بين الحديث المباشر (مباشر من جهتى الزمان والمكان) والمحادثة التليفزيونية (مباشرة من جهة الزمان، منفصلة من جهة المكان)، والرسالة (منفصلة من جهتى الزمان والمكان) بعضها عن بعض. وتنتج معايير أخرى عن وسائل تقنية موضوعة لنقل النص (الراديو، والتليفزيون والتليفون ... الخ)(*). ومما يميز الألفاظ المحددة موقفيًا أو وسائليًا بصورة محضة أنها من أجل تحديد أنواع النصوص ترتبط فى الغلب بأوصاف وظيفية أو مضمونة، مثل: خبر تليفزيونى، وخبر صحفى، وإنذار بالدفع، وخطاب اتصال، وبطاقة مصورة، وبرقية تحية.

ومن اللافت النظر أن أسماء أنواع النصوص فى اللغة اليومية لا تشير إلى سمات محض لغوية (نحوية تقريبًا). ولكن لا يمكن أن يُستنتج من ذلك أن التشكيل اللغوى بمفهوم أضيق ربما ليست له أهمية فى تحديد أنواع النصوص فى اللغة اليومية، بل يمكن أن يتبين من خلال اختيارات أن الأبنية النحوية تؤدى دورًا كبيرًا فى إلحاق نصوص بنوع نصى(٢). أما أن هذه الأهمية لا تنعكس فى أوصاف أنواع النصوص فربما يمكن تعليله فى أنه يُعزى للأشكال والأبنية اللغوية فى الواقع التواصلى أكثر من دور "معاون"، وهكذا تقوم البنية اللغوية بوظيفة البنية الحاملة للمضامين والأهداف التواصلية.

(*) فى الحقيقة أميل إلى ترجمة هذه الوسائل إلى (المذاياع والمرناة والهاتف) ولكن للأسف الشديد أغلب الكتب المؤلفة حول وسائل الأعلام تستعمل للألفاظ المعرَّبة ولكن بدرجات مختلفة فى الشيوع. لا أرى غضاضة فى استعمال اللفظ المعرّب إلى جانب اللفظ الذى تُقرُّه المجامع اللغوية.

(٢) عرض ديمتر ١٩٨١ (ص ٣٣وص ١٢٣ وما بعدها) نصوصًا إبلاغية تحل فيها محل كل الوحدات الحاملة للمعنى وحدات لها أهمية فى الألمانية. ويتبين من ذلك أنه بالنسبة لإلحاق النصوص بنوع نصى مناسب كانت البنية النحوية فى العاد كافية (على الأقل مع أنواع النصوص التى صارت معيارية بشكل أقوى من الناحية التركيبية مثل: اعلان وفاة، تقرير عن طقس، وصيّة، قاعدة لعب، وصفة طبخ وعقد.. الخ).

نحن نلاحظ أن أنواع النصوص فى اللغة اليومية تتحدد أساسًا من خلال سمات وظيفة، وموضوعية، وموقفية. ويعُزى لوظيفة النص فى ذلك وظيفة مهيمنة باعتبار أنها تقرر كيفية التواصل. فليس للبناء الموضوعى Thematik إلا أهمية تخصيص(1)؛ إذ يقدم الموقف الإطار الذى يتحقق فيه الاحتكاك التواصلى.

٣.٥ المفهوم اللغوى لأنواع النصوص

لم تعالج إشكالية أنواع النصوص داخل علم لغة النص بمثل شدة عمق وصف شروط النصية. ففى الحقيقة توجد ـ كما أشير من قبل ـ سلسلة مداخل أولية إلى نظرية لأنواع النصوص؛ غير أنها ما تزال لم تجرب على أساس أكثر اتساعًا للمادة؛ كما أنه لم توصف إلى الآن وصفًا دقيقًا إلا أنواع نصِّيَّة قليلة (مثل: تقرير عن طقس، وصفة طبخ، خبر، طالع، نكتة، إعلان عن (رغبة فى الاتصال، وأنواع الرسائل) (2). وإذا ما حاول المرء تنظيم المداخل اللغوية إلى نظرية أنواع النصوص من ناحية النظرية اللغوية فإن النتيجة تطابق على وجه التقريب الصورة التى أشرنا إليها إجمالاً فى الفصل الثانى عن وضع البحث فى علم لغة النص.

وفى علم أنواع النصوص اللغوى يمكن أن يفرق ـ تقريبًا ـ بين اتجاهين بحثيين رئيسيين(3):

---

(1) قارن أيضًا ديمتر ١٩٨١، ص ١٠٣.

(2) على سبيل المثال ساندج ١٩٧٠، ١٩٧٨ (تقرير عن الطقس، وصفة الطبخ، والطالع)؛ وشتولت Stolt ١٩٧٦ (إعلان عن زواج)؛ ومرفورت Marfurt ١٩٧٧و١٩٨٧ والنكتة، وإعلان عن (رغبة فى) الاتصال)، وارمرت ١٩٧٩ (أنواع الرسائل)، ولوجر Lüger (أنواع صحفية للنصوص)، وبوخر Bucher ١٩٨٦ (الاتصال الصحفى) وبوخر ١٩٩١ (أنواع نصوص وسائل الإعلام) وشولت Schuldt ١٩٩٢ (نشرة الأدوية)؛ كلاين Klein ١٩٩١ (أنواع نصوص سياسية) وغيرها ـ قارن أيضًا آدمزيك Adamzik ١٩٩٥.

(3) قارن حول ذلك بالتفصيل العرض الموجز، الإجمالى لارمرت ١٩٧٩، ص ٢٧ وما بعدها.

(أ) النهج البحثي المؤسس على نظام اللغة، الذي يحاول بناءً على سمات تركيبية، أي سمات نحوية في المقام الأول (مثل: صور الربط الضميري للجمل، واستعمال عناصر إشارية، وتوزيع الأزمنة... الخ) وصف أنواع النصوص وحدها[١]،

(ب) النهج البحثي الذي يوجهه التواصل الذي يستهدف حل إشكالية أنواع النصوص انطلاقًا من جوانب موقفية وتواصلية ـ وظيفية[٢].

/ ولم تُوفق البحوث التركيبية المؤسسة على النظام اللغوي في تأسيس أوجه تفريق أكثر دقة مميزة لأنواع النصوص. فأوجه التمييز المقترحة بناءً على سمات نحوية، على سبيل المثال في نصوص عملية وغير عملية، لن تبلغ مدى بعيدًا. وعلى العكس من ذلك يمكن أن يُحكم على النهج البحثي الذي توجهه نظرية التواصل أو الفعل بأنه نهج واعد بالنجاح إلى حد بعيد؛ وهو يناسب بقدر بالغ المدى أيضًا معرفتنا الحدسية (اللغوية ـ اليومية) بأنواع النصوص[٣].

ويمكننا من منظور نظرية الفعل أن ننطلق من التعريف الآتي لأنواع النصوص:

أنواع النصوص هي نماذج سائدة عرفيًا لأفعال لغوية مركبة، ويمكن أن تُوصف بأنها روابط نمطية في كل منها بين سمات سياقية (موقفية)، ووظيفيّة ـ تواصلية، وتركيبية (نحوية ـ موضوعية)، وقد تطورت من الناحية التاريخية في الجماعة اللغوية، وتتبع المعرفة اللغوية لأصحاب اللغة؛ ولها تأثير معياري، غير

---

(١) على سبيل المثال هارفج ١٩٨٦، ١٩٦٨أ، ١٩٦٨ب، فاينريش ١٩٧٢ وغيرها.

(٢) على سبيل المثال جلنتس ١٩٧١؛ وشتيجر وآخرون ١٩٧٤، وجولبش / ريبله ١٩٧٥؛ وجروسه ١٩٧٦، وساندج ١٩٧٨؛ وارمرت ١٩٧٩ وآخرون.

(٣) حول العلاقة بين أسلوب عرفي ومجالات تصرف فردية من خلال مثال التعليق السياسي؛ قارن ساندج ١٩٧٨، ص ١٥٦ وما بعدها.

أنها تسير فى الوقت نفسه التعامل التواصلى بأن تقدم للمتوصلين بدرجة أكثر أو أقل توجيهات محكمة لإنتاج النصوص وتلقيها.

وبينما تظهر أنواع نصية صُيُرت باللغة المعيارية مثل: تقرير عن الطقس، ووصفة طبخ، وعقد، وإعلان عن وفاة، ووصية، حتى داخل التشكيل اللغوية، كأنها قد سبقت صياغتها إلى حد بعيد، يوجد فى أنواع نصية أخرى مثل: إعلان الدعاية، والتعليق الصحفى، والنص العلمى المبسط ... الخ - بلا شك إمكانات متباينة للأداء ولا سيما من الناحية النحوية. وفى الواقع لا يدور الأمر فى ذلك حول مجالات تصرف للتشكيل الفردى للنص فحسب؛ بل تظهر هذه الأنواع النصية فى صياغات أو بدائل نمطية مختلفة، صارت كذلك عرفية، ويمكن أن توصف بأنها فرعية للأنواع النصية السابق ذكرها[1].

وبسبب الوضع المعرفى فى مجال لسانيات أنواع النصوص الذى ما يزال ناقصًا جدًا ليس من الممكن مع كل نص معيّن أن يفصل بدقة بين سائر الشروط (العامة) للنصيّة المميّزة للنوع النصي المعْنى من جهةٍ وبخواص الفردية (المميزة للمؤلف) من جهة أخرى. المقدمة فيما يأتى إطارَ توجيه أولى فقط لتحليلات مميزة لأنواع النصوص.

٤.٥ معايير التمييز

٥ ـ ٤ ـ ١ وظيفة النص بوصفها معيارًا أساسيًا

على أساس مفهوم أنواع النصوص المحدد فيما سبق بطابع نظرية الفعل نعد وظيفة النص معيارًا أساسيًا للتمييز بين أنواع النصوص[2]. ويبدو هذا المعيار ـ

---

(١) حول العلاقة بين أسلوب عرفى ومجالات تصرف فرديَّة مزخلال مثال التعليق السياسى. قارن ساندج ١٩٧٨ ـ ص: ١٥٦ أو ما بعدها..

(٢) قارن أيضًا برينكر ١٩٨٣، ص ١٤٤ وما بعدها ـ يرتبط النهج المطور فى هذا الجزء حول وظيفة النص برولف (Rolf) ١٩٩٣، الذى حاول بناء تصنيف شامل لأنواع نصوص الاستعمال على معيار وظيفة النص.

من ناحية النظرية اللغوية ـ معللاً تعليلاً كافيًا، ويُحَدِّد أيضًا إلى حد كبير تصنيفنا اللغوى اليومى للنص[1].

ويؤدى تطبيقه إلى التفريق بين الأقسام النصية الخمسة الآتية:

ـ نصوص إبلاغية (خبر، تقرير، كتاب متخصص، نقد ...)

ـ نصوص استجابة (إعلان دعاية، تعليق، قانون، طلب...)

ـ نصوص التزام (عقد، شهادة ضمان، عهد...)

ـ نصوص اتصال (شكر، خطاب تعزية، بطاقة مصورة ...)

ـ نصوص إعلان (وصية، مستند تعيين...)

بيد أن الأقسام المحددة بمعيار وظيفة النص ما تزال كبيرة إلى حد بعيد؛ ويمكن أن تفسر من جانب التمييز اللغوى اليومى لأنواع النصوص بأنها أقسام أنواع النصوص[2]. ويمكن الوصول إلى تقريب لأنواع النصوص (بمفهوم أضيق) من خلال إجراء تفريق آخر (إلى أقسام فرعية) داخل هذه الأقسام الكبرى. فما المعايير التى يمكن إذن أن تستخدم للتصنيف الفرعى دون أن نُخِل بمطلب التجانس Homogenitätsforderung (انظر ما سبق المبحث ٥ ـ ١)؟

يمكن فى الواقع أن تُشتق من نهجنا فى الوصف مجموعتان من المعايير، ترتبطان بالمعيار الأساسى "وظيفة النص" ارتباطًا وثيقًا، وقد سبقت مناقشتها إلى حد ما.

(١) حسب ديمتر (١٩٨١، ص ١١٦) يتضمن ما يزيد على ٨٠٪ من مفاهيم أنواع النصوص اللغوية اليومية المدروسة "معلومات عن وظيفة النص".

(٢) يفرق جوليش/ رايبله أيضًا (١٩٧٥، ص ١٦٩) بين قسم من الأنواع النصية (مثل: القص الأدبى)، وأنواع النصوص (مثل: الرواية والقصة، والقصة الخرافية)، فى الواقع بناءً على معايير أخرى. ـ ويتحدث جروسه (١٩٧٦، ص ١١٥) عن "قسم نصى" (كل الأمثلة النصية التى تهيمن فيها وظيفة").

إن الأمر يتعلق فى ذلك بسمات سياقية (موقفية) من جهة، وبسمات نحوية، وبخاصة موضوعية من جهة أخرى.

وبمساعدة هذه المعايير يمكن أيضًا فصل أنواع نصية تُلحق بناءً على وظيفتها التواصلية الأساسية بقسم نصي واحد (على سبيل المثال: الأنواع النصية الاستجابية "إعلان دعاية" و "وصفة الطبيب") بعضها عن بعض.

٥ ـ ٤ ـ ٢ معاني سياقية

إن النصوص ـ كما قد أُكد من قبل مرارًا ـ متضمنة دائمًا فى مواقف تواصل يمكن حدها؛ فثمة عوامل موقفية تؤثر بشكل جوهرى فى تشكيل بنية النص. وعلى علم أنواع النصوص أيضًا أن يضع هذه العلاقة فى الاعتبار، وأن تستند أنواع النصوص إلى أنماط من مواقف التواصل. وفى الواقع ما يزال هذا المجال لم يدرس درسًا مفصلاً نوعًا ما؛ وما نزال لا نستطيع أيضًا أن نرجع إلى تنميط معمق للمواقف Situationstypologie.

ولذلك يجب أن نقتصر فى مستوى الوصف الموقفى على مقولتى التحليل "شكل التواصل" و " ومجال الفعل"[(١)].

(أ) حول مفهوم شكل التواصل

يُحدد موقف التواصل تحديدًا حاسمًا من خلال الوسيلة Medium التى تستخدم لأيصال النصوص.

ويمكننا فى الأساس أن نفرق بين خمس وسائل، وهى: التواصل وجهًا لوجه، والتليفون، والإذاعة والتليفزيون والكتابة[(٢)]. وتتسم كل هذه الوسائل

(١) المقصود بذلك: Handlungsbereich و Kommunikationsform على التوالى.

(٢) قارن أيضًا فيبر Weber ١٩٨٢، ص وما بعدها.

بمعطيات مميزة لموقف التواصل؛ ويتحدد من خلال ذلك التجاوب التواصلى بين شركاء الاتصال.

فبينما يميز التواصل وجهًا لوجه على سبيل المثال اتجاه تواصل حوارى ثنائى (kR) واحتكاك مباشر من جهتين زمانية ومكانية (KO) بين المتواصلين، وكذلك اللغةُ المنطوقة (S)، فإنه يرتبط بوسيلة "الكتابة" فى الغالب اتجاه تواصل حوارى فردى "ذاتى"، وانفصال زمانى ومكانى بين شركاء التواصل، وكذلك اللغة المكتوبة.

/ وهكذا تُعَلِّل السمات الموقفية الخاصة للوسائل المفردة أنواعًا أو أشكالاً مختلفة للتواصل[1]. أهمها:

ـ الحديث المباشر (وجهًا لوجه)

اتجاه التواصل: حوارى ثنائى ـ الاحتكاك: سمعى وبصرى؛ مباشر زمانيًا ومكانيًا ـ اللغة: منطوقة.

ـ المحادثة التليفونية

اتجاه التواصل: حوارى ثنائى ـ الاحتكاك: سمعى، مباشر زمانيًا، منفصل مكانيًا ـ اللغة: منطوقة.

ـ إرسال إذاعى

اتجاه التواصل: حوارى فردى ـ الاحتكاك: ـ سمعى، مباشر زمانيًا (مع أوجه

(*) المقصود بهذه الرموز: KR= unmittelbarer Kommunikationsrichtung
KO = Kontakt. و S -gesperochen Sprache

(١) حول مفهوم شكل التواصل، قارن ارمرت ١٩٧٩، ص ٥٩ وما بعدها. (مع نظرة عامة مفصلة حول الفروق وأوجه الاتفاق بين أشكال تواصل مختلفة).

الإرسال على الهواء) أو منفصل (مع التسجيلات) منفصل مكانيًا ـ اللغة: منطوقة.

ـ إرسال تليفزيونى

اتجاه التواصل: حوارى فردى ـ الاحتكاك: سمعى وبصرى، مباشر زمانيًا أو منفصل (مثل الإرسال الإذاعى)، منفصل مكانيًا ـ اللغة: منطوقة (ومكتوبة).

ـ رسالة

اتجاه التواصل: حوارى فردى[1] ـ الاحتكاك: منفصل زمانيا ومكانيًا ـ اللغة: مكتوبة.

مقالة صحفية / كتاب

ومما يميز هذه الأشكال من التواصل أنها لم تُعَرَّف من خلال سمات موقفية أو وسيلية فحسب، أى أنها تُحَدَّد كذلك من ناحية تواصلية ـ وظيفية.

ونستطيع أن نوضح ذلك توضيحًا لا بأس به بمثال لشكل من أشكال التواصل، وهو "الرسالة". ونفرق هنا على سبيل المثال بين رسائل استثارية (إنذار بالدفع، ورسالة التماس، ورسالة مفتوحة، ومنشور أسقفى ... الخ)، ورسائل إبلاغية (رسالة تجارية، / وأشكال مختلفة من الرسالة الخاصة بالإخبار،

(١) لا نعد الرسالة شكلاً من أشكال التواصل الحوراى الثنائى أساسًا، وإن كان تبادل الاتجاه ممكنًا أيضا بصفة أساسية (رسالة ـ رسالة مجيبة). وخلافًا لإسهام المتكلمين فى المحادثة فإن الرسائل المفردة فى تبادل رسائلى هى دائمًا نصوص فردية تتعلق بعضها ببعض، بل تعرض من ناحية لغوية وتواصلية وحدات مستقلة بذاتها، وعلى النقيض من ذلك يعُد ارمرت الرسالة شكلاً غير مُعَلَّم (محايد) من جانب اتجاه التواصل، إذ إن التواصل الرسائلى ـ بشكل مؤكد ـ واقعى فى جزء كبير منه، ومن المحتمل دائمًا أن يكون حوارًا ثنائيًا، ولكنه يمكن كذلك أن يكون حوارًا فرديًا أيضًا (١٩٧٩، ص ٦٢).

بل الرسائل الأدبية أيضًا)، ورسائل الاتصال (رسالة التهنئة، ورسالة التعزية، والرسالة الغرامية... الخ).

وهكذا فأشكال التواصل متعددة الوظائف[١]، بينما تكون أنواع النصوص حسب تعريفنا مرتبطة دائمًا بوظيفة تواصلية معينة (مهيمنة) (وظيفة النص).

أما إلى أي مدى تحدد أشكال التواصل بنية النص فيمكن أن يتضح على سبيل المثال من خلال مقارنة بإعلان إعلامي وإذاعي وتليفزيوني وبملصق أو مقارنة بمحادثة استشارية واستشارة تليفونية ومستشار مؤثر.

ولذلك من المفيد إجراء تفريق بين أنواع النصوص في إطار أشكال التواصل.

(ب) حول مفهوم مجال الفعل

تُلحق مواقف التواصل التي تشكل الإطار لأنواع النصوص بمجالات اجتماعية معينة، تصلح لكل منها معايير مميزة للفعل والتقويم. تلك المجالات هي على سبيل المثال العالم اليومي "العادي"، وعالم العلم، وعالم القانون، وعالم الفن، وعالم الدين[٢]. وفي الواقع يجب علينا من الناحية المضمونية أن نستمر في التمييز بينها (وبخاصة بالنظر إلى القواعد ومعايير اجتماعية تعد أساسية لكل منها)؛ غير أن ذلك ما يزال مع الوضع الحالي للبحث في هذا المجال صعب الإمكان.

ولذلك لا نريد أن نحدد المجالات تحديدًا مضمونيًا، بل نريد أن نُحرِّك نوع

---

(١)المصطلح نقلاً عن بلكه (١٩٧٣، ١٤٢) الذي يتحدث عن تعدد وظائف الرسالة "Multifunktionalität"

(٢)قارن أيضًا "أنماط علميات التواصل" لدى جوليش / رايبله ١٩٧٥، ص ١٥٢.

علاقة الأدوار بين شركاء التواصل[1] إلى الصدارة، وأن نفرق بين مجال خاص للفعل، ومجال رسمي، ومجال علنى[2]. ومما يميز المجال الخاص أن الباث والمتلقى يتواصلان بعضهما ببعض فى أدوار خاصة، أى بوصفها شخصين غير رسميين (بوصفهما فردين من أفراد عائلة، صديقين ... الخ).

/ وفى المجال الرسمي يتواجه المتواصلون فى وظيفة (دور) رسمي، أى بوصفهم شركاء فى تجارة، وشركات، ومصالح، أى فى الأساس بوصفهم موظفين، وبوصفها مؤسسات. ولقواعد السلوك والتعامل القائمة فى المجال الرسمى درجة من الالتزام أعلى بكثير مما فى المجال الخاص.

ويمكن أن يدرج تحت "رسمى" السمة التى سبقت مناقشتها وهى "ملزِم bindend" (قارن ما سبق ص ١٠٣ فى الأصل)، التى تعد داخل المقولة الموقفية "مجال الفعل" سمة تمييز مهمة لأنواع النصوص.

ويمكن أن تعد إشارة إلى ذلك الأسماء المتباينة التى توجد فى اللغة اليومية، على سبيل المثال فى مجال النصوص التى وظيفتها الأساسية الاستجابة بالنسبة لنصوص ملزِمة، ونصوص غير ملزِمة (قارن مثلاً: توجيه، أمر، طلب، قانون فى مقابل استرشاد، اقتراح، إرشاد .... الخ).

ويقع المجال العلنى فى طرف مضاد مع المجال الخاص، ويمكن أن يتداخل مع المجال الرسمى (مثلاً فى القوانين، وقرارات المحكمة ... الخ). ونحن نربط

---

(١) يُفهَم تحت "دور" فى العلوم الاجتماعية "مركب من توقعات السلوك" التى لها خاصية معيارية. ويرتبط كل دور بموقع اجتماعى معين (قارن حول ذلك درايتسل Dreitzel ١٩٧٢، ص ٩٥ وما بعدها). ويعد أمثلة لأدوار اجتماعية: طفل، ومريض، وولدان، وراعٍ وجندى، ولاعب كرة قدم، وزوج، وجار ... الخ.

(٢) قارن حول ذلك ارمرت ١٩٧٩، ص٧٥، الذى يفرق فى الواقع بين مجال خاص للفعل ومجال رسمى للفعل فقط.

مصطلح "علنى" بوجه خاص بوسائل الاتصال ال•جماهيرى مثل الصحافة والإذاعة، والتليفزيون.

ومن المؤكد أن التمييز بين مجالات الفعل فى المقولات "خاص"، و "رسمى"، و"علنى" ما يزال جد تقريبى، غير أنه له أهمية كبيرة فى تحديد أنواع النصوص من حيث إنها قد شكلت نماذج لغوية وتواصلية مميزة للمجال (إلى حد صياغات نمطية مفردة). ولذا توجد أنواع نصية مميزة بوجه خاص لهذة المجالات، مثل: البطاقات المصورة، وأشكال مختلفة للرسالة الخاصة للمجال الخاص للفعل، وقوانين وأحكام وأوامر إدارية... الخ للمجال الرسمى، وأخبار، وتعليقات، وإعلانات ... الخ للمجال العلنى.

أما أن مجالات الفعل تؤثر كذلك فى تشكيل بنية النص إلى حد كبير فيصير واضحًا حين يستحضر المرء فى ذهنه الفروق الضخمة فى التشكيل اللغوى وتشكيل موضوعات الرسائل الخاصة من جهة، والتراسل التجارى أو الإدارى من جهة أخرى.

أمثلة على ذلك:

(١) نوع النص: رسالة غرامية (قطعة من رسالة جوته إلى كريستيانا فولبيوس فى ١٠/ ٩/ ١٧٩٢)؛ مجال الفعل: "خاص" (المتلقى خليلة ـ الخطاب بـ "أنتِ"): فلْتبقِ علىّ حبيبًا! لأنى أحيانًا فى داخلى غيور، ويراودنى تصور أنه يمكن أن يحظى آخر بإعجابك، لأنى أجد رجالاً كثيرين أجمل وألطف منى أنا (نفسى)، ولكن يجب عليك ألا ترى ذلك، بل/ عليك أن تُعدنى أفضلهم، لأنى أحببتك بشكل مخيف للغاية، ولم أُعجب بأحد سواك، أحلم بك كثيرًا، على أية حال (ذلك) دليل مضطرب، وإن كان دائمًا، على أننا عاشقان. وياليت ذلك (العشق) يدوم!

(من: رسائل جوته. الجزء الثانى، هامبورج ١٩٦٤، ص ١٥٤)

(٢) نوع النص خطاب تجارى (بمعنى أدق: إنذار بالدفع مع إشارة إلى طريق التقاضى): مجال الفعل: "رسمى".

فى الأيام القادمة نريد أن نقوم بإقامتنا فى الخارج المخطط لها. ولذلك نتوقع تحويلكم حتى موعد أقصاه ١٠/ ١٢. ولكننا متأكدون أن الأمر لن يصل إلى ذلك الحد.

عن كتاب: ب لوبرز B.Lubbers: رسائل شخصية وتجارية فى الحياة الخاصة، الطبعة الخامسة، لانزبرج ١٩٨٢، ص ٢٣٥).

٥ـ ٤ـ ٣ معايير تركيبية

من الناحية التركيبية نعد المقولات الموضوعية بخاصة "موضوع النص"، و"شكل بسط الموضوعات" أساسية للتمييز بين أنواع النصوص، ونريد أن نوضح ذلك بإيجاز.

المعيار ١: نوع موضوع النص

. حين نتحدث عن نوع موضوع النص فإننا لا نتفكر عند ذلك فى سرد كل الموضوعات الممكنة فى إطار نوع النص. ذلك التقييد يجيء بناءً على ذلك إدارك "العالم الكلى للتواصل فى مجتمع ما فى معجم للموضوعات[(١)]". ولكن ذلك ليس من الممكن إنجازه ولا هو بضرورى. ويكفى تقديم قيود موضوعية محددة. أما كيف يمكن أن تصاغ هذه القيود بالتفصيل فمن الواجب فى الحقيقة أن يبحث أيضًا. (قارن حول ذلك الإشارات فى المبحث ٣ ـ ٥). ونريد فى هذا الموضع أن نشير إلى جانبين عامين فقط، استخدمهما ك. ارمرت K. Ermert

(١) ارمرت ١٩٧٩، ص ٨٢.

ونستطيع بعد ذلك فى مجال البسط الوصفى للموضوعات أن نفرق بين تحقيق "مؤكد للموضوع" وتحقيق "مؤكد للرأى" مثل (مثل: خبر صحفى فى مقابل نقد لكتاب) أو أن نفصل فى مجال البسط الحجاجى للموضوعات بين شكل "إقناعى ـ كلاميًا" وشكل "إقناعى ـ عقليًا" لتحقيق النموذج بعضه عن بعض (مثل: إعلان للدعاية فى مقابل تعليق صحفى) [1]. ولما كان تحقيق الأشكال اليومية يتحدد أساسًا بين عوامل تواصلية ـ وظيفيّة وعوامل موقفية فإن مقولة التحليل "شكل التحقيق" مناسبة على نحو خاص لربط الجوانب التركيبية، والجوانب التواصلية ـ البراجماتية للتحليل اللغوى للنص.

وعلينا هنا أن نكتفى بهذه الاشارات...

للتمييز الموضوعى لأنواع الرسائل[1]، ولكنهما ربما لهما أهمية للحد بين أنواع النصوص بوجه عام:

ـ التحديد الزمنى للموضوع متناسبًا مع وقت الكلام ("توجيه زمنى" مثل: سابق زمنيًا، فى الوقت ذاته، لا حق زمنيا).

أمثلة ذلك: تتبع الأنواع النصية: "خبر، محضر، طالع"، جميعها القسم الإبلاغى من أنواع النصوص، ولكنها تتميز بتوجيه زمنى متباين / للموضوع (سابق زمنيًا فى مقابل فى الوقت نفسه فى مقابل لاحق زمنيًا).

ـ العلاقة بين الباث أو المتلقى والموضوع ("توجيه مكانى"، وهكذا:

الموضوع = الباث؛ والموضوع = المتلقى؛ الموضوع = خارج شركاء التواصل).

أمثلة ذلك: الأنواع النصية "إعلان للدعاية"، و"إعلان عن وظائف" و"تعليق صحفى" تُلحق بقسم الاستجابة من أنواع النصوص، ولكنها تختلف بالنظر إلى التوجيه المكانى للموضوع. فإعلانات الدعاية تقدم منتجًا (سلعة) للباث (الموضوع = الباث)؛ وفى إعلانات عن وظائف يبحث عن أشخاص، هم المرسل إليهم الإعلان (الموضوع = المتلقى)؛ وتتعلق التعليقات الصحفية أساسًا بموضوعات واقعية(حيةً) ذات أهمية سياسية ـ واجتماعية (الموضوع = خارج شركاء التواصل).

المعيار ٢: شكل البسط الموضوعى

سبق أن وضحت هذه السمة فى المبحث ٣ ـ ٥ بالتفصيل. وقد فرقنا بين البسط الوصفى، والسردى، والإيضاحى، والحجاجى للموضوعات. وقد وضّح من خلال مثال البسط الوصفى للموضوعات أن نوع الموضوع

---

(١) قارن ارمرت ١٩٧٩، ص ٨١، وقارن أيضا ديمتر ١٩٨١، ص ٩٦ وما بعدها.

وإمكانات بسطه تتصل بعضها ببعض اتصالاً وثيقًا إلى حد ما، ولكن ما تزال هذه العلاقات لم يعرف عنها إلا القليل.

ويسرى ذلك أيضًا على العلاقة بين الأبنية الأساسية للبسط الموضوعى ووظائف النصوص. ويمكن أن نلاحظ أنه لا توجد هنا علاقة واحد إلى واحد. وتستخدم الطرائق المتحدث عنها بوجه عام فى أقسام مختلفة لأنواع النصوص، وفى الواقع مع تباين فى الأهمية. أما مجالات البسط الوصفي للموضوعات فهى أنواع النصوص الإبلاغية: "الخبر، والتقرير"، وأما مجالات البسط الإيضاحى للموضوعات فهى أنواع النصوص الإبلاغية: "الكتاب التعليمى" والنص العلمى" وأما مجالات البسط الحجاجي للموضوعات فهى أنواع نصوص الاستجابة: "التعليق ونص الإعلان أو الدعاية"، وفى هذه الأنواع النصية يمكن ـ كما عُرِض من قبل ـ أن تُحقق أشكال بسط أخرى أيضًا، ولكن الشكل المهيمن فى الحقيقة؛ هو الذى يحدد أساسًا البنية الموضوعية للنص.

وإذا لم توجد بين وظائف النصوص وأشكال البسط الموضوعى علاقة واحد إلى واحد أيضًا فإن علينا أن نفرق بين درجات الانسجام. ولذا فإنه على سبيل المثال يندر إمكان ربط أنواع النصوص الإبلاغية"الخبر" و "التقرير" ببنية حجاجية.

/ وأخيرًا تعد الكيفية التى تُحقق بها الأشكال الأساسية للبسط الموضوعى فى أنواع النصوص كذلك أمرًا جوهريًا للتمييز بين أنواع النصوص؛ فنحن نفترض أنه توجد لكل شكل أساسى صيغُ تحقيقٍ محددة (صُيُرت عرفية). أما صيغ التحقيق التى وضعت حقيقةً، وكيف يمكن أن توصف بالتفصيل فما يزال لم يوضح إلى حد بعيد[1]. ونقترح أن تُوصف صيغ التحقيق انطلاقًا من المواقف الموضوعية للباث (قارن ما سبق المبحث ٤ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٢).

---

(١) قارن برينكر ١٩٨٣، ص ١٤٦.

ونستطيع بعد ذلك في مجال البسط الوصفي للموضوعات أن نفرق بين تحقيق "مؤكد للموضوع" وتحقيق "مؤكد للرأى" مثل (مثل: خبر صحفى في مقابل نقد لكتاب) أو أن نفصل في مجال البسط الحجاجى للموضوعات بين شكل "إقناعى ـ كلاميًا" وشكل "إقناعى ـ عقليًا" لتحقيق النموذج بعضة عن بعض (مثل: إعلان للدعاية في مقابل تعليق صحفى) [١]. ولما كان تحقيق الأشكال اليومية يتحدد أساسًا بين عوامل تواصلية ـ وظيفيّة وعوامل موقفيّة فإن مقولة التحليل "شكل التحقيق" مناسبة على نحو خاص لربط الجوانب التركيبية، والجوانب التواصلية ـ البراجماتية للتحليل اللغوى للنص.

وعلينا هنا أن نكتفى بهذه الإشارات. فما يزال علم لغة النص لم يتطور إلا تطورًا محدودًا حتى يمكن استيعاب هذه العلاقات في قواعد.

٥ـ ٤ـ ٤ حول تدرج المعايير

كما أُشير من قبل، نقرر فيما يتعلق بمراتب المعايير أن وظيفة النص تُحدِّد القسم الخاص بأنواع النصوص، بينما تُحد الأنواع النصية المفردة داخل قسم ما بالمقولات "شكل التواصل" و"مجال الفعل"، وكذلك "نوع موضوع النص" و "شكل البسط الموضوعى". ولا يتوافق تنميط للنص، قائم على هذه المعايير توافقًا تامًا مع التصنيف اللغوى اليومى للنص؛ ولكن من الجائز أن يكون منسجمًا معه على الأقل إلى حد بعيد.

ويمكن أن يؤكد في الختام أن المعايير المذكورة تستخدم أساسًا للحد Abgrenzung بين أنواع النصوص؛ ويجب على وصف لأنواع النصوص أن يراعى بوجه خاص أيضًا سمات، تختص بالتشكيل اللغوى للمتص (النحو، والمعجم ... الخ). ويمكن على الأقل بناءً على المعايير المقترحة / أن يُقَسَّم مجالُ

(١) حول المواقف الموضوعية المطابقة قارن ما سبق المبحث ٤ـ ٤ـ ٢ـ و ٤ـ ٤ـ ٣ـ.

نصوص الاستعمال إلى حد بعيد بحيث يصير بحث منظم لما يُسمى الأشكال والأبنية اللغوية المميزة لأنواع النصوص على أساس نصى ممتد أمرًا ممكنًا. ونفترض أن الأمر يتعلق فى ذلك فى المقام الأول بأوجه تفضيل محددة لأنواع نصية مفردة بالنسبة لوسائل معجمية و/ أو نحوية معينة، يجب أن تدرك بمناهج كمية إحصائية[1].

٥.٥ عرض لخطوات التحليل مزود بمثال

إن التمييز بين أنواع النصوص (وكذلك إلحاق نصوص معينة بنوع نصى أيضًا) يمكن أن يقع فى الخطوات الآتية المتصلة بعضها ببعض اتصالاً وثيقًا[2]:

خطوة ١: وصف وظيفة النص.

خطوة ٢: وصف شكل التواصل ومجال الفعل ـ المرتبط بذلك فى الغالب ارتباطًا وثيقًا.

خطوة٣: وصف قيود موضوعية (وبخاصة بالنظر إلى التوجه الزمانى والمكانى).

خطوة ٤: وصف النموذج الموضوعى الأساسى (الشكل الأساسى للبسط الموضوعى) وكيفية تحقيق النموذج (شكل التحقيق).

خطوة ٥: وصف وسائل لغوية (معجمية ونحوية) مميزة لأنواع النصوص، وعند الضرورة وسائل غير لغوية.

---

(١)قارن أيضًا ديمتر ١٩٨١، ص ٣٤.

(٢)على أساس طريقة الوصف الخاصة بوظيفة النص المطورة فى هذا الجزء أجريت حتى الآن تصنيفات لأنواع النصوص بالنسبة لمجالات نصية آتية: بورجر ١٩٩٠Burger (أنواع نصية ـ لوسائل الإعلام) وبير كنتماير / مول Birkenmair / Mohl ١٩٩١ (أنواع نصوص تخصصية روسية).t

نريد أن نوضح هذه الخطوات بإيجاز شديد بالنوع النصى "تقرير عن الطقس"[١]:

بالنسبة للخطوة (١) يُلحق النوع النصى "تقرير عن الطقس" بالقسم الإبلاغى من أنواع النصوص. المهيمن إذن وظيفة الإبلاغ، ويكمن ذلك فى أن الباث يريد أن يوصل للمتلقى معرفة حول وقائع أو أحوال حالية أو مستقبلية. ويؤشر إلى وظيفة النص فى العادة بشكل غير مباشر (انظر ما سبق المبحث ٤ـ٣ـ٢ـ ٢ المعيار I). ويمكن أن يُعد العنوان (الطقس أو ما شبه) أو الإعلان (طقسنا، وطقس الغد وما أشبه) إشارة إلى وظيفة النص.

/ بالنسبة للخطوة (٢) يتحقق النوع النصى "تقرير عن الطقس" فى أشكال تواصل مختلفة (مثل: مقال صحفى أو إرسال إذاعى و إرسال تليفزيونى[٢]، ويُلحَق بمجال علنى للفعل.

بالنسبة للخطوة (٣) الموضوع محدد هو ("الطقس")؛ وهو يقع خارج شركاء التواصل ("توجيه مكانى") ويوصف من جانب التوجيه الزمانى من خلال السمات "فى الوقت ذاته" (حالة الطقس)، و"لاحق زمنيا" (توقعات عن الطقس). بالنسبة للخطوة (٤) يعد البسط الوصفى للموضوعات أساسيًا للنوع النصى (تقرير عن الطقس). ويتحدد موضوع ("الطقس") موقفيًا بظروف المكان والزمان، ويتخصص بالموضوعات الجزئية "حالة الطقس"، و"توقعات عن الطقس" (ويتفرع كذلك إلى "ظواهر الطقس"، و"درجات الحرارة"، و"صورة متأخرة للطقس").

---

(١) حول النوع النصى "تقرير عن الطقس" قارن مثلاً رات Rath ١٩٦٨؛ ساندج ١٩٧٠؛ شيرنر Schemer١٩٧٣ ـ نعتمد فيما يأتى على شروح ساندج ١٩٧٠ ـ بوجه خاص ١٩٧٠، ص ١٧٩ ـ ١٨٤.

(٢) يتعلق الأمر فى ذلك حول بدائل مختلفة للنوع النصى" تقرير عن الطقس" (قارن أيضًا ساندج ١٩٧٨، ص٨٧).

ويعد ترتيب الموضوعات الجزئية محددًا: فطبقًا للتتابع الزمنى الطبيعي يعقب التنبوء بالطقس فى العادة التقرير عن حالة الطقس.

وبالنسبة للخطوة (٥) مما يميز النوع النصى "تقرير عن الطقس" من الناحية اللغوية ـ النحوية أن الموضوع الجزئى "حالة الطقس" يتحقق من خلال ما تسمى الجمل التامة vollständige Sätze (وفق نماذج مختلفة للجملة الموجزة).

ويتصل بذلك أن التماسك النحوى فى الجزء ٢ ("توقعات الطقس") لم يُصَغ إلا بصورة ضعيفة.

ويرتبط بالتحديد الموضوعى أن الثروة اللغوية المستخدمة لها مجال محدود الأهمية؛ فنجد إلى جانب وحدات معجمية من مجال الطقس (من بينها أيضًا مصطلحات لغوية تخصيصيَّة مثل: اختلاف الضغط الجوى، وارتفاع جوى، ونظام ضغط جوى منخفض ... الخ) ظروف مكان وزمان بوجه خاص.

أخيرًا نطلق من نص محدد، ونختبر هل يُلحق بالنوع النصى "تقرير عن الطقس"؟ مثال:

منتصف فصل الصيف فى هامبورج

(١) بعد سلسة من أيام مُعتمة عاد الصيف إلى هامبورج أيضًا. (٢) فاليوم ترتفع درجات الحرارة مرة أخرى فوق ٢٥ درجة. (٣) ويتوقع علماء الأرصاد فى عطلة نهاية الأسبوع طقسًا صيفيًا شديد الحرارة. (٤) على الساحل يمكن أن تقع لفترة قصيرة غيوم طفيفة. (٥) ومن المفروض أيضًا أن تدوم الفترة الجديدة لطقس جميل فى الأسبوع القادم.

(٦) وكان الجو دافئًا بخاصة أمس فى جنوب ألمانيا. (٧) فقد ارتفع مقياس الحرارة فوق ٢٦ درجة. (٨) وسجلت محطة (رصد) الطقس فى أعلى جبل فى

ألمانيا، تسوج شبيتسه[1]، / خمس درجات زيادة فى الحرارة مع شدة أشعة الشمس. (٩) وقد أذيب جزء من الغطاء الثلجى هنا مقداره حوالى ٣٥ سنتميتر (عن: هامبورجر آبند بلَت فى ١٢/ ٨/ ١٩٨٢).

يتبع النص بلا شك فئة نصوص الإبلاغ. أما وظيفة النص فلم يؤشر إليها مباشرة، غير أن الباث يعبر - خلافًا للتقرير عن الطقس - عن موقفه من الموضوع بأن حصر تأكيد معرفته صراحةً فى الجزئين ٣و٥.

(... يتنبأعلماء الأرصاد، من المفروض.. أن يدوم).

ويتحقق النص فى صورة مقال صحفى؛ ولكنه يقع - خلافًا للتقرير الصحفى عن الطقس - تحت عنوان محدد (متعلق بالمضمون) (منتصف فصل الصيف عن هامبورج) ولم يظهر فى إطار عمود ثابت غير منفصل بوضوح عن باقى النص من الناحية الطباعية.

أما بسط الموضوعات فهو بسط وصفى. والمقولتان الموضوعيتان الأساسيتان هما تحديد الحالة والتخصيص. فى الفقرة الأولى خُصِّص الموضوع "منتصف فصل الصيف فى هامبورج)" من خلال موضوعات جزئية: درجات الحرارة، وتوقعات عن الطقس. وما يزال من الممكن معرفة التقسيم الثنائى المميز للنوع النصى "تقرير عن الطقس" من الناحية الموضوعية (التى يمكن أن تتحقق صراحةً وضمنيًا) (حالة الطقس: الجزءان ١/ ٢ توقع عن الطقس: الجزءان ٣/ ٤).

ولا تتناسب الفقرة الثانية من النص مطلقًا فى واقع الأمر فى مخطط لتقرير عن النص؛ فالباث يخبر هنا عن واقعة منصرمة (طقس ليلة أمس فى جنوب ألمانيا؛ النقطة المهمة: درجات الحرارة)؛ هذه الفقرة لها وظيفة مكملة.

(١) Zugspitze أعلى قمة فى الجزء الألمانى من مرتفعات جبال الألب، وهى مجموعة جبال فيترشتاين (Wetterstein)، وارتفاعها ٢٩٦٣م.

ومن الناحية اللغوية يناسب النص التقرير عن الطقس بخاصة فى السمتين الآتيتين:

ـ الجمل نادرًا ما تكون مترابطة نحويًا (من خلال بدائل الصيغ وحروف العطف وما أشبه تقريبًا)؛ وليس التماسك النصي مستلزمًا إلا من جهة الموضوع تقريبًا.

ـ ظروف المكان والزمان شائعة.

وخلافًا للتقرير المطرد عن الطقس يتضمن النص جملاً تامة بصفة عامة.

ويتبين إجمالاً أن نصنا لا يعد مثالاً نمطيًا للنوع النصي "تقرير عن الطقس"؛ إنه ـ بمعنى صارم ـ ليس تقريرًا عن الطقس على الإطلاق، بل هو خبر عن الطقس (فى هامبورج وجنوب ألمانيا)، ويمكن بذلك أن يحسب نوعًا نصيًا آخر "Ereignisbericht"، حيث يقتضى القرب من التقرير عن الطقس تتابعًا موضوعيًا (صُيِّر عرفيا) محددًا تحديدًا شديدًا.

٦. موجـــز

١.٦ نظرة عامة حول مقولات التحليل اللغوى للنص ومعاييره

نريد ابتداءً أن نُجمل مقولات التحليل ومعاييره المعالَجة فى نظرة عامة.

إن المنطلق هو التفريق الأساسى للبحوث اللغوية بين البنية والوظيفة. وفى إطار الجانب البنيوى نفصل مستوىً نحويًا عن مستوى موضوعى للبنية بعضهما عن بعض.

ويُنظر إلى التماسك النحوى grammatische Kohärenz على أنه المقولة المركزية للتحليل فى المستوى النحوى؛ ذلك التماسك الذى يرتكز على علاقات الربط النحوية والدلالية بين جمل النص.

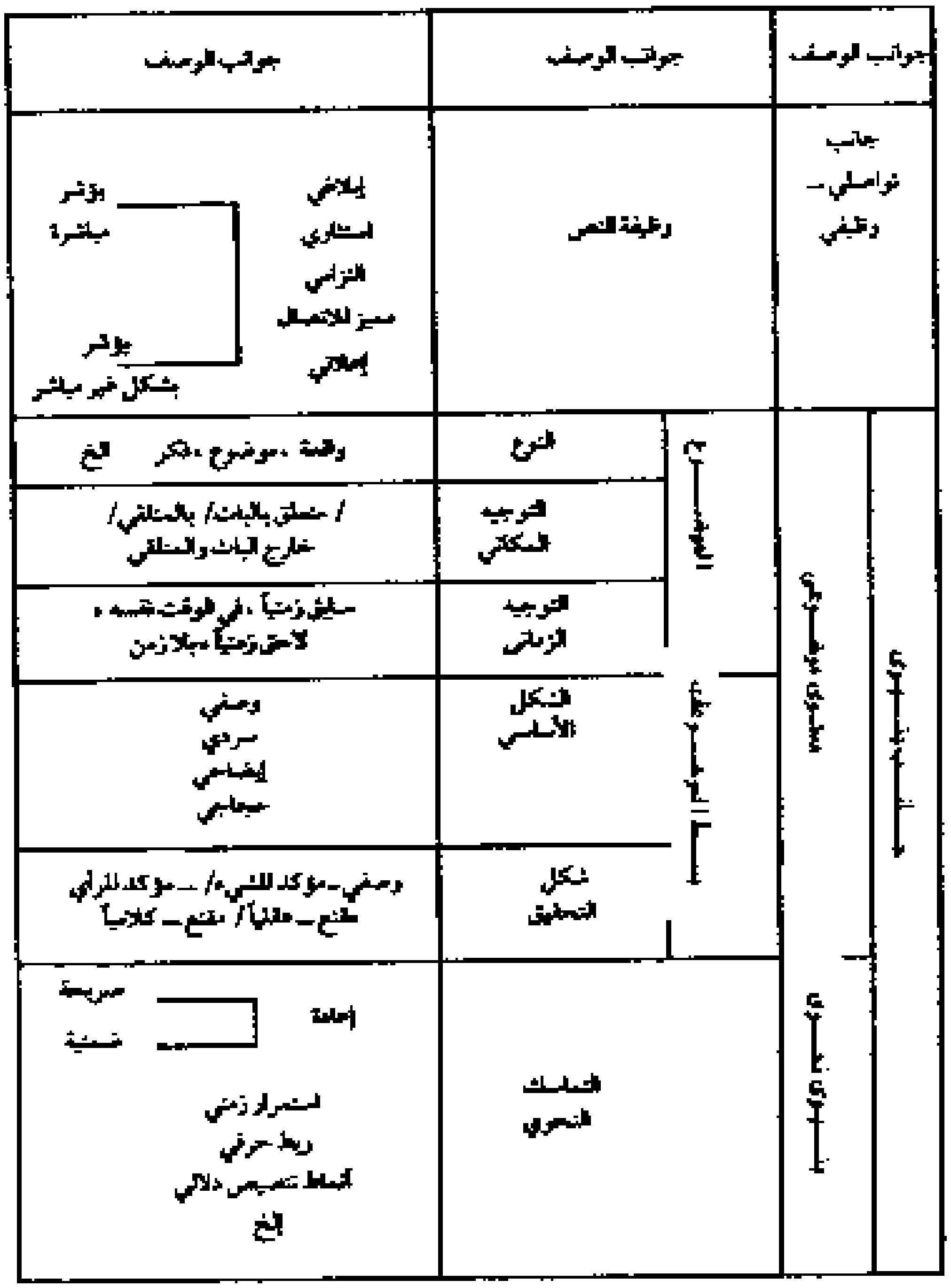
وعلى المستوى الموضوعى يتعلق الأمر ببنية مضمون النص التى تدرك بوصفها تكوينًا من علاقات بين النواة الموضوعية (موضوع النص) والمضامين الجزئية أو الموضوعات الجزئية المعبر عنها فى القضايا أو المركبات القضوية للنص. وأهم مقولات التحليل لهذا المستوى هى "موضوع النص"، و "شكل بسط الموضوعات".

أما الجانب الأساسى الثانى للتحليل اللغوى للنص؛ الجانب **التواصلى - الوظيفى**، فيتعلق بخاصية الفعل فى النص، أى بأهميته فى العلاقة التواصلية بين باث ومتلق. وتقوم بوظيفة التحليل هنا وظيفة النص التى تُحدَّد بأنها المقصدُ التواصلى للباث، المهيمنُ، المعبرُ عنه عرفيًا فى النص، ويعُزى إلى الموقف

الموضوعى نوعًا من "الوضع البينى" بين البنية والوظيفة؛ فهو يتعلق من جهة بموضوع النص وبسط الموضوعات، ويؤثر من جهة أخرى فى تشكيل وظيفة النص.

وتلحق بمقولات التحليل فى كلٍّ سلسلةٌ من المعايير، لا نرغب فى مناقشتها مرة أخرى مناقشةً مفصلةً.

ويمكن أن تعرض العلاقة بين جوانب الوصف، ومقولات التحليل ومعاييره فى مخطط على النحو الآتى:



ويُراعى فضلاً عن ذلك الجانب الموقفى؛ وهو يتعلق بعوامل موقف التواصل، التى تؤثر فى تشكيل بنية النص.

ولما كان هذا الجانب لم يبحث بعد بحثًا وجيهًا فإن العرض هنا يظل مقتصرًا على مقولتى "شكل التواصل" و"مجال الفعل".

٦ -٢ نظرة عامة حول خطوات التحليل

فى الختام نرغب فى ضم خطوات التحليل المطورة فى المباحث المفردة مرة أخرى بشكل منظم.

وثمة أساس منهجى لكل تحليل للنص، وهو أن يتقدم المرء من النص بوصفه كلاً إلى الوحدات والأبنية المشكلة له. وينتج عن ذلك خطوات العمل الآتية عند تحليل نص محدد.

الخطوة ١:

تحليل السياق من الجوانب الآتية:

ـ وصف السمات السياقية (شكل التواصل/ مجال الفعل)، وبخاصة بالنظر إلى شروط التفاعل السارية.

ـ تأويل النتائج، التى تنتج عن ذلك بالنسبة لتكوين النص.

الخطوة٢:

تحليل وظيفة النص (وعند الضرورى وظائف تواصلية ثانوية أخرى للنص) من خلال وجهات النظر الآتية:

ـ تحديد وظيفة النص (وعند الضرورية وظائف أخرى) بناءً على مؤشرات لغوية، وغير لغوية، وسياقية.

وتُحسب من المؤشرات اللغوية: ما تسمى صياغات أدائية صراحةً، ونماذج متكافئة للجملة، وصيغ الأفعال، وظروف معينة، وأدوات، وكذلك أوجه

الإفصاح عن الموقف. ويمكن أن يقوم بوظيفة المؤشرات غير اللغوية التشكيل الخطى للنص أو الخاص بفن الطباعة، والصور ... الخ. والمؤشرات السياقية هى الإطار الموقفى، وبخاصة المؤسسى، للنص (مجال الفعل)، والمعرفة بالعالم (المعرفة الخلفية حول الموضوع)، ومعرفة أنواع النصوص (المعرفة الخلفية بنوع النص، التى يمكن أن يُلحق النص به)... الخ.

- تحديد العلاقات بين وظيفة النص ووظائف تواصلية أخرى (ما تسمى وظائف إضافية).

- تحديد درجة المباشرة أو عدم المباشرة فيما يتعلق بالتأشير إلى وظيفة النص.

الخطوة ٣:

تحليل البنية الموضوعية (والتجربة) للنص من خلال الجوانب الآتية:

- تحديد موضوع النص ومن المحتمل الموضوعات الجزئية الموجودة (على درجة عالية جدًا من التجريد).

وعند التحديد التحليلى النصى للموضوع يمكننا أن ننطلق من الموضوعات المحورية للنص، كما تتجلى فى إطار منظور نحو النص فى أشكال مختلفة للإعادة (تحليل بنية الإعادة بوصفها بنية حاملة للبنية الموضوعية). وإذا وجدت عدة موضوعات فيجب إبراز تدرج الموضوعات (سُلَّمية الموضوعات). ويجب الكشف عن الموضوع الرئيسى بناءً على معيار التناغم ومعيار إمكان الاستنباط(*).

- وصف بسط الموضوعات والنمط الموضوعى للبسط (وصفى، سردى، إيضاحى، حجاجى).

- وصف نوع (كيفية) معالجة الموضوعات (مؤكد للشيء، ومؤكد للرأى، ومُقَوِّم، وجاد، ومضحك، وتهكمى ... إلخ).

(*) يقصد بذلك فى الأصول: Kompatibitätskriter und Ableitbarkeitskriterium .

وما تزال لم تُبحث كيفيات معالجة الموضوعات إلا نادرًا.

قارن حول ذلك أيضًا التفصيلات عن المواقف الموضوعية وأشكال التحقيق (أى أشكال تحقيق نماذج موضوعية اساسية).

ـ وصف الوسائل اللغوية (وعند الضرورة غير اللغوية) المعبرة عن الموضوع وصفًا تفصيليًا.

ومن ذلك ضمن غيره: تحليل المعنى لوحدات معجمية حاملة له (ما تسمى الألفاظ المفاتيح)، تحليل التحقق اللغوى لأنماط بسط موضوعية (أى تشكلها اللغوى ـ الأسلوبى بمفهوم أضيق)، وتحليل أجزاء النص غير اللغوية (الصور وما يماثلها) بالنظر إلى وظيفتها الموضوعية.

وفى الواقع يجب أن يفرق بين مستويات الوصف المفردة وجوانبه عند تحليل النص تفريقًا دقيقًا، ولكن يجب ألا تعزل بعضها عن بعض. وتنشأ علاقات معقدة بين سياق موقفى أو وسيلى، ووظيفة تواصلية (وظيفة النص)، والبناء الموضوعى، والتكوين اللغوى ـ النحوى للنصوص. وينبغى هنا مرة أخرى أن يُبرز بوجه خاص الدور "المعين" للوحدات والأبنية النحوية؛ إذ يجب أن تُلاحظ فى وظيفتها التأشيرية، أى يجب أن تُبحث بالنظر إلى المفاهيم التواصلية ـ الوظيفية / والموضوعية للنص.

ويجب أن يُراعى فى ذلك أنه نادرًا ما توجد هنا أوجه إلحاق ثابتة. ولا يُفترض أساسًا علاقة واحد إلى واحد بين الوظائف التواصلية وأشكال البسط الموضوعى من جهة والوحدات والأبنية النحوية من جهة أخرى.

ويجب علينا أن نكتفى هنا بهذا البيان العام نوعًا ما، فلم يتطور علم لغة النص بدرجة كافية إلى حد بعيد حتى يمكن وصف العلاقات بين الموقف التواصلى ووظيفة النص وبنيته وصفًا منظمًا، واستيعابها، فى قواعد.

وحتى نتقدم هنا من الضرورى توسيع الأساس التطبيقى، أى إجراء تحليلات لغوية للنصوص على نطاق أوسع. ويحاول كتابنا هذا أن يقدم الإطار المفهومى والمنهجى للتوجيه بالنسبة لهذه التحليلات.

فَأْل حسن بإذن الله

فرغت من الترجمة يوم ذكرى مولد

المصطفى ﷺ

الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٤٢٥هـ

الموافق الثاني من مايو سنة ٢٠٠٤م